بروفيتيا

اسم الكتاب: بروفيتيا

نوع العمل: رواية

التأليف: رانيا رمضان

إخراج فني: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)

رقم الإيداع: 2022 / 8031

الترقيم الدولي: 978-977-835-295-5

الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر





Facebook

Email za7ma-kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595





تأليف

رانيا رمضان

بنت البروفيسور



★لو أعطانا الله قدرة لرؤية مستقبلنا وأن يكون لنا حرية تغيير أقدارنا كيفما نشاء، لوجدنا بأن اختيار الله وتدبيره لنا هو الخير فسبحانه مدبر الأمور.

الله يختار حياة مناسبة ومتكاملة ومتزنة لكل منا بالخير والشر، والفرح والحزن، والرزق والحرمان، الله يحدد لكل منا حياة تناسبه وتكون بأقل الخسائر على عكس ما نراه أحيانا أن حياتنا سيئة للغاية.

لأن وأن جاءت لنا الفرصة أن نرى مستقبلنا ونغير حياتنا كيفما نشاء لسوف نعاني أضعاف مضاعفة من اختياراتنا.

قد تكون اختياراتنا وأن كانت ظاهرها خير قد تكون اختيارات سيئة فيما بعد لأن باطنها شر لنا.

بينما اختيارات الله هي دائمًا خير لنا وأن كان ظاهرها لا يرضينا في البداية ولكن في باطنها الخير الدائم لنا.



الفصل الأول

البنت

في شهر مارس من عام ١٩٤٤ في أحدى قرى محافظة البحيرة في مصر، الأم فوزية تصرخ وكأنها سرينة إسعاف وزوجها متوتر وقد امتلئ جبينه بقطرات العرق التي تشبه قطرات الندى على ورق الشجر في ساعات الصباح الأولى، كان خائف جدًا ليس على امرأته بالتأكيد ولكن خوفًا من أن يكون المولود الثاني له بنتًا.

ها هي الداية تأتي مسرعة وتطلب من منيرة أخت فوزية الكبرى التي لم تنجب بعد أن تسخن لها الماء، لا أعلم حقيقةً ما فائدة الماء الساخن في الولادة...! هل يا ترى يستخدم في غسل الطفل بعد ما ينزل من بطن أمه ومن شدة الحرارة الطفل لا يتحملها فيصرخ صراخًا عاليًا وبذلك يكونوا نظفوا الطفل وجعلوه ينطق! أم يستخدمون الماء الساخن في سكبه على الام عقابًا لها على فعلتها الشنيعة بأنها أتت بطفل آخر إلى هذه الدنيا المريرة المؤلمة، حقيقةً أنا أمزح معكم ولكن موضوع الماء الساخن لم أحصل على اجابه علمية بفائدته، حتى اني سألت أمي التي أنجبت أربعة قالت لي: انه ليس مهم ولا أعرف كنهه حتى.

آه أين كنت... دعوني أكمل لكم ما جرى في يوم الولادة تلك.

هرعت منيرة مسرعةً كالغزال بقوامها الممشوق ووضعت قدر من الألمنيوم على الموقد الذي يعمل بالجاز أي ما يسمي حينها ببابور الجاز، كانت منيرة تقف بجوار البابور وتدعوه بأن يسخن الماء بسرعة، أي كأنه كائن مدرك يقدر الموقف الذي هُم فيه الان، وهي قلقة على أختها التي لم تتوقف عن الصراخ، وهذا يجعل نياط قلبها يتمزق من الخوف عليها.

أحضرت الماء الساخن الذي لا يعرف استخدامه إلا الدايات سابقًا.

خرجت الداية تبشر منيرة بأن الله رزقهم بنت جميلة، دخلت منيرة مسرعةً في لهفة لأختها، رأت اختها حزينة نائمة ممددة على الفراش والدموع الساخنة تنزل من عينها، سألتها منيرة متعجبة:

-ما الذي يحزنك الآن...؟ وقد قمتي بالسلامة ورزقك الله بنت جميلة تشبه القمر..!

-أنا حزينة لأن زوجي يريد ولدًا.

-دعكِ منه، سوف يسعد بها صدقيني، يوجد الكثير لا ينجبون ويتمنوا لو يروا حتى ظفر طفل.

وأخذت منيرة الطفلة الصغيرة في لهفة وحب وحملتها بين يديها واخذتها في حضنا وعانقتها برفق، ونزلت دموع منيرة من شدة سعادتها ببنت اختها، بالفعل كانت منيرة تشعر بأن بدر قطعة منها، وأخذت تلمس يديها الصغيرة التي تكاد تخاف أن تمسكها الا تؤلمها، وسرحت في جمالها بالفعل تشبه البدر وقد أتت

في ليلة القمر مكتمل بها، كانت الطفلة والبدر واحد في تلك الليلة، بدأت منيرة بأن تحرك إصبعها برفق علي وجه الطفلة، وأعجبت بعينيها المغمضتين، شكرت الله على هذه البنت وعلى نعمة جمالها، فأنها لم ترى طفلة بجمالها قط، ومن ثم هرعت وذهبت بها لأبيها عطاالله، أول ما رآها أبيها لم ترسم على وجهه ابتسامة حتى وترك البيت من دون أن يطمئن على زوجته.

كانت منيرة الوحيدة التي استبشرت بقدوم هذه الملاك الصغيرة أكثر من أمها وأبيها.

رجعت منيرة لكي تطمئن على اختها من جديد فسألتها فوزية في حزن وأسى:

-أين عطاالله؟ هل رأيته؟ ماذا قال لكي؟

-هوني عليكِ، لم أجده في الخارج، يبدو انه خرج ليبتاع شيئًا.

ومن ثم غيرت منيرة الموضوع وسألت أختها الصغرى فوزية بلهفة وسعادة عارمة وابتسامة تنير وجهها وهي ممسكة بيد أختها المنهكة الممددة على سريرها النحاسي ذا الأعمدة بينما هي كانت تجلس على حصيرة على الارض:

-ماذا سوف تسمينها تلك الملاك الصغيرة..؟

ردت فوزية والغصة تخنقها لأنها أنجبت بنت:

-لا أدري اختاري أنتِ لها اسم.

ظلت منيرة تفكر وهي سارحة في السقف المصنوع من الطين، ومن ثم أخذت تنظر إلى الجدار الطيني الذي كان يتراقص عليه شعاع لهيب لمبة الجاز(حينها كان لا توجد كهرباء في القرى فكانوا يعتمدون على مصباح يعمل بالجاز ويقومون بإشعال الفتيل للإضاءة ليلًا) أخذت تفكر وهي تحك ذقنها ومن ثم وهي تنظر لأختها، رفعت رأسها قليلًا فنظرت إلى النافذة فرأت القمر مكتمل أمامها أي أنه بدر، ومن ثم قالت صارخةً في لهفة وفرحة وقلبها يتراقص وكأنها عرفت حل أصعب معادلة:

-سوف أسميها بدر، هل ترين كيف القمر مكتملاً الليلة...؟ وهي جميلة منيرة مضيئة مثله تمامًا...!

*نظرت لها فوزية وقد رسمت على وجهها نصف ابتسامة، أي قامت بتصنع الضحكة من أجل أختها وأردفت:

-اسم جميل مثلك يا منيرة.

*ثم أردفت منيرة طالبة من أختها طلب وتشعر بالحرج قليلًا:

-فوزية ،أريد أن أطلب منك طلب، أريد أن أخذ ابنتك زينة اربيها لكي، وحتى لا يكون الحمل عليكِ كبيرًا أنتِ وزوجك.

-لا يوجد حمل علينا في شيء فهما مجرد اثنتان فقط ولكن المشكلة مع أبيهما انهما بنتان وهو يريد ذكران.

*أصرت منيرة أن تأخذ زينة، لم يكن السبب لكي تقلل الحمل على فوزية ولكنها كانت بحاجة طفل في حياتها يؤنسها في وحدتها

ووحشة ايامها وتشعر معه إحساس الأمومة وينير لها حياتها المظلمة الكئيبة.

*كانت فوزية تدري جيدًا ما يدور في خلد اختها منيرة، لذا طمأنتها وقالت لها: بأنها سوف تستشير زوجها اولًا.



*كانت منيرة قد عادت إلى بيتها بعد ان اطمأنت على أختها، دخل عطا الله بيته في وقت متأخر جدًا ووجد زوجته نائمةً متعبة، نظر إلى الطفلة الصغيرة وهو ما زال لا يعرف لها اسم، أخذها بين يديه الكبيرتين ونظر لهذه الملاك الصغيرة وقبل رأسها وكأن بين يديه قطعة من الجنة وملاك صغير، ولكنه سرعان ما أفاق من شروده وتذكر أنها بنت، يخاف من تربية البنت ولأن البنت قد تكون عار لأهلها، بينما الولد هو من يكمل السلالة ويحمل الاسم ويكون عزوة له.

*ذهب إلى فراشه كي ينام لأنه قد تعب كثيرًا من كثرة التفكير، فتذكر قول صديقه له مازحًا:

-أنت تنجب البنات لان علاقاتك بالنساء كانت كثيرة، أتذكُر صديقنا حسن لأنه كان ملتزم لم ينجب غير اولاد....

أمزح معك يا صديقي ان شيخ ذلك الجامع ذريته كلها بنات وسعيد جدًا وراضٍ بحكمة الله.

*في اليوم التالي آتت منيرة إلى أختها كي تهتم بها وتطعمها ذاك الطعام الدسم كي ترتد لها عافيتها بسرعة ومن ثم بعدما انتهت من إطعام أختها فوزية الدجاجة كاملة فاتحتها في موضوع تربية ابنتها زينة.

*ردت عليها فوزية وهي تشعر بالتخمة من كثرة الاكل:

-لم افاتح عطاالله حتى الآن، سوف افاتحه الليلة واخبرك غدًا.

*عاد عطاالله إلى بيته وبعدما تناول الغداء وشرب الشاي بالنعناع، كانت فوزية ترضع ابنتها الصغيرة بدر بعدما انتهت من رضاعتها اعطتها إلى زوجها عطاالله فحملها، كان يشعر اتجاه ابنته بدر بحب ومشاعر تختلف عن مشاعره تجاه ابنته زينة التي لم يتقبلها يوميًا بينما بدر تأسره بابتسامتها البريئة، بينما هو يداعب وجه أبنته بدر بأنامله فاتحته زوجته في موضوع اختها منيرة.

*رد عليها بلامبالاة وهو مستمر باللعب بدميته الصغيرة بدر:

-فلتأخذها ليس لدي ادني مانع... إذا فعلت هي ذلك وأخذت زينة كأنها فعلت بي معروف.

*عندما خرج عطاالله لتأدية صلاة العشاء وبعدما انتهى من الصلاة ظل في المسجد ولم يهم بالرحيل مسرعًا كعادته... وكان شكله مثل الباندا مهموم وحزين ووحيد.

*اقترب منه الشيخ مصطفى وحاول أن يعرف ما به وما سبب عبوسه الليلة...؟

*رد عليه عطاالله وقد قطب حاجبيه:

-أنت تقول في خطبتك دائمًا أن الله يقول (ادعوني استجب لكم) وآية أخرى لا احفظها.

-تقصد قول الله تعالي (وإذا سألك عبادي عني فأني قريب اجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

-صحيح تلك هي الآية، وقد حمدت الله على أول طفل لي بالرغم انها بنت ولكن دعوت الله ان يكون مولودي الثاني ذكرًا، دعيت وطلبت من الله كثيرًا وفي النهاية لم يستجب لي، بالرغم ان الله يعطي الذكور لأشخاص لا يدعون الله بشيء.

-ولما أيست من رحمة الله...؟ قد يكون الله يختبر صبرك.

يريد أن يراك كيف ستحمده على اختياره لك وقضائه وقدره، أعلم جيدًا انك إن رضيت باختيار الله لك سوف يرضيك الله بما تحب وترضى، ولكن تذكر قول سيدنا يعقوب (فصبرٌ جميل).

*وأكمل الشيخ مصطفى حديثه وهو يربت على كتف عطاالله الذي بدأ يلين قلبه لكلامه.

وإنجاب الإناث يا أخي عطاالله لا يحتاج كل هذا الحزن وأن تكون متكدر هكذا.

هذا التصرف ليس من شيم الاسلام والمسلمين بتاتًا، هذا التصرف من شيم أهل الجاهلية الذي كان عندما يبشر أحدهم بالأنثى (ظل وجهه مسودًا وهو كظيم).

*أردف عطاالله وقد شعر باحراج لأنه شُبه هذا التشبيه:

-ولكن يا شيخ هذا ليس ذنبي، انها عادات وتقاليد قد نشأت عليها.

-عادات وتقاليد خاطئة متمسكة بعادات الجاهلية وتاركةً عادات ديننا الاسلام السمحة.

ما ذنبها زوجتك أن تشعرها بالذنب لأنها انجبت بنتًا، صدقني هذا من خطأ مجتمعنا وعاداتنا وتقاليدنا فمن يحدد جنس المولود هو الرجل، يعني إذا أنجبت المرأة لزوجها بنتًا بدلًا من أن ينهالوا أهل زوجها عليها ويلومنها بأنها تنجب الإناث بل من الأفضل أن يلوموا ابنهم لأنه هو المسؤول عن جنس الجنين... الله يقول في كتابه العزيز(نسائكم حرث لكم) أي ان زوجتك مثل الأرض تمامًا وأنت المسؤول عن ما سوف يخرج من تلك الارض.

علينا ان نتبع ديننا ولا نتبع عاداتنا وتقاليدنا توجد بعض العادات عادات جاهلية لا تتناسب مع ديننا الحنيف... والله أنزل كتابه على نبينا محمد صل الله عليه وسلم لكي يكون هذا الكتاب مثل الكتالوج الذي يفهمنا ويعلمنا كيف نتعامل في هذه الدنيا وأن نفهم حكمة الله من كل شيء.

عندما كان يرزق احدًا في الجاهلية ببنت يقول الله عز وجل (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون).

في الجاهلية كانوا يئدون البنات ومن كان رقيق القلب بهن يتركهن على هون أي يجعلهن يعشن ولكن يعاملهن بذل وإهانة.

وفي وقتنا الحالي لازلنا متمسكين ببعض عادات الجاهلية بأن من ينجب بنتًا يتوارى من الناس ويكون وجهه مسودًا ويربي أبنته بكرهٍ منه ويعاملها بذل وإهانة.

* كان عطاالله ينظر إلى الشيخ مصطفى وقد رق قلبه ودمعت عينه.

*أستمر الشيخ مصطفى في أن يهون عليه بكلامه وقال له مبشرًا إياه:

- أتعلم أنا لدي أربع بنات وسعيد جدًا اني انجبتهن، لأنهن سيكونن سببًا في دخولي الجنة ويكونن لي حجابًا من النار.

*تعجب عطاالله ورفع حاجبيه مستغربًا من كلام الشيخ مصطفى وأردف:

- كيف تكون البنت سبب في دخولي الجنة...؟

*رد عليه الشيخ مصطفى وقد رسمت على وجهه ابتسامة قد جعلت من وجهه يضيء نورًا واستطرد قائلًا:

-يقول حبيبنا ونبينا محمد ﷺ: (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجابًا من النار يوم القيامة).

*تسأَل مصطفى متعجبًا:

- وهل يجب علي أن تنجب لي زوجتي الطفلة الثالثة كي ينطبق علي هذا الحديث.

*لا أبدًا يا عطاالله يا أخي، عندما كان نبينا محمد صل الله عليه وسلم يقول ذلك الحديث قام أحد الحاضرين وسأل نبينا محمد:

-ماذا لو عندي اثنتين فقط...؟ فأجابه نبينا محمد: "حتى الذي عنده اثنتين ينطبق عليه الحديث".

-ومن ثم قام أحد اخر من الحاضرين وسأل نبينا محمد:

- ماذا لو عندي بنتًا واحدة فقط؟

فأجابه نبينًا محمد مبشرًا إياه:

حتى ولو بنتًا واحدة.

* المقصود من هذا كله ان نبينا محمد يريدنا أن نترك عادات الجاهلية تلك وأن نفرح ونبشر عندما يرزقنا الله بالأنثى، وعلينا أن نهتم بهن بكل احتياجاتهن ونحسن تربيتهن كي يكن لنا حجابًا من النار بأذن الله.

ولا تحزن لأن لديك بنتين تذكر ان نبينا محمد كان لديه أربع بنات(زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة).

* وكان يقول حبيبنا المصطفى في حديث شريف (لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات).

*نظر له عطاالله وقد شرح صدره بكلام الشيخ مصطفى وأردف:

-بارك الله فيك يا شيخ مصطفى قد أتيت إلى هنا مهمومًا، والله جعلك سبب لكي تزيل همي وتريح بالي من كثرة التفكير.

*رد عليه الشيخ مصطفى وهو يربت على كتف عطاالله وينظر له وعلى وجهه ابتسامته السمحة:

- والله يا أخي عطاالله أنا لو استمريت في أن أحكي لك كيف وصانا الرسول بالبنات ومواقف نبينا محمد في التعامل مع بناته لن يكفيني الوقت، المهم علينا ان يكون قدوتنا في التعامل في الحياة هو نبينا محمد.

*هم كلاهما بالنهوض والخروج من المسجد، وعندما كان يمشي عطاالله بجوار الشيخ مصطفى قال له متسائلًا:

-أخت زوجتي الكبرى لا تنجب وطلبت من زوجتي أن تأخذ ابنتي زينة، عمرها عامين لكي تربيها وأنا قلت لزوجتي ان ليس لدي مانع ولكن رأيي هذا كان نابع مني لأني لا أرغب في البنات بتاتًا، هل يصح أن أعطيها البنت؟

-حسنًا، سوف أحكي لك قصة قصيرة من سيرة الرسول محمد وسوف أحاول اختصارها.

*في يوم خرج طفل في الثامنة مع أمه ولكن في الطريق كان هناك قطاع طرق فأخذوا منها الطفل وباعوه كعبد واشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخ سيدتنا خديجة بنت خويلد ابتاعه من

سوق عكاظ ومن ثم أهداه إلى عمته خديجة بنت خويلد ومن ثم اهدته خديجة رضي الله عنها الى نبينا محمد.

نبينا محمد لم يعامله كعبد ابدًا بل عامله كأبن له، في أول يوم كان يبكي الطفل ويقول:

أريد أمي أريد أبي...

ولكن بعد أن رأى معاملة السيدة خديجة ونبينا محمد له نسى تمامًا وأنس بالوجود في بيت أحسن الخلق نبينا محمد.

*سكت الشيخ مصطفى ونظر إلى عطاالله وسأله أتدرى من هو البخيل؟

*رد عليه عطاالله مستغربًا من السؤال بعدما اندمج في القصة:

-من هو البخيل يا شيخ...؟

-البخيل هو الذي يسمع اسم خير الخلق نبينا محمد ولا يصلي عليه، تذكر انك إن صليت على الرسول مره صل الله عليك عشر.

-ولكن ما هو فضل الصلاة على الرسول؟

-فضلها تغفر الذنوب ويشفع لك نبينا محمد يوم القيامة عندما يأذن الله له بذلك.

دعني أكمل لك القصة بما اني أوشكت على الوصول إلى بيتي:

كان أهل زيد يبحثون عنه في كل مكان و كان أبوه ينشد فيه الشعر لان الشعر في ذلك الوقت مثل وسيلة إعلان في وقتنا

الحالي، ومن ثم كان أحد اقربائه في مكة فرأي زيد فذهب إلى أهل زيد أخبرهم بأنه رأى زيد لذا قرر والد زيد أن يجمع مال لكي يعطيها لمالك زيد الحالي... لأن من يسبى ويأخذ كعبد يباع في سوق الرقيق وقد اشتراه حكيم بن حزام بن خويلد بأربعة الاف درهم.

جمع أهله المال وذهبوا جميعهم إلى مكة وبحثوا عن بيت محمد بن عبدالله الذي عرفوا أن زيد عنده.

طرقوا الباب فخرج نبينا محمد صل الله عليه وسلم... وسألهم؟ فأجابوه بأنهم أهل زيد وأنهم يريدونه وسوف يعطون نبينا محمد المال لكي يعيده إليهم.

فقال لهم نبينا محمد:

-لا أريد منكم مالًا بل أنا سوف أحضره لكم لكي يتعرف عليكم وسوف نخيره بيننا... إذا اختاركم أنتم فخذوه ولا أريد منكم مالًا... بينما إذا اختارني سوف تعودوا من حيث أتيتم.

طبعًا أهل زيد وثقوا في أنفسهم وقالوا في قرارة أنفسهم:

"سوف يعود لنا ابننا ولن ندفع مالًا".

أتى زيد وعندما رأى أهله بكى وسعد برؤيتهم ومن ثم خيروه فأختار نبينا محمد صل الله عليه وسلم وذلك من حسن معاملة نبينا محمد له وعطفه عليه.

فأخذه نبينا محمد وقال للناس جميعًا:

-انه من الآن اسمه زيد بن محمد.

يعني نبينا محمد أعلن أن زيد ابنًا له.

ولكن هذا الكلام قبل البعثة بكثير ولكن عندما نزل القرآن على نبينا محمد، قال الله تعالي(ادعوهم لأباءهم هو اقسط عند الله).

لذا بعد ذلك نبينا محمد جعل اسمه مثل ما كان زيد بن حارثه.

المقصود من تلك القصة انه في وقتنا هذا يوجد بعض الناس عندما يجدوا أحد من أقاربه لا ينجب فيأتي الآخر ويعطيه ابن من ابنائه.

ولكن ليس للتربية فقط بل يخذونهم ويسمونهم كأنهم ابنائهم تمامًا... وهذا أمر نهى الله عنه.

بينما أنت إذا كنت سوف تعطيها البنت لكي تربيها فقط فهذا أمر ليس بحرام ولكن الذي نهى الله عنه ان تعطوها البنت تمامًا وتسمى باسم أب ليس بأبوها.

ولكن تذكر أن تهتم بتلك البنت من وقت لأخر لكي تحبك وتتعلق بك وتكن لك حجابًا من النار يوم القيامة.

*هنا شعر عطاالله بأنه مرتاح تمامًا وكل الاسئلة التي في باله قد علم اجابتها وأردف قائلًا:

-جزاك الله خير الجزاء يا شيخ مصطفى فقد اسعدت قلبي وأرحت لي بالي.



*رجع عطاالله لبيته وعندما وصل فتح ذاك الزير المصنوع من الطين ومد يده وهو ممسك بذلك الكوب الصفيح لكي يشرب بعد ذلك المشوار الطويل.. وهو يشرب كان ينظر لبنته بدر التي انارت له حياته وأنارت له قلبه وبصيرته، بالفعل جعلت حياته ومفاهيمه تتغير.

*أخذ بدر من جانب امها من تحت الناموسية(الناموسية هي عبارة عن قطعة قماش خفيفة جدًا توضع فوق أعمدة السرير كي تغطيه من كل الجوانب فتمنع دخول الناموس) أخذ بدر ووضع رأسها على كفه وقربها منه وقبل جبينها ومن ثم بدأ في أن يتلوا عليها قصار السور التي يحفظها ودعا الله أن تكون من حفظة القرآن الكريم.

★★★

*في اليوم التالي أتت منيرة وأخذت زينة ولكنهما طلبا منها بأن تحضرها من حين لأخر كي تعتاد عليهم هم أيضًا.

*مر عامين وها هي فوزية تنجب طفلها الثالث، لم يكترث عطاالله هذه المرة بل قال في قرارة نفسه: "ان ما سوف يرزقه الله به هو خير وأنه راضٍ به".

من ثم خرجت الداية وبشرته بأن المولود ذكرًا، لقد وثب عطاالله من شدة فرحه لم يتوقع ابدًا بأن من يرضى بما كتبه الله له يرزقه الله بما يتمنى ويرضيه.

دخل مسرعًا إلى غرفة زوجته وقبل رأسها ولم يصدق نفسه وهو ينظر إلى الطفل الصغير.

*في اليوم التالي عندما أتت منيرة لكي تهتم بأختها طلبت منها أن تأخذ بدر وتربيها هي الأخرى مثل زينة، ردت عليها فوزية إذا كنتِ تريدي بدر أعطيني زينة كي لا يكون عليكِ الحمل كبير.

*وافقت منيرة وردت لها زينة وأخذت بدر، فهي تحب الاطفال في تلك الفترة من العمر كثيرًا.

*تقول منيرة لفوزية وهي مندهشة:

-ابنتك بدر تشبه امنا سعدية تمامًا، لها نفس العيون الخضراء الساحرة، أشعر اني كلما نظرت لها تأثر قلبي بنظراتها تلك.

-صحيح نفس عيون جدتها تمامًا، وأيضًا هي وجهها اتي بالخير علي، انظري كيف تغير حال عطاالله إلى الأفضل ومعاملته معي تغيرت كذلك لدرجة انه أصبح يحبني ويتكلم معي ويشرح لي ويفهمني كل الأمور التي يتعلمها في الحياة والدين كذلك.

-هل تتذكرين ما قالته لنا أمي عندما نظرت في عيوننا حينها كان عمري ٢٦ عامًا أي كان قد مضى على زواجي عشر سنوات ولم أنجب بعد.

*ابتسمت فوزية لأنها تذكرت التنبؤات التي قالتها لهن امهن قد حدثت كما قالت بالفعل.

-نعم أتذكر هذا وأنا كنت حينها عمري ١٩ عامًا ولم أتزوج بعد وهذا كان أمر غير مألوف بيني وبين البنات الاتي في سني، فقد تزوجن أغلبهن وأنا لا أفعل شيء سوى حضور افراحهن، أتذكر يومها عندما كنا معها جالسين على المصطبة أمام البيت ونتنسم الجو العليل ونسماته الباردة تداعب وجنتينا وانوفنا حتى احمرا وكنا نشرب أفضل شاي في العالم من يد امنا سعدية كوب شاي بالنعناع الطازج، مهما يكن بي من هموم أو تعب وأحتسي ذلك الشاي مع أمي أشعر بعدها بالسعادة العارمة التي تجري في عروقي ودمي.

-يبدو أن امنا كانت تضع لمسات السحر خاصتها في ذلك الشاي لكي نشعر بتلك السعادة التي لا توصف.

-يبدو أن امنا كانت تفعل ذلك.

*تحركت منيرة واقتربت من أختها فوزية ممسكة يدها وهما يجلسان على المصطبة خارج البيت:

-هل تتذكرين عندما طلبتِ من أمي أن تنظر في عينك بعدما مر عشر أعوام على زواجك وسألتِها:

-يا أمي قولي لي لماذا لم أنجب إلى الآن؟

*ردت فوزية ضاحكةً:

- نعم أتذكر حينها حاولت أن تتملص منك وتهرب كي لا تجيب على سؤالك مثل من يهرب من أفعى.

-نعم، ولكني أصررت عليها لأني أعلم جيدًا الجيران يقولوا ان أمنا تقرأ العيون تعرف الماضي والحاضر والمستقبل الخاص بمَن أمامَها بنظرة عين.

-صحيح كم كانت امنا موهبة وتتملك هبه عظيمة من المولى عز وجل، ان الله قد أنعم عليها بنعمة البصيرة وتستطيع بفراستها ان تعرف كل شيء.

-ولكن على حظي أنا لم ترغب في أن تساعدني وقالت لي:

-أنا كنت اساعد الناس وأقول لهم ليس للحصول على أجر مادي نهائي، كنت أحاول ان أطمئن أو أحذر الناس من بعض الأمور لله في لله، ولكن عندما سمعت القرية كلها بي أتى إلي شيخ القرية وقال لي اني دجاله وأدعي علم الغيب...!

وأنا لم أقل يومًا اني أعلم الغيب ولست دجاله لأني لا أخذ المال مقابل خدمتي.

نصحني بأن أتوقف عن ذلك لأن هذا حرام وليس له معني ثاني سوى ادعاء علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله.

لذا قررت في قرارة نفسي ان لا أقول لأحد شيء.

-ولكنني أنا بنتك يا أمي وهذا الموضوع يؤرقني...!

*نظرت أمي لعيني وشعرت بأنها سوف تقول لي ولكنها أعرضت عن الكلام وقالت لي انها سوف تطلب من الله رؤيا في موضوعي فأن الشيخ قال ان الرؤي رسائل من الله وليست حرام مثل قراءة الفنجان والعيون والكف.

*في اليوم التالي عندما ذهبنا إلى أمي وسألتها:

-ماذا حدث بشأن الرؤيا...؟

قالت لي:

-لقد رأيت لك الرؤيا معناها انك يا منيرة زوجك رجل طيب ويحبك ولكن الكمال في هذه الحياة لا يمكن ان يحدث، أنتِ نعم الزوجة وزوجك لا يوجد أطيب من قلبه، ولكن هناك شيء سوف ينغص عليكِ حياتك... وسكتت...

-وما ذلك الشيء الذي سوف ينغص علي حياتي؟

*ردت علي أمي والغصة تخنقها:

-أنتِ لن تنجبي لأن زوجك عقيم، ولكنك ستفضلين العيش معه عن الزواج مرة اخرى للأنجاب لأنك لن تجدي من يحبك مثله.

*نظرت لها بحزن وقد امتلأت عيناي بالدموع التي أحاول كبحها وأن لا تنزل أمام أمي... ولكن أمي شعرت بغصتي وحرقة قلبي.

أمي تعلم جيدًا أن المرأة قد تتحمل أي شيء في الحياة الا أن تفقد شعور الأمومة، ذلك الشعور بالمسؤولية اتجاه قطعة منك هو الذي يجعل للحياة طعم، وكل مشاعر الحياة كوم ومشاعر الأمومة كوم ثاني تمامًا.

*حينها شعرت أمي بكسرتي اقتربت مني وبشرتني وأردفت:

- سيكون لكي بنت ولكنها ليست من صلبك ولا صلب زوجك ولكن ستكون نعم الابنة لكما.

-ولكن كيف يا أمي...؟

-لا أستطيع أن أقول لكي... وتذكري أن لا يعلم الغيب الا الله... وهذا هو ما رأيته في الرؤيا ليلة أمس.

* ردت فوزية بلؤم وهي تنظر لأمها بطرف عينها:

-اذا كانت تلك رؤيا يا أمي، لما لم تحكي لنا الرؤيا في بداية حديثك معنا...؟

أنا أعرف من يرى رؤيا يبدأ بقول... خير اللهم اجعله خير، ومن ثم يقوم بسرد الرؤيا، ومن ثم يقول التفسير إذا كان على علم به...

*ثم أردفت أمنا وهي تمسك بأذنك يا فوزية و قالت لك:

- وماذا تريدين مني أيتها السوسة اللئيمة.

*بالفعل كانت قرصة أمي للأذن مؤلمة حقًا يا منيرة، أي كأنها لدغه حية ليست بقرصة من شدة الألم التي تسببه... أتذكر حينها قلت لأمي:

-أمي أنتِ لم تري رؤيا... بل أنتِ تعرفي كل شيء من العيون... لأنك لو حلمتي لكنتِ ذكرتي تفاصيل الرؤيا... وأريد منك الآن كما قلتي لمنيرة ماذا سيحدث معها قولي لي ماذا سوف يحدث معي، وهل سوف أتزوج أم لا؟

-أولًا... لا يجب عليكن تصديق ما قلته لكما ويجب أن يكون يقينكم فقط بالله، وأنا لم أذكر أي تفاصيل لمنيرة وأتمنى من الله أن يكون كلامي خطأ وأن يرزقها بأولاد وبنات يملئون عليها البيت ويشعرونها بالسعادة.

*هذا الكلام وقع على مسامع منيرة وجعلها تشعر بالأمل من جديد وتمنت من الله أن لا يحرمها من الذرية، وهذا الكلام جعل قلبها يتحول من صحراء جرداء قد جف منه كل ذرة أمل فبسبب هذا الكلام شعرت بأنه مثل الغيمة المحملة بالمطر وقد بدأت قطرات المطر تسقط رويدًا رويدًا على صحراء قلبها وتحولها إلى أرض خصبة بالأمل والثقة في الله، بعد هذا الكلام غيرت وجهتها وأصبحت ثقتها في الله وليس في كلام امها.

*نظرت لكِ ورأيتك سرحتِ وعلمت ما يدور في خلدكِ ولكن أنا لم استسلم وتقربت من أمي أكثر وأصررت عليها أن تقول لي ما يخبئه لي القدر.

*أتذكر ذلك يا فوزية لدرجة ان أمي كانت تتملص منك وتريد أن تدخل البيت بحجة أن الجو صار باردًا على المصطبة.

*هه ولكني لم أتركها وشأنها وجلست على حجرها كي لا تقوم من مكانها وقولت لها: "انظري في عيني وقولي لي ما سوف يحدث لي" وعندما لم تجد لها مفر مني اضطرت أن تقول لي:

-ولكن كل ما سوف أقوله لكي لا يجب أن تصدقيه... هو مجرد كلام قد يحدث وقد لا يحدث... ها قولي لي سؤال واحد وأنا سوف أجيبك عليه:

-هل سوف أتزوج أم لا؟ وهل سوف يكون من أتزوجه يحبني كما يحب طلعت منيرة؟ وهل سوف أنجب...؟ وكيف سوف يكونوا اولادي؟

*هه أتذكر يا فوزية ان أمي اسكتتك من فرط الاسئلة التي ذكرتيها أمامها وأردفت:

-كفى، قلت لكي سؤال واحد، وسوف أبدأ في الإجابة من الآن، كي تكفي عن الاسئلة.

اسمعي يا بنتي... لو على الزواج سوف تتزوجين شخص سوف تعرفينه من أحد الافراح التي تهتمي بالذهاب اليها.

سوف يراكِ ويعجب بكِ ويطلبكِ للزواج، ولكن هو لا يحبك بجنون ولا هو يكرهك مجرد علاقة زوجية تتعايشين معه، ولكن في مرة سوف تحدث في حياتك نقطة تحول ويصبح شخص اخر ويحبك، وبالنسبة للأنجاب سوف تنجبين ثلاث، بنتين وولد.

-ولكن يا أمي أريد أن أعرف كيف سوف يكونوا لهم شأن عالٍ أم مجرد أطفال كبقية أطفال القرية.

-قلت لكي لن أجيبكِ على أي أسئلة اخرى.. يكفي انكما جعلتاني أقول لكما هذه الأمور ونقضت عهدي، آهٍ منكن بسببكن سوف أصوم ثلاث أيام، هذه اخر مرة انقض بها وعدي، ولكن عداني لا تصدقا أي شيء مما قلته، كل ما قلته لكما كان مجرد فضفضة.

*آه يا منيرة ظلت تقول لنا لا تصدقا هذه مجرد هرطقة لا أساس لها، وفي النهاية حدث كل ما تنبأت به.

*نظرت منيرة لفوزية مستغربة وهي تمط شفتها متسائلة:

-لماذا لم نأخذ هذه الصفة من أمنا...؟

-انها هبة من الله والله يرزق بها من يشاء.

-ولكن يا فوزية ان ابنتك بدر لها نفس عيون جدتها سعدية تمامًا، نفس تلك العيون الخضراء.

-صحيح انها تشبهها كثيرًا، أتمنى ان تكون مثلها وأن يرزقها الله تلك الهبة، وينعم عليها بنعمة البصيرة.

*اخذت منيرة بدر ولكنها لم ترجع بدر لأهلها بعد عامين بل طلبت من أختها فوزية بأن تأخذ البنت وتربيها وتكون بنتًا لها.

*شعرت منيرة انها لا تستطيع ان تستغنى عن بدر، قد اعتادت عليها في حياتها، كان هناك احساس يملئ قلبها بأنها لا يمكنها ان ترجع بدر إلى أمها وأبيها، كل ما تخطر هذه الفكرة في بالها تشعر بأنها سوف تستغنى عن قطعة منها، وليس أي قطعة، بل انها تشعر بأنها سوف تستغنى عن قلبها أي انها ليس لها حياة من دون بدر التي تنير لها حياتها.

*لم يرفض عطاالله ولم ترفض فوزية، وقدرا موقف منيرة وشعورها، وحمدا الله على بنتهم زينة وابنهم زين ولكن طلبا منها من حين لأخر تأتي بدر اليهم كي تعتاد عليهم ولا تنساهم.



الفصل الثاني

الفيلا

*في عام ١٩٤٦ في شهر مايو وجد طلعت وظيفة عمل كبواب في بيت العمدة فأعتبر ان بدر وجهها خير عليه لأنه وجد وظيفة ذات دخل جيد، وفي سنة ١٩٥٠ في شهر سبتمبر وجد وظيفة مماثلة لعمله لأحدى العائلات الغنية في القاهرة في المعادي.

*قال لزوجته في لهفة:

-ان بدر وجهها خير علينا، لقد وجدت وظيفة أفضل من بواب في بيت العمدة، صديقي حنفي الذي كان يعمل بواب في احدى الفيلات في القاهرة، قال لي ان مالكين الفيلا أعطوه اجازة لان زوجته سوف تنجب ذلك الاسبوع، وهم في حاجة إلى بواب في تلك الفترة وحتى بعد أن ينهي حنفي اجازته هم يحتاجون بوابان ليس واحدًا، وقال لي: "أي سوف تكون صديقي في العمل أيضًا".

آه يا منيرة اسمعي، لقد قال لي ايضًا أن مالكين البيت يحتاجون خادمة، وحنفي قال لي:

-ان لم تكن زوجتي سوف تنجب لكنت أتيت بها إلى هنا لكي تعمل معي خادمة، أنت لا تدري المرتب هنا جيد جدًا، ولكن أنت تعلم حتى لو أنجبت زوجتي من سوف يهتم بأولادنا، لذا أتمنى أن تجد أنت من يعمل في تلك الوظيفة.

*عندما قال لي ذلك التمعت فكرة في ذهني، بما اننا بمفردنا وليس معنا أطفال فلتأتي للعمل معي.

*حزنت منيرة وقطبت حاجبيها وشعرت بالغضب كذلك من كلامه الذي لم ينتبه له وأردفت:

-ومن قال لك اننا ليس لدينا أطفال، ماذا عن ابنتنا بدر...؟

*حك طلعت رأسه في إحراج واستطرد:

-أنا أظن أن من الأفضل أن نعيدها لأهلها، كي لا تعرقلنا اثناء العمل.

-ومن قال ذلك، بدر فتاة هادئة تمامًا، وأنا التي أتعامل معها طوال اليوم ليس أنت، وسوف تكون معي في أي مكان أنا به مثل ظلي، كي لا تغيب عن عيني، أنا لا أستطيع العيش بدونها، أنا أشعر مع بدر عندما أنظر في عينها أتذكر أمي وأشعر في حركاتها بأختي فوزية وأشعر بطفولتها كأنها بنتي، بدر بالنسبة لي عدة أمور وعدة مشاعر ولن استغني عنها.

-افعلي ما تشائين يا منيرة، أنا قلت ذلك ليس من أجل أن أجرحك، أنا قلت ذلك لأني لا أريد أن يضايقك شيء.

-بدر سبب سعادة لنا ليست لمضايقتنا أبدًا.

-اختاري ما تشائين، المهم في النهاية أن تكوني معي، أنتِ تعرفين اني لا أستطيع أن أكون بعيدًا عنك حتى يوم واحد.

*شعرت منيرة بالخجل وأحمر وجهها وصارا خديها مثل الطماطم وأردفت:

-ولكني يا طلعت لم أجرب العمل من قبل.

-هذا ليس عمل بمعنى عمل، تعرفين الأمور الذي تفعلينها في بيتنا من تنظيف وطهي، سوف تفعلين ذلك مقابل أجر.

-ولكنني لم أترك القرية من قبل، أظن اني لن أعتاد على مكان مختلف عن القرية التي نشأت بها.

-بالعكس سوف تحبين القاهرة أكثر وترتاحين في جو المدينة وسوف تعجبين بالفيلا فهي مكان أرقى بكثير من ذلك البيت الصغير المصنوع من الطين، سوف تري العز والراحة هنالك صدقيني.

*ابتسمت منيرة وقد شرح وجهها بعلامات الرضا وأردفت:

- أنا معك في أي مكان تريدني أن أكون به معك.



سافرت منيرة وزوجها ومعهما بدر إلى القاهرة، عندما دخلت منيرة إلى الفيلا لم تصدق نفسها بل وشعرت انها في الجنة.

ظلت منيرة تنظر إلى كل شيء في دهشة ولهفة، لم تصدق ذاتها عندما رأت الفيلا وضخامتها وسألت زوجها طلعت وهي مندهشة وقد فتحت فاها على مصرعيه:

-كم شخص يعيش في هذا المكان يا سي طلعت...؟ أكيد سوف أخدم أكثر من مئة شخص ها هنا...!

*ضحك طلعت وقهقه بسبب اندهاش زوجته، فهو إلى حد ما أعتاد على مظاهر العز في العمل في بيت العمدة، ولكن الاختلاف هنا ان كل شيء على مستوي عالٍ من الرقي، وأردف موضحًا لها:

-لا يا حبيبتي صدقيني ان كل هذه الفيلا لا يعيش بها سوى أربع اشخاص، البيك والهانم وابنيهما.

*هزت منيرة رأسها وهي تستمع لزوجها وهي في عالم اخر تتأمل كل ما حولها، سواء من مبني الفيلا المكون من طابقين ويوجد مبنيين واحد على يمين الفيلا وأخر على يساره، وغير الغرفتين الكبيرتين خلف الفيلا، فهذه أماكن للخدم، وفي حين كانت منيرة تمشي سارحةً في هذا الجمال المعماري الذي حولها، وجمال الأشجار الذي تم تقليمه على أشكال لم تعتد أن ترى الاشجار عليها، وأكثر ما أسر قلبها تلك الورود التي تزين الفيلا، فجأة تثب منيرة متر في الهواء من شدة الفزعة التي افاقتها من شرودها في الفيلا:

*أخذ طلعت يقهقه بصوتٍ عالٍ، ومن ثم تمالك أعصابه وكتم ضحكته عندما رأى تعبيرات الغضب التي رسمت على وجه منيرة فور فزعتها، ومن ثم بدأ يربت على كتفها ويهدئها ويقبل يدها، وأستطرد:

-اهدئي يا حبيبتي، انه كلب، وإن هذا أمر مألوف في أي فيلا، ولا تقلقي فهو مربوط، وهو في بيته لن يؤذيكِ.

*تنفست منيرة الصعداء وقالت وهي متعجبة وهي تمصمص شفتها:

-كلب له بيت، عجيبة!



*أختار طلعت العمل في النهار كي يكون فترة عمله مع زوجته منيرة متماثلة، وكان لهما غرفة في الحديقة خلف الفيلا ينامون بها كانت غرفة كبيرة حقًا وبها كهرباء ومصنوعة من الطوب لا من الطين ومطلية باللون الابيض مما أضاف إليها لمسة رقي، كانت الغرفة بها حمام افرنجي لم تفهم منيرة كنهه.

وسألت طلعت مستغربة:

-لم دورة المياه مختلفة ها هنا...؟

-ان الحمام هنا على الطريقة الفرنجية، سوف تعتادين على الأمر مع الوقت.

*كان هناك سرير واحد في الغرفة لمنيرة وطلعت، لذا طلبت منيرة من طلعت ان يبتاع مرتبه لبدر لكي تنام عليها وأن يبتاع ستارة كذلك لكي تشكل حاجز بعد مرتبة بدر أي كأنها غرفةُ خاصةً لها تفصلها عنهما.

حقًا لم تحلم منيرة بحياة مثل هذه، وشعرت أن بدر هي بشرة خير لهما.

*كانت بدر تقضي يومها كله في جرة خالتها، أينما تمشي خالتها منيرة هي تمشي ورائها، للدرجة لم تكن تقل لها يا خالتي منيرة، بل كانت تقول لها يا أمي، حتى زوج خالتها طلعت كانت تقول له أبي، أحبتهما كثيرًا وكانوا نعم الأهل لها، وشعرت بكل الحب الذي تحتاجه في كنفهما، قد احتواها وعاملاها كأنها أكثر من ابنتهما، فاقد الشيء هو الذي يعطيه بالفعل، من يفقد الشيء هو من يشعر بقيمة الشيء وقدره الحقيقي، بينما من يمتلك الشيء في الأساس لا يشعر بقيمة ونعمة الشيء الذي في يده إلا عندما يخسرها.

*كانت الغرفة التي كانت تعيش بدر وخالتها وزوج خالتها كأنها قصر بالنسبة لهم، بالفعل أنت ترى الأشياء التي حولك كما تريد أن تراها، يعني مثلًا قد تكون في قصر ولكنك تفكر بسلبية وهذا يجعلك ترى الدنيا بعين الذبابة ترى كل ما حولك قبيح ويبعث الكأبة، بينما بالقناعة والرضا وشعورك الداخلي الذي تملئه الطاقة الإيجابية ترى كل ما حولك بشكل جميل فتنتظر للدنيا بعين النحلة

التي ترى الجميل فقط، فالنحلة يكون هدفها الوصول إلى ما هو جميل ألا وهي الزهور لإنتاج ما هو أجمل ألا وهو العسل.

*لذا يجب علينا أن ننظر للحياة بطريقة ايجابية لأن هذا يؤثر على افعالنا وإذا كانت افعالنا ايجابية تكون النتيجة العائدة علينا تكون بالنفع كذلك.

على سبيل المثال بإمكانك أن تشعر بالحر وأنت في وسط الثلوج وذلك بمجرد شعور كامن بداخلك، من الأفضل أن نطوع نحن أنفسنا بما نريد، أي نقوم بعمل عملية برمجة لأنفسنا بكل الصفات الجيدة.

آه ما هذا الذي اثرثر فيه دعوني أكمل لكم باقي القصة لا يوجد وقت للخواطر هاهنا.

*مرت الشهور في ذلك المكان الجديد وأصبحت بدر في السابعة من العمر.

*بدر في المطبخ مع خالتها كي تسليها أو كي لا تتركها وحدها.

ولكن كانت بدر تتسلل من حين لأخر من المطبخ عندما تنشغل خالتها في إعداد الطعام.

كانت بدر ترتدي ملابس جميلة حقًا، فكانت خالتها منيرة تحدد جزء من مرتبها كي تشتري لها فساتين جميلة، تختار لها ملابس تليق بقدر جمالها الخلاب وبقدر الفيلا التي تعيش فيها، لان منيرة لا ترغب أبدًا بأن تجعل بدر تشعر بأنها خادمة.

بدأت بدر تتسلل من المطبخ إلى أن وصلت أمام مكتب البيك الكبير، ووقفت أمام الباب وتنظر للبيك الكبير وتبتسم له ببراءة.

كان البيك الكبير لم يرى طفلة بجمال بدر، وكان على قدر من التواضع حيث كان عندما يراها يداعب وجنتيها الوردتين، وبعدما انتهى من مداعبتها نظر إلى ساعته ورأى أن الساعة قد أوشكت على الثانية ظهرًا فطلب منها أن تهم مسرعةً بأن تخبر امها منيرة ان تبدأ في إعداد المائدة، كان البيك متواضع جدًا حقًا مع الخدم ولكن أهم شيء عنده الالتزام بالعمل والدقة في المواعيد.

*نظرت بدر في عينيه وقالت : "أكل ومائدة.. حسنًا".

*دخلت بدر المطبخ وهي تتبختر سعيدة بفستانها الذي يطير معها في كل مرة تثب فيها للأمام أو لأعلى، أول ما دخلت سألتها خالتها منيرة:

-اين كنتِ يا بدر، ألم أقل لكي لا تفارقيني أبدًا.

-كنت مع البيك الكبير وقال لا تتأخري على موعد الغداء.

-أنا لن أتأخر أبدًا، لقد انتهيت لتوي ولكني أضع لمسات بسيطة، ولكن لا تخرجي وتتركين المكان الذي أنا به، حتى لا يطلب أحد منك شيئًا، أنتِ هنا لكي تكوني مثل ظلي، وليس لأخذ الأوامر من أحد.

نظرت بدر في عين خالتها عندما أخذتها خالتها ووضعتها على كرسي بجوارها وقبلتها من بين عينيها، عندما نظرت لها بدر أردفت:

-امي لا تضعي ملح في طعام البيك الكبير اليوم.

*نظرت لها خالتها ضاحكةً وأتت إليها لكي تداعبها في بطنها وأردفت:

-اه منك ، حالاً ما كبرتي وأصبحتِ تعلميني كيف اطهو كذلك.

-اه وشيء اخر يا أمي، لا تجهزي حساء الخضار للبيك الصغير.

-وأي بيك صغير، فهناك اثنين كامل وفؤاد...!

-اكيد فؤاد بيك، هو لا يحب حساء الخضار.

-حسنًا، وما رأيك في شوربة لسان عصفور هل ترين أنه سوف يحبها...؟

-نعم سوف يحبها لو وضعتي معها مكعبات من اللحم الصغير معها.

*وبللت بدر شفاها بلسانها من اشتهاء الأكل... ولكن سرعان ما سألتها منيرة متعجبة..!

-وكيف علمتي ذلك يا أريبه، نحن لا نراهم أثناء الأكل كيف علمتي من يحب ذلك ومن لا يحب.

*هزت بدر كتفها ورفعته لأعلى ومطت شفتها أي لا تعلم.

* بدأت منيرة الفأر يلعب في عبها مثل ما يقولون بدأت تشك في حدس بدر، كيف بنت في سنها تعطي أفكار كهذه...؟

ولكنها توقفت عن التفكير لكي تبدأ في تحويل شوربة الخضار إلى شوربة لسان عصفور، لم تفعل شيء سوى انها انتزعت الخضار

ووضعت عوضًا عنها معكرونة لسان العصفور ومن ثم قامت بتقطيع مكعبات اللحم الكبيرة إلى مكعبات أصغر.

*كانت منيرة تربي بدر على احترام رأيها وأن تسمع لها أحيانًا كما تسمع لها بدر، وهذه طريقة جيدة في التربية حيث ينشأ الطفل لديه ثقة في نفسه وفي قراراته وثقه في من حوله حيث يسمعون ويقدرون وجهة نظرة.

*قدمت منيرة الأكل وتركت الاسرة لكي يأكلوا، وبعد دقيقتين سمعت منيرة مَن ينادي عليها صارخًا، كانت الهانم هي من تنادى عليها، نادت عليها كي توبخها، كانت مندفعة وغاضبة مثل شاحنة ضخمة على الطريق السريع وعندما وصلت منيرة أمامها اصطدمت بها وشعرت انها تجزأت إلى أشلاء من شدة السب الذي انهال عليها، وأردفت:

-أنتِ يا غبية ما هذا الطعام لا يحتوي على أي ملح نهائي...

إنها مجرد فلاحة لا تفهم في أكل الباشوات.

لو كررتِ غلطتك تلك لن يكون لكِ أكل عيش هنا.

نعم انها هنا تعيش عيشة لا تحلم بها، فلاحة مثلها بالنسبة لها جنة أن تعيش هي وأمثالها في بيت الكلب.

*طلب رفعت بيك من زوجته دولت هانم أن تتوقف قليلًا لأنه لا يحب ذلك الاسلوب، لا يحب أن يهين أي أحد، ولكنه أوضح لمنيرة أن يجب عليها أن تنتبه أكثر للأكل الذي تصنعه ويكون طعمه يستساغ، بدون الحاجة إلى التعديل من بعدها.

*كان رفعت بيك لا يهين أحد من العاملين سواء الموجودين في شركته أو من في بيته، ولكنه يحب الانضباط.

*كان كامل عمره حينها خمسة عشر عامًا، كان ينظر لها في تشفي، ويعجبه معاملة أمه لمنيرة، فهو يحب تلك المعاملة المبنية على الطبقية والعنصرية.

*بينما فؤاد كان عمره حينها اثنى عشر عامًا، ولكنه امقت تمامًا ما فعلته أمه بالخالة منيرة كما يناديها دائمًا.

*كأن الهانم وكامل من طين وفؤاد وأباه من طين اخر.

متمسكين بالفطرة التي خلقنا الله عليها ألا وهي أننا جميعًا واحد، ولا يوجد اختلاف بين أحد، والله خلق الطبقية ليس من أجل أن يذل القوي الضعيف ولكن من أجل أن نكمل بعضنا بعضًا.

*حسنًا، حسنًا... سوف أكف عن خواطري و أكمل لكم ما حدث.

*منيرة تسمع ولا تقدر أن ترد لأنهم باشوات، وحتى وأن لم يكونوا كذلك، من فرط الإهانة لم تستطع أن تحرك ساكنًا، تحبس الدموع في عينها مثل الغيوم المحملة بالمطر وقد تغير لونها، هي قوية ولا تحب ان تنكسر بسبب كلامهم، وهي فقيرة ولكن لديها كرامة، هي فقيرة ولكن لا تنكسر ولا تشعر بالذل أمام أحد.

*بعد انتهاء الغداء وخروج رفعت بيك ودولت هانم للنادي، دخل فؤاد إلى المطبخ حيث توجد الخالة منيرة وبدر الجميلة.

عندما دخل ابتسمت له بدر الجميلة بثغرها الصغير وحيته بيدها الصغيرة مؤشرة له أي مرحبًا.

نظر لها فؤاد بنفس تلك الابتسامة وحياها في لهفة، كان يحب نظرة بدر كثيرًا ولكنه نادى على الخالة منيرة وأردف:

-خالتي منيرة...!

*فزت منيرة من مكانها ووقفت احترامًا له، و استطردت:

-نعم يا سعادة البيك، تأمرني بشيء؟

-كنت أريد أن أشكرك على شوربة لسان العصفور، انها جميلةً حقًا لأنها من يدكِ.

-تسلم يا سعادة البيك، كل يوم قل لي ماذا تحب وسوف اطهوه لك.

-بصراحة يا خالتي منيرة، كنت أريد منكِ شيئًا اخر، لا تحزني مما حدث اليوم.

*نظرت له بدر بنفس تلك الابتسامة وأردفت:

-لا تقلق، لا تقلق ستكون بخير الليلة صدقني.

*ابتسم لها فؤاد ورحل.



*في المساء عندما انتهت من عملها وانتهى طلعت من عمله كذلك، حكت له ما حدث:

عندما وجدت منيرة طلعت قد دخل الغرفة شرعت في البكاء، وكأنه هو الشخص الوحيد في الدنيا الذي يجوز أن تكون ضعيفة أمامه.

هرع طلعت إليها مسرعًا وقد شعر أن قلبه يتألم من مجرد رؤية منيرة تبكي، هرع إليها وتقرب منها وأخذها بالقرب منه ووضع رأسها على صدره أو بالأصح على قلبه لكي يهدأ قلبه قليلًا ولا يتألم لألمها، وأردف مهونًا عليها متسائلًا:

-هوني عليكِ يا منيرة، لا يوجد شيء في الدنيا يستحق دمعة منكِ، أنا هنا معكِ.

لا يوجد شيء في الدنيا يستحق الحزن ما دمنا معًا سويًا.

*قالت منيرة وهي تجهش بالبكاء والدموع قد ملئت وجهها وبللت صدر زوجها وقد أحمر أنفها ووجنتيها، وقد ازداد أنفها الرقيق وشفاها المملؤة حجمها، وقد بللت الدموع رموشها مما اكسبها طولًا ولونًا أغمق وألمع، أي أن منيرة عندما تبكي تزداد فوق الجمال جمالًا.

-أول مرة أشعر بال إ ها نه، أنا... أنا شعرت بالإهانة يا طلعت.

*نظر لها طلعت ووضع سبابته على فمها كي لا تكمل.

*استغربت منيرة لأنه أسكتها ومد يده إليها وجعلها تقف أمام المرآة وسألها:

-كيف تزدادين جمالًا هكذا؟

*ابتسمت منيرة وشعرت بالخجل ونست بكائها بالرغم من حزنها.

*استمر طلعت في مداعبتها بالكلام:

-تعرفين يا منيرة أنا أكثر رجل محظوظ في العالم، لأن أجمل امرأة في العالم ملكي أنا، لالا لستِ ملكي، بل أنتِ التي تمتلكيني وتمتلكِ كل تصرفاتي، أنا أسير حبك يا منيرة، منذ أن دخلتِ حياتي وأنتِ النور الذي بها بالفعل.

*منيرة لا تفعل شيء غير انها تنظر إلى زوجها في المرآة وهو يقف خلفها معانقًا إياها، لا تستطيع على قول شيء من شدة السعادة التي تشعر بها من الكلام الذي تسمعه من زوجها، لا تقول شيء سوى انها تتمتم في قرارة نفسها بأنها تحمد الله على أنه زوجها.

-أي أحد في العالم سواء ذكر أو أنثى مع تقدم العمر يقل جماله، بينما أنتِ تزدادين جمالًا كيف ذلك قولي لي...؟ هل هذا سحر...؟

*قالت منيرة وهي تشعر بالخجل:

-صدقني أنت تجامل.

-أنا أجامل..؟ حسنًا... حسنًا.

*ومن ثم أمسك بوجه منيرة وهما أمام المرآة وأردف متسائلًا:

-انظري في المرأة، هل رأيتِ عينين نجلاءين بهذا الجمال من قبل..؟

وما بالك بتلك الرموش السوداء الطويلة التي تعلن انتهاء العرض والسرح في جمال عينيكِ عندما تغمضينها.

تدرين يا منيرة ان عينيكِ بالنسبة لي تعوضني عن الذهاب إلى المسرح الذي يذهبون إليه الناس كي يشعروا بأنهم رأوا حياة مختلفة عن حياتهم أو يشعروا بأنهم سافروا من مكان إلى مكان على حسب القصة التي تعرض أمامهم.

لست بحاجة إلى كل ذلك، لست بحاجة أن أسافر من مكان إلى مكان بسبب عرض مسرحي أمامي، بل يكفيني النظر إلى عينيكِ، في عينيكِ أرى العالم كله، في كل يوم تأخذيني إلى عالم اخر، وأحيانًا لا أسافر فقط لأماكن على الأرض من خلال عينيكِ، بل أحيانًا أشعر بأني أطير إلى السماء.

*عندما سمعت منيرة ذلك لم تتمالك نفسها ولا خجلها وأطلقت ضحكةً من قلبها من شدة الفرح.

*نظر إليها طلعت وهي يطير فرحًا واستطرد:

-آه، أنتِ الأن تريديني أن يقف قلبي من شدة السعادة، لا يوجد شيء يسعدني سوى ضحكتك، ولا يوجد شيء يكسرني سوى دمعتك، ارجوكِ ظلي اضحكِ.

*نظرت له منيرة وهي في قمة سعادتها وكي تعبر عن شكرها وحبها واحترامها وامتنانها له نظرت إليه وهي تقبل يده، هذه الطريقة التي تعبر بها عن ما بداخلها ولا تستطيع البوح به، وقالت له في خجل والابتسامة على جانب فمها الأيسر:

-لذلك تطيل النظر في عيني بدون أن تتكلم.

-صدقيني أنا لم أقل لكي سابقًا سوى اني أحب عينيكِ ولكن الليلة أحاول أن أبوح لكي بجزء من مشاعري اتجاه عينيكِ، بل أنا أطير في السماء وأحلق وأحيانًا أشعر بأني في الجنة عندما أنظر في عينيكِ.

في كل مرة أنظر في عينيكِ أرى حكاية وقصة مختلفة، وفي كل مرة تغمضي عينيك وأرى جفنك ورموشك السوداء الطويلة أشعر بأن سِتار المسرح قد انسدل وأغلق وعندما تفتحين عينيك من جديد أشعر بأنه بداية عرض جديد في عالم عينيك الساحرتين.

*انبهرت منيرة من ذلك الكلام وشعرت بأنها أسعد انسانة في الكون وسألته مستغربة:

-ما هذا الكلام الجميل يا سي طلعت، أصبحت شاعرًا ، هذا كلام كبير على امرأة غير متعلمة مثلي، بينما أنت معك ابتدائية وصرت شاعرًا أيضًا.

-ان هذه مشاعري نابعة من قلبي لم اكتسبها من تعليم ولا من أحد، وصدقيني يوجد أكثر من ذلك في داخلي ولكني أعجز عن وصفه لكِ يا منيرتى.

*أخذ طلعت منيرة إلى سريرهما وناما ووضع رأسها على صدره وبدأ يمسح بيده بحنو على شعرها الأسود كالليل والناعم كملمس الحرير.

وقال لها بصوت هامس:

-قولي لي يا حبيبتي، ماذا حدث معكِ اليوم وعكر صفو مزاجكِ هكذا.

-لا أبدًا، لم أعد أشغل بالي، بل أنا سعيدة جدًا، وقد نسيت الموضوع بفضل كلامك المعسول.

-لا لن أنام ولن أتركك إلا بعد أن تحكي لي كل ما حدث معكِ.

*سردت له ما حدث وأضافت له مدافعةً عن نفسها:

-صدقني يا سي طلعت اني لم أفعل أي شيء خاطئ كي أستحق عليه كل هذا اللوم، يعني انه إذا وجد الطعام قليل الملح فأمامه طبق صغير به ملح وبعض من البهارات.. لم يكن هناك داعٍ للإهانة... وأنا لم أفعل ذلك في كل الأكل بل فعلت ذلك في أكل البيك الكبير، ولكن الهانم هي التي استشاطت في غضبًا واهانتني.

-لا تحزني ولا تكترثِ لكلامهم، هم بداخلهم نزعة يحبون ان يتحكموا في من هم أقل منهم مكانة.

-لم أستطع ان أتمالك نفسي يا سي طلعت شعرت اني صدمت، ولأول مرة في حياتي أشعر بالإهانة، أبي وأمي لم يجرحوني بكلمة ولا أنت أيضًا.

-نصيحتي لكِ لا تبالي أبدًا، ولا كأنك سمعتي شيئًا، أنا قد اعتدت هذه المعاملة طوال عملي في بيت العمدة، أتعلمين شيئًا...! انك اذا عملتي في أي وظيفة في العالم من هو أعلى منك سوف يتحكم بكِ بكل الطرق، ويبدأ في سرد شروطه عليكِ، ويخرج الضغوط التي يواجها في الحياة عليكِ، ومن هو ذا مستوى عالٍ يوجد من هو أعلى منه، والأغلب يخرج ضغوطه في من هو أقل منه، لذا لا تكترثِ، وخذي النقد بأنه ليس بإهانة.

-حاضر يا سي طلعت سوف أتحمل من أجل أن أكون في نفس المكان معك.

*في ذات الليلة استيقظت بدر في منتصف الليل لكي تذهب الى الحمام ولكن عندما عادت سمعت صوت الكلب يزوم وينبح وصوته كان يملئها رعبًا لذا همت بالفرار من فراشها ثانيةً، ونادت بصوت يملئه الخوف:

-أمي منيرة، أريد أن أنام معك..

*قالت لها خالتها بصوت ناعس:

-بدر أنتِ كبيرة الآن، لا داعي للخوف، أنا هنا معكِ إذا حدث شيئًا.

*اقتربت بدر من سرير خالتها الناعسة وهي تنظر لخالتها ببراءة وهي تمسك دميتها بيد راجفةٌ خائفةٌ ويزداد خوفها أكثر كلما سمعت صوت الكلب وكلما خافت ازداد تمسكها بدميتها وكأنا تستمد منها الأمان والطمأنينة، تلك الدمية المحشوة التي صنعتها

لها خالتها منيرة، انها بالفعل دمية قبيحة، رأسها مصنوع من قماش رمادي، وجسمها مصنوع من قماش أزرق، وفستانها من الأمام وردي ومن الظهر بنفسجي وعينيها عبارة عن اثنان من الأزرار كبيران لونهما أبيض وبالنسبة للأنف فكان عبارة عن زر صغير أخضر اللون، ولم تكن لتلك الدمية فم، ولكن أبدعت الخالة منيرة في صنع شعر تلك الدمية كانت عبارة عن قصاصات رفيعة طويلة من قماش لونه أسود وقامت بخياطة تلك القصاصات جيدًا لكي تصنع في النهاية أقبح دمية في العالم، لا أدري كيف لطفلة صغيرة بريئة مثل بدر لم تخف من تلك الدمية البشعة والمصيبة انها كانت تحبها وتطمئن أكثر عندما تعانقها، وكانت تسميها زينة على اسم اختها، لكي تشعر انها معها دائمًا.

*دعوني أترك الدمية قليلًا في حالها لكي أكمل حديثي.

*وقفت بدر أمام خالتها وقالت لها أريد أن أنام بجوارك، ودَعي أبي طلعت ينام في مكاني، فهو كبير لا يخاف.

*استمرت منيرة في التثاؤب وأردفت:

-حتى أنتِ كبيرة يا بدر.

ومن ثم قامت من فراشها وأمسكت يد بدر لكي تعيدها إلى فراشها وأردفت:

-هيا يا حبيبتي، لا داعي للخوف، وإذا احتجتِ شيئًا نادي علي.

*تصلبت بدر مكانها ولا تريد أن تترك يد خالتها، ظلت ممسكة يدها بقوة ولا تريد أن تتزحزح من مكانها وكأن أحدهم ثبت أقدامها

بمسامير في الارض... واستطردت وهي تهمس لخالتها وهي تنظر لها بخوف.

-امي صدقيني سوف تنقطع الكهرباء الليلة وأنا اخاف الظلام.

*نزلت منيرة على ركبتيها لكي يكون مستوى نظرها أمام عيني بدر.

قالت لها وهي تمسح على شعرها برفق:

-هذا هو الأمر إذن يا بدر، لا داعي للقلق يا صغيرتي، هنا نحن في المدينة لا تنقطع الكهرباء، وإذا انقطعت أنا معي شمع سوف أشعله لكِ.

-لا أحب الشمع انه يصنع خيالات مخيفة على الحائط.

-أنا أرى ان هذا دلع زائد وأنتِ كبرتِ على مثل هذه الأمور..

*لم تكمل منيرة كلامها إلا وقد انقطعت الكهرباء وحل الظلام... ضمتها بدر بشدة وهي ترتعش من شدة الخوف وقالت:

-ألم أقل لكِ، هيا دعيني أنام بجواركِ.

*ذهلت منيرة بما حدث أمامها وأخذت بدر في حضنها وذهبتا للفراش ونامتا سويًا.

* في اليوم التالي حكت منيرة ما جرى لزوجها طلعت، طمئنها وهي لا يبالي بالموضوع:

-انها مجرد صدفة يا عزيزتي، هي قالت ذلك لأنها كانت تريد النوم بجوارك، صدقيني مجرد صدفة.

- ولكنها هي لم تقل ذلك من قبل.

- لا تكترثِ لذلك الموقف يا حبيبتي.

★★★

*في الصباح طلب رفعت بيك من منيرة أن تعد له فنجان قهوة وأن تحضرها له في الحديقة، بالفعل جهزته له وكانت بدر تمشي ورائها كالعادة، ولكن عندما اقتربت بدر سمعت رفعت بيك يقول لزوجته:

-اني لا أريد ان أكل حقًا، اني اشعر بتعب لا أعرف كنهه..!

*فنظرت بدر الى البيك الكبير بعينيها الجميلتين ونظرت في عينيه وهو يداعب انفها الصغير بأنامله، من ثم وضعت بدر يديها على جانبيها من الخلف، فسألها البيك بلطف:

-ماذا بكِ أيتها الطفلة الجميلة، هل ظهرك يؤلمكِ؟

-لا ليس ظهري أنا، بل أنا آشر لك على موضع ألمك؟

-ولكني بصحة جيدة جدًا، ولا أشعر بأي ألم.

*ابتسمت له وهي تؤشر على صدرها:

*فقال لها ممازحًا ايها:

-وما هذا ايضًا هل هذا موضع ألمي كذلك؟

*أومأت برأسها أن نعم، ومن ثم وضعت يدها على قلبها، فقال لها وهو متشكك قليلًا:

-هل تقصدين ان هذا موضع ألمي الثالث...؟

*قاطعتهما منيرة وهي تسحب بدر من يدها بعد أن شعرت أن بدر سوف تورطها في مشكلة:

-اسفة يا سعادة البيك، انها بنت صغيرة، لا تقصد ما تعنيه بتاتًا.

*قاطع البيك منيرة وهي تلتمس إليه الأعذار ووَجه سؤاله إلى بدر مستغربًا:

-قولي لي يا جميلة من قال لكِ هذه الأمور...؟

*اجابته بدر وهي تمط شفتها السفلى وترفع كتفيها لأعلى أي ان اجابتها.. لا أعرف.

*فداعب شعرها فابتسمت له بدر ونظرت له بعينيها الخضراء الجميلة التي تجعل كل من يراها يفتن بجمالها وقال لها:

-اه... فتاة مشاكسة.

*استغربت منيرة من معاملة البيك الكبير لبدر، قالت متمتمة في قرارة نفسها:

-كيف لهذا الرجل الطيب المتواضع أن يتزوج من تلك المتعجرفة زوجته.

لا يوجد وقت للتفكير في مثل هذه الأمور، لدي الكثير من العمل.

*كانت دولت هانم تمقت تمامًا ذلك التصرف الذي يفعله رفعت بيك مع الخدم أو العمال.

★★★

*في مساء اليوم التالي، بدأ البيك الكبير يشعر بضيق في التنفس، أخرجته زوجته إلى الحديقة مساءً كي يتنفس جيدًا، ولكن ضيق التنفس استمر معه، وعندما كانت تحاول دولت هانم أن تجعله يمدد جسمه على الفراش ولكنه كان يشعر بأن هنالك جسد يجثم فوق صدره، لا يستطيع بسببه التنفس نهائي.

قد يستطيع التنفس بعض الشيء وهو جالس، حالته لا تهدأ أبدًا، بدأت دولت هانم تلومه وتعاتبه بسبب شرب السجائر لأن هي السبب، دافع رفعت بيك عن السجائر كالعادة وأردف وهو يتنفس بصعوبة:

-كل اصدقائي مدخنين ولم يمروا بهذه الحالة نهائي، وأنا أدخن منذ ٣٥ عامًا لم أمر بمثل هذه الحالة من قبل.

-نعم تمر بها الآن لأن رئتيك لم تعد تتحمل بعد كل هذا القطران الذي تدخله لها.

*استشاط رفعت بيك غضبًا وقال لها:

-اغربي عن وجهي، أنتِ تزيدين الأمور سوءًا.

* وظل يحاول أن يسعل ولكن بصعوبة، يحاول أن يتنفس الهواء ولا يدخل منه إلا القليل، حتى النوم قد حرم منه.

*كانت منيرة وزوجها قد سمعوا الحوار الذي دار بين البيك وزوجته، واستغربوا جدًا، أن بالرغم من مكانتهما الإجتماعية المرموقة لا يستطيعون أن يتفاهمان سويًا بدون صراخ.

*قالت منيرة وهي تغمغم بصوت خفيض:

-ان كل ما يحدث للهانم لأنها ظلمتني، واهانتني بكلامها.

-لا تشغلِ بالك يا عزيزتي، و دعينا نخلد إلى النوم، فيومنا غد ملئٌ بالأعمال .

*لم يستطع رفعت بيك صعود الدرج مرة اخرى، لذا ظل في الدور الأول من الفيلا وخاصةً في غرفة الضيوف.

*اتصلت دولت هانم بأخيها الدكتور أشرف كي يطمئنها على حالة زوجها، هرع إليها أخوها مسرعًا عندما سمع بحالة رفعت.

*الساعة الثالثة فجرًا، ورفعت بيك يتألم من بعد المغرب وحالته كل ما ازداد الوقت كل ما زادت حالته سوءًا.

بالإضافة إلى الصعوبة في التنفس وعدم التمكن من الاستلقاء، بدأ رفعت بيك في التقيؤ، تقيء كثيرًا إلى ان وصل الأمر انه تقيء دمًا.

*وصل أشرف وهرعت إليه أخته وعليها ملامح القلق على زوجها، وحكت له ما حدث من جديد وما استجد أيضًا.

*قرر أشرف ان ينقل رفعت حالًا الى المستشفى.

*وصل رفعت بيك الى المستشفى، بالفعل من كان يرى رفعت بيك كان يشعر بأن هذا اخر يوم في حياته.

لم يكن يستطيع أن يلتقط حتى انفاسه وقلبه بدأ يؤلمه بشدة وتزايدت ضربات قلبه بجنون.

دخل رفعت بيك الانعاش وتم وضعه على جهاز للتنفس وجهاز القلب متصل بسبابته في يده اليسرى يرصد ضربات القلب التي كانت متزايدة جدًا، وفي اليد اليمنى كانت هنالك كانيولا متصلة بمحلول يعمل على خفض ضغط الدم الذي وصل إلى ١٥٠ | ٣٠٠ والطبيعي يكون ٨٠ | ١٢٠ ووضعوا له قسطرة.

بعدما تم وضع جهاز التنفس لرفعت بيك وهو بدأ يهدأ تدريجيًا إلى أن غط في نوم عميق، بعد معاناة استمرت طوال الليل محاولًا التنفس على الأقل.

قد ظنت زوجته انه بالفعل ينازع وسوف يموت، ولكن حالته بدأت تستقر.

*ظلت زوجته بجواره ممسكة بيده بعدما أخبرت الاطباء بكافة التفاصيل.

*شخصوا الأطباء بأنه يعاني من الضغط المرتفع و كتبوا له بعض الأدوية المخفضة للضغط في مواعيد مختلفة على مدار اليوم، وفضلوا توفر أنبوبة اكسجين في غرفته إذا أحتاج للتنفس ضروري وخاصة أثناء الليل.

*رفعت بيك أفاق من نومه في الصباح الساعة السادسة، استغرب تمامًا من المكان الذي به، وأردف:

-أين أنا...؟

*فنظر إلى زوجته التي تجلس جوار سألها مستغربًا ثانيةً:

- أين أنا...؟ كيف جئت إلى هنا...؟

*من شدة المعاناة التي مر بها ليلة أمس، جعلته ينسى لوهلة انه قد أتى إلى المستشفى فجرًا...

*بدأت زوجته تذكره بما حدث ليلة أمس، وبدأت تطمئنه على صحته.

*كان رفعت بيك يود أن يذهب إلى الحمام ولكنه تفاجئ بوجود القسطرة فطلب من زوجته أن تقول للأطباء بانه يرغب في قضاء حاجته.

*اتى إليه الطبيب وقام بقياس الضغط، فأصبح ١٢٠ | ٢٢٠ انه عالٍ ولكن أفضل مما كان عليه منذ ساعتين، أزال الطبيب السماعات وبدأ يسأل رفعت بيك عن ما يشعر الأن، قال له أنه بخير وإن تنفسه أفضل الآن ولكنه يرغب في الذهاب إلى الحمام.

*قال له الطبيب يوجد قسطرة تستطيع ان تفعل وأنت بمكانك، نظرًا لوضعك الصحي لا يفضل الحركة لك وخاصةً أنت متصل بعدة اجهزة، وسوف تظل معنا يومًا آخر حتى تستقر حالتك.

*غضب رفعت بيك وأردف:

-لا أريد أن أظل في المستشفى، قلت لكم اني بخير، ازيلوا عني هذه الاجهزة أريد ان أعود إلى البيت.

* حاولت دولت أن تهدئه ولكنه لم يهدأ وأصر على رأيه إلى أن سمحوا له بالخروج.

-ولكن فضلوا أن تكون له ممرضة لمرافقته في بيته وكي تتابع حالته أول بأول وتهتم بإعطائه الأدوية في الوقت المناسب، وتهتم بجهاز التنفس خاصته في حالة صعوبة التنفس أثناء الليل، وكي تهتم بوضع محلول خفض ضغط الدم له في حالة عدم استجابته للأدوية.



*في ذات الصباح كان قد استيقظا كامل وفؤاد، لم يكترث كامل لعدم وجود والديه على مائدة الافطار، ولكن عندما كانت تهم منيرة بتقديم الطعام على تلك المائدة الفخمة، سألها فؤاد في تؤدة ورقي:

- هل عندك علم أين هما ابي وأمي؟

*لم ترغب منيرة في أن تصارحه بما سمعته من أنين البيك الكبير وأن قد انتهى الأمر بالذهاب الى المستشفى، ولكنها تملصت من قول الحقيقة وأردفت وهي تنظر في الارض كي لا تفضحها عيناها:

-لا أعلم يا فؤاد بيك، قد يكون لديهما عمل مهم.

*لم يرتح فؤاد لهذه الاجابة، في الوقت ذاته كان يلتهم كامل فطوره بشراهة ونهم ولا يكترث لما يدور من حوله.

كانت بدر تقف بجوار خالتها منيرة وكانت ترمق فؤاد ولاحظت انه يفكر كثيرًا، حاولت أن تقترب من فؤاد وقالت له هامسةً له في أذنه:

-انا أعلم أين هما..

*دهش فؤاد لما قالته بدر واستطرد متسائلاً:

-أين هما...؟؟

*في نفس اللحظة قاطعهم كامل... وصرخ في بدر بطريقة أمرة:

-أذهبي من هنا يا بنت الخادمة، هيا اذهبي وراء امك، لا يصح للخدم الوقوف أمامنا إلا لسماع الأوامر.

*ظلت بدر ترمق كامل بشدة وشعرت بدر بالحنق والغيظ اتجاه ذلك المتعجرف الذي لا يفعل شيئًا سوى أن يقلد امه.

*ومن ثم سحبت منيرة يد بدر وأردفت:

-هي ليست هنا لتسمع أوامر أحد، من يرغب في شيء فليطلبه مني، بدر لا شأن لها بأحد ولا أحد له شأن بها.

*اخذت منيرة بدر الى المطبخ و طلبت منها ألا تبتعد عنها أو أن تتركها ولا تتكلم مع أحد في البيت، كي لا تتعرض لمثل هذا الموقف ثانيةً.

*اومأت بدر برأسها أي إنها موافقة على كلام خالتها منيرة.

*ومن ثم صعدت منيرة كي تقوم بتنظيف الغرف وقد بدأت بغرفة كامل، كان كامل يجلس في غرفته يلعب كعادته وقد قام

بقلب غرفته رأسًا على عقب كي يتعب منيرة أكثر في التنظيف، كان فتى ذا تفكير شيطاني حقًا.

بعدما انتهت من غرفة كامل، بدأت في غرفة فؤاد التي لم تكن تتعب في ترتيبها كثيرًا، وكان فؤاد يجلس على مكتبه ويقرأ مجلة قد أهاداها له خاله الطبيب أشرف، الذي يحبه كثيرًا فهو مثله الأعلى.

يود فؤاد أن يصبح طبيب مثله في المستقبل.

عندما دخلت بدر الغرفة لم تنظر له مبتسمة كعادتها ولم تقم بتحيته، هرع إليها وقال لها في تؤدة:

-لا تكترثين لما حدث منذ قليل، هو طبعه عصبي قليلًا، ولكن أريدك أن تكملي لي ما كنتِ سوف تقولينه لي منذ قليل.

*حالًا ما نست بدر الوعد الذي وعدته لخالتها منذ بضع دقائق وبدأت في الرد على فؤاد:

-ان والديك في المستشفى، أباك مريض، انه لديه ألم(ومن ثم بدأت بعمل اشارت على جسدها حيث صدرها وجانبها من الخلف أسفل الحجاب الحاجز وأشارت على قلبها).

-ما هذا...؟ لم أفهم شيئًا...!

- هذه أماكن الألم لدى أباك.

-كيف عرفتي ذلك.

-لا أعلم... يوجد شيء بداخلي يقل لي ذلك.

*لم يفهم فؤاد كيف عرفت بدر، ولكنه كان يصدقها.

*نظرت بدر إلى المجلة المليئة بالرسوم، كانت تنظر لها في لهفة.

*نظر لها فؤاد وأبتسم لها وأردف وهي تمسك بالمجلة:

-هل تريدينها...؟ يمكنكِ أخذها... قد أكملت قراءتها لتوي.

*شعرت بدر بسعادة عارمة لحصولها على المجلة، ولكن منيرة أعادتها لفؤاد من جديد وأردفت في تؤدة:

-لا يا سعادة البيك، إن بدر ما زالت صغيرة ولا يمكنها القراءة.

-لا يوجد داعي لان تقرأ بل يمكنها النظر للرسومات فقط وسوف تفهم المغزى من القصة.

-شكرًا لك يا سعادة البيك على لطفك، هيا يا بدر اشكري البيك على هذه الهدية.

*نظرت له بدر بعينيها الجميلتين ومن ثم قبلته على خده ببراءة الأطفال وأردفت:

-شكرًا لك...

*قد أحمر وجه فؤاد خجلًا مما حدث، ولكنه أبتسم وشعر بالسعادة لسعادة بدر بالهدية...

*سحبت منيرة بدر من يدها، بينما بدر كانت تنظر لفؤاد وتؤشر له مودعةً إياه.

*عندما نزلت منيرة إلى المطبخ ثانيةً جلست القرفصاء أمام بدر كي تكون رأسها في مستوى رأس بدر واستطردت وهي تمسح بيدها على شعر بدر الناعم:

-بدر يا حبيبتي، عندما يقدم أحدهم هدية اكتفي بالشكر فقط، لا يصح أن تقبلي أي أحد.

-ولكنني أقبلك أنتِ وأبي عندما تشتران لي شيئًا...!

-لأننا والديكِ، بينما لا يصح أن تقبلي الفتيان بتاتًا، لأنه عيب.

-عيب...؟ وما معني عيب...؟

-عيب يعني ممنوع... أي لا تفعلي ذلك مجددًا... مفهوم...؟

-مفهوم يا أمي..

*ومن ثم ابتسمت بدر ثانيةً وطبقت قبلة على خد أمها.

★★★

*وصل البيك الكبير إلى البيت، أتيا اليه كامل وسلم على والديه في فتور بينما فؤاد أستغرب لوضع اباه وعندما سأل أمه مستفهمًا:

-أمي أين كنتِ أنتِ وأبي ..؟

- لا يوجد داعي للقلق يا صغيري، أباك أصاب بزكام وذهب إلى المستشفى لكي نطمئن على صحته ونعرف ما هي الأدوية المناسبة.

- ولكن يا أمي عندما أصاب بالزكام أنا وكامل يأتي الطبيب إلى البيت ويشخص حالتنا..

-لا الوضع يختلف الزكام عند الكبار أشد، لذا من الضروري الذهاب إلى المستشفى.

*بدأ فؤاد يشك فيما قالته له بدر، و صدق ما قالته له أمه، قرر أن يصدق أمه لأنه لم يفهم ما تلك الإشارات ومواضع الألم التي قالتها بدر.

*قدمت منيرة الإفطار لرفعت بيك وزوجته ولكنه لم يرغب في تناول الطعام.

بالفعل منذ فترة وقد بدأت شهيته تقل بعض الشيء، ولكن اليوم قد فقد شهيته تمامًا، حاولت زوجته أن تطعمه القليل ولكنه لم يرغب بتاتًا.

لذا أمرت دولت هانم الممرضة أن تبدأ في مباشرة عملها، كانت الأدوية التي يأخذها رفعت بيك تشعره بفقد الاتزان والهذيان والرغبة في النوم.

بسبب تلك الأدوية كان ينام طوال اليوم وهذا ما جعله يتخلف عن شركته، لذا طلب من أخوه عصام أن يتحكم في أمر الشركة.

رفعت بيك ينام أو يهذي طوال اليوم، ويظل ينازع بسبب صعوبة في التنفس طوال الليل، لا يمكنه النوم ليلًا إلا وهو واضع جهاز الأكسجين ويكون جالسًا في موضعه لا يمكنه الاستلقاء على ظهره.

لم يعد يأكل إلا ما هو خفيف، وإذا شرب شيئًا كفيل أن يجعله يتقيأ.

*عندما أستمر الوضع كذلك لمدة يومين، قرر الطبيب أشرف أن يقوم بكافة التحاليل اللازمة لتشخيص حالة رفعت، وبعد يومين من نفس المعاناة، قال طبيب متخصص:

-المريض مصاب بفشل كلوي، ويحتاج لغسيل كلى حالًا.

*أتصل أشرف برفعت ووضح له الأمر، اندهش رفعت وأستغرب وأنكر أن تكون تلك التحاليل أو ذلك التشخيص يخصه هو وأردف:

-ما هذا الهراء الذي تقوله يا أشرف، على أساس إنك لا تعرفني جيدًا، إن صحتي جيدة جدًّا، ولكن لا أعلم ما طرئ عليّ، ولكن لا يصل الأمر إلى فشل كلوي بتاتًا.

-صدقني يا رفعت هذه الحقيقة، وأنا اخبرتك بها و لم أرغب في أن أخفي عنك الأمر لأني لا أستطيع أن أُخفيه عنك ولا عن دولت، لأنك في حاجة ضرورية لكي تقوم بغسيل كلى اليوم.

-هل يوجد حل أخر.

-صدقني يا رفعت لا يوجد وقت لكي نضيعه، لأنك ان لم تذهب معي للمستشفى سوف تظل حالتك كما هي ولن تتحسن بل سوف تسوء أكثر، دعنا ننهي هذا اليوم وبعدها أعطيك حل أخر.

بعدما أغلق رفعت بيك المكالمة، استمرت دهشته وتساؤلاته هو وزوجته..

-كيف حدث ذلك...؟ إن صحتي جيده ومهتم بغذائي وجسمي وبالرياضة، كيف بدون سابق إنذار ينقلب حالي هكذا...؟

*رتب أشرف كل شيء لرفعت وقام رفعت بغسيل كليته وتنقية جسمه من تلك السموم التي تراكمت، أرتاح رفعت جدًّا بعدما أنتهى من الغسلة لدرجة انه نام أثناء العملية.

ولقد أصبح النوم أمر صعب بالنسبة له.

*لم يعد رفعت هو من يقرر متى ينام ومتى يصحو، جسده تلقائيًا ينام وفجأة يستيقظ، بالفعل فقد معنى الراحة في حياته.

*عاد رفعت وزوجته إلى ڤيلتهم وفي المساء أتى إليهم أشرف ومعه طبيب اسمه معتز لكي يشرح الحالة بالتفصيل لرفعت.

حكى من جديد ما جرى له وهو لا يظن انه يريد ان يستمر على غسيل الكلى هكذا، فأوضح له معتز:

-لن تستمر على الغسيل صدقني يا رفعت بيك، قد يكون جسمك يحتاج إلى مرة أو مرتين وسوف تعود كليتك للعمل من جديد ويكون جسدك تخلص من كل السموم التي تراكمت به ولم تخرج هذه الفترة.

ولكن أريد منك أن تأكل الطعام بدون ملح لأن نسبة الصوديوم لديك عاليةٌ جدًّا.

لا تقلق يا رفعت بيك، سوف أرى التحاليل الجديدة بعدما انتهيت من العملية اليوم، وسوف أقرر لك أتحتاج إلى أخرى أم لا...؟ ولكن لا تنسى الانتظام على الأدوية السابقة، وتشتري تلك الادوية الجديدة التي كتبتها لك في تلك الورقة، أدوية لعلاج الكلى.

*كان إحساس رفعت بيك أنه سيكون بخير، وصدق ما قاله الطبيب له وأخذ الأدوية ونام بطريقة خارجة عن إرادته.

*لم يعدا كامل وفؤاد يران والداهما فهما طيلة الوقت في الغرفة إما في المستشفى، لقد تغير الوضع تمامًا، وإذا دخل فؤاد لكي يطمئن على اباه وجده جالسًا على السرير ولكن عينيه مغمضتين هو ليس بنائم ولا مستيقظ انه في حاله ذهول وهذيان بسبب تلك الادوية.

لم يعجبه فؤاد وضع ابيه، وعندما كان يسأل أمه مستفهمًا:

-أمي... هل أبي بخير؟

-نعم هو بخير يا فؤاد... ولكن يحتاج مدة أطول لكي يتعافى تمامًا لكي يعود مثلما كان من قبل وأفضل.

*فؤاد حزين على وضع أبيه وعلى انشغالهما عنه.

بينما كامل لا يكترث بشأن أحد بتاتًا، لا يهمه سوى اللعب والخروج للنادي وأصدقائه وكفي.

ها هو كامل يمسك المسدس اللعبة الخاص به ويصوب به على حنفي، وحنفي لا يستطيع أن يقول له حتى كلمة واحدة.

يصوبه على طلعت إذا أتي موعد عمله، وعلى منيرة في المطبخ التي كانت تشعر بالذعر كلما سمعت صوت ذلك المسدس.

بينما بدر كانت ترمقه باشمئزاز على سخافته، لم تحب في مرة أن تبتسم إلى ذلك السخيف الذي كان يحب أن يمارس سخافته

على من حوله ومن ثم يقهقه بطريقة شريرة، إن هذا الفتى مريض نفسي حقًا، ولديه نزعة سادية.

★★★

*في اليوم التالي عندما دخلت منيرة إلى غرفة البيك التي أصبحت مضطرة أن تقوم بتنظيفها أثناء وجوده بها، على العكس سابقًا غير مسموح لها بالدخول ما دام البيك والهانم بها.

*دخلت منيرة وقامت بفتح الستائر، كانت الستائر تغطي حائط بأكمله من اليمين إلى اليسار، وعند فتح تلك الستائر تنير الغرفة بشكل جميل وساحر حيث تتمكن أشعة الشمس من دخول كافة أرجاء الغرفة، ويبدأ نسيم الهواء يداعب وجه البيك الكبير، وأشعة الشمس تجعله يفيق من سبات نومه، ومنظر الحديقة أمامه الذي يراه من علٍ، بالفعل اللون الأخضر يجعل المرء يشعر انه في الجنة.

*بدأت منيرة مسرعة في إنهاء تنظيف الغرفة كي لا تسبب إزعاج لرفعت بيك، بينما هي تنظف، أشار رفعت بيك إلى الفتاة الصغيرة كي تأتي إليه.

ابتسمت له بدر فأنار وجهها فصارت مثل البدر تمامًا، نظر لعينيها الجميلتين وهو يمسح على شعرها الناعم برفق وأردف:

- جميلتي، قولي لي، من قال لكِ اني سوف أمرض قبل أن أمرض بالفعل...؟

*هزت بدر كتفها بأنها لا تعرف.

*قال رفعت بيك وهو يتكلم هامسًا ليس لديه طاقة ليتكلم بأعلى من ذلك:

-قولي لي احساسك فقط، كيف عرفتِ ما سوف يحدث قبل وقوعه.

*كان رفعت بيك لا يفكر بعقلانية يريد أن يعرف السبب بأي طريقة، فالذي قالته بدر ليس محض صدفة، فكل مواضع الألم هو يعاني منها الآن، لا مجال للتعقل ويريد أن يعرف السبب ضروري.

*ابتسمت له بدر وهي تنظر إليه وأشارت على عينيه.

*ارتعب رفعت بيك عندما أشارت إلى عينه وأردف مذعورًا:

-ها... ماذا؟ هل سوف أفقد بصري...؟!

*ضحكت بدر ضحكة طفولية بريئة تجعل كل من يسمعها يضطر للابتسام غصبًا عنه، من جمالها ورقتها وأردفت بدر وهي تبتسم له:

-لا هنا ليس ألم... أنا أعرف ما يحدث من هنا(أي عينيه).

* دهش رفعت بيك كيف لبنت صغيرة تعرف مثل هذه الأمور، عوضًا عن ذلك انه لا يصدق بهذه التخاريف مثل قراءة الكف والفنجان والعين، بينما هذه بنت صغيرة لن يعود عليها بالنفع في شيء، هي لم تقل له ذلك لكي تحصل على مال، هي قالت له ما رأت فقط.

* كانت منيرة قد انتهت من عملها فأخذت بدر وهمت بالخروج، ولكن رفعت بيك أوقفها وطلب منها أن تترك بدر قليلًا، ومن ثم سأل بدر:

- هل تعلمي ماذا سوف يحدث لي...؟ هل أنا سأموت، أم سأتعافى؟ أم سأظل مريض هكذا ولن يجدي العلاج نفعًا...؟

*لم تفهم بدر شيئًا مما قاله لها، فحاول من جديد وقال:

-دعكِ مما قلته الان، ماذا ترى في عيني..؟

-أرى إنك ستكون بخير، ولن يكون هناك ألم ولكنك ستأخذ شيئًا من أبي طلعت.

*فتح رفعت بيك محفظته وأعطاها ورقة نقدية، وقال لها أشتري ما تشتهين.

*سعدت بدر جدًا بتلك الورقة، وهذا جعلها تثب فرحًا بها، ومن ثم اذن لها بالخروج.

*أستغرب رفعت بيك، انا سأكون بخير هذا خبر رائع، وهذا ما قاله لي الطبيب.

ولكن ما الذي سوف أخذه من طلعت...؟ هل تقصد أن طلعت سوف يتبرع لي بكليته...؟ آخ رأسي... ولكن الطبيب قال اني أحتاج الى غسلة واحدة أو اثنتين وسأكون بخير بعدها، وسأعود كما كنت... لا داعي للتفكير وسوف أرى ما سيحدث.

*دخلت دولت هانم عليه وهو يتمتم معه نفسه، وأردفت مستغربه من حاله ولأول مرة تراه يتكلم مع نفسه:

-مع من تتحدث يا رفعت...؟

-لا شيء ولكني أفكر كثيرًا فيما يحدث لي مؤخرًا.

-لا داعي للتفكير، أنت تحتاج إلى الراحة والطبيب طمأنك بأنك ستكون بخير قريبًا.

*سكت رفعت ولم يرد وأستمر في التفكير في صمت..



*كانت بدر تجري في الفيلا مسرعةً تود أن تنزل لكي تشتري كل ما تشتهيه، ولكن وهي تجري اصطدمت بفؤاد، اعتذرت ببراءة ومن ثم أكملت جري ولكن اوقفها فؤاد ونادى عليها:

-بدر...!

-نعم...؟!

-لمَ العجلة...؟!

-أريد أن أشتري بعض الأشياء..

-ومن أين حصلتِ على المال...؟

-أباك أعطى لي هذه الورقة.

-ورقة بربع جنية مرة واحدة..!

-لا أعلم ما قيمتها..

-لا من الأفضل أن تحتفظي بها معكِ، وتعالِ معي أشتري لكِ بعض الحلويات من المحل الذي يوجد في نهاية الشارع.

*مرت بدر أمام أبيها الذي يجلس أمام البوابة، سألها مستغربًا:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا بدر...؟

*رد عليه فؤاد في تؤدة:

-لا تقلق يا عم طلعت، سوف نذهب سويًا إلي أخر الشارع ونشتري بعض الحلويات.

-لا أرتاح أنت يا بيك وأنا سوف أبتاع لك ما تريد.

-لا، شكرًا أريد أن أبتاع بعض الحلويات لبدر.

*دهش طلعت لما يجري أمامه، وأستغرب في قرارة نفسه وضرب كف على كف وأردف:

-بالفعل هذا الجيل مختلف عنا تمامًا.



*بدر وفؤاد يمشون على الرصيف الموازي للفيلا، كانت بدر تنظر في دهشة للفلل المرصوصة بجوار بعضهم البعض، كانت تحب الأشجار التي تزين الطريق، كادت بدر أن تنسى القرية من كثر ما أحبت المدينة.

ومن ثم قاطع فؤاد شرودها متسائلًا:

-كيف عرفتِ ما يمر به أبي...؟ وأمك منيرة قالت انك لا تعرفين الكتابة والقراءة.

- أنا لا أعرف أقرأ ولا أكتب لأني لم أتعلم بعد.

*حك فؤاد رأسه محاولًا أن يفهم بدر:

- كيف ذلك...؟ أنتِ لديكِ قدرة أن تعرفي أي شيء لمَ لا تسخري هذه القوة لكي تتعلمي.

- لم أقل اني أعرف شيء صدقني، اني قلت أحيانًا أشعر بأن هناك أمر ما سيحدث ويحدث، وأحيانًا عندما أنظر في عين أحدهم، أشعر بأن العيون تخبرني بأمر ما.

* مط فؤاد شفتيه معلنًا عدم فهمه وأردف:

- ان أمرك غريب حقًا، هيا دعينا من ذلك، ها قد وصلنا إلى المتجر.

ماذا ترغبي في شراءه...؟

*نظرت بدر بدهشة إلى المحل وما يحتويه، وأردفت وهي تفتح فاها:

-لا أدري يبدو أن كل شيء جميل هنا، كل الأشياء لها ألوان زاهية وبراقة تجعلني أشعر بأني أرغب في الحصول عليها كلها.

*نظر لها فؤاد ضاحكًا من كثرة دهشة بدر:

-للأسف لا يمكنني شراء كل ما بالمحل، ولكن المبلغ الذي معي يشتري لي ولكِ بعض الأشياء التي أحبها كثيرًا.

-حسنًا موافقة أختر لي أنت.

*كان فؤاد مستغربًا تمامًا ويقول في قرارة نفسه:

-لمَ هذه الفتاة لا تنعته بصفة البيك مثل أبيها وأمها، الأدهى من ذلك إنها لا تقل لرفعت يا بيك ولا لكامل، ولا تنعت دولت بالهانم.

ومن ثم تمتم بصوت عالٍ:

-انها غريبة حقًا.

*أردفت بدر وهي تنظر له بدهشة:

-ماذا تقول، لا اسمعك جيدًا.

★سرح فؤاد في عينيها الجميلتين الذي أضافت الدهشة جمالًا أكثر فوق جمالهما، وأردف مسرعًا:

- لا لا، لم أقل شيء، هيا سوف أختار لكِ هذا النوع من الشوكولاتة، هذا أكثر نوع أبتاعه، وسوف أشتري لكِ زجاجة مشروب غازي(كولا) هل تحبينه؟

*كل هذا وصاحب المحل الرجل العجوز جالس على كرسيه ويتابع هذا المشهد الذي يدور بينهما بلهفة واستمتاع.

★هزت بدر كتفيها ومطت شفتها السفلي أن لا، وأردفت:

-لم أجربه من قبل.

-حسنًا، أنا أحبه أكيد سوف تحبينه مثلي.

★أعطى فؤاد المال إلى صاحب المحل العجوز الذي كان يبتسم لهما، وكأنه يرى عصفوري الحب.

★بدأ فؤاد و بدر يجترعون المشروب الغازي كي يبرد لهم حر يوليو.

ومن ثم نظر لها فؤاد وأردف:

-ما رأيك أعلمك القراءة والكتابة وأنتِ تعلميني قدرتك الخاصة.

★سحبت بدر يده ومشت به على حافة الرصيف.

استغرب فؤاد لما تسحبه، أردفت بدر:

-لأنك ان ظللت في ذاك الاتجاه كنت سوف تقع، ألا ترى الحجر...؟

-اه إذًا استخدمتِ قدرتك الخاصة في انقاذي...!

-لا ولكني بالفعل رأيت الحجر ولا أرغب في أن تتأذي.

-حسنًا انني مدين لكِ، ها ما رأيك في أن أعلمك وتعلميني...؟

-إذا كنت ترغب في أن تعلمني فهذا شيء أرغب به بشدة، بينما أنا أعلمك لا أعرف، أنا لا أعرف ما كنهه هذا الشيء صدقني، أنا لا أعرف كيف أعرف...!

-ههه.. لا أعرف كيف أعرف، كلام جميل، حسنًا سوف أعلمك بلا مقابل ولكن عليكِ أن تنجديني في كل مرة من عثرات الطريق.

* نظرت له بدر وابتسمت وأحمر وجهها.

★كل ما تنظر له بدر يشعر فؤاد بأن أحد ضغط على زر قف، يشعر بأن العالم قد توقف به حقًا ويسرح في عينيها، ومن ثم أفاق وأردف وهو يحك رأسه:

-آه... بدر قولي لي، ماذا ترى في عيني...؟

-لا أرى ألم.

-لا أقصد ذلك.

-إذًا حدد لي ماذا تريد أن تعرف...؟ وإذا عرفت الإجابة سوف أقول لك..

-ماذا سوف أكون عندما أكبر؟ هل سوف أحقق حلمي وأكون طبيبًا مثل خالي أشرف...؟

-لا، لا أرى ذلك، اني أراك ترتدي بدله أنيقة وتقف مثل والدك وجالس على مكتبه.

-ما معني هذا...؟ هل تقصدين اني لن أكون طبيبًا...؟

-لا لن تكون... ستكون مثل أبيك..

* غمغم فؤاد في قرارة نفسه، ما هذا الحمق...؟

أنا ساعدتها وقلت إني أرغب بأن اكون طبيبًا وهي تقول لي اني سأكون مثل أبي...!



★وصل كل من بدر وفؤاد الفيلا وكان كامل يقف في شرفته ورآهم، هَم بالنزول مسرعًا وأثناء نزوله كان فؤاد يصعد الدرج كي يعود إلى غرفته ويرتاح قليلًا، فأوقفه كامل وسأله وهو متعصب للغاية:

-ماذا كنت تفعل...؟

-وما شئنك أنت...؟

-أنا أخاك الكبير أجبني.

-دعني أمر... أريد أن أنام بعض الشيء.

-لماذا كنت مع هذه الخادمة الصغيرة...؟!

-هي ليست خادمة اولًا، وكنت أبتاع لها بعض الاشياء لأن أبي أعطى لها وهي لا تعرف كيف تشتري، ها لقد اجبتك، دعني أمر هيا.

-أبي أعطاها مال، وأنت أبتعت لها بعض الاشياء، كل هذا لمن...؟ لهذه الخادمة بنت الخادمة.

-تعصب فؤاد لِما قاله كامل ولكنه لم يرد عليه وقام بإزاحة كامل من طريقه كي يمر، لم يكن كامل متزن جيدًا فسقط من على الدرج وقد جرحت رأسه، فزع فؤاد عندما رأى قطرات دم تسيل من رأس أخيه وهم بنزول تلك الدرجات كي يمد يده لأخيه ويساعده كي يهم بالنهوض.

ولكن كامل قد نهر يد فؤاد وأردف وعينيه تنوي الشر:

-لا أريدك أن تساعدني، سوف أهم بالنهوض بمفردي، ولكن تلقى عقابك من أمي وسوف أحكي لها كل ما حدث.

★لم يكترث فؤاد بشأنه لأنه يعلم جيدًا انه لم يفعل شيء خطأ.



*ها هي دولت هانم تجلس بجوار زوجها الذي لم تستقر حالته حتى الآن، الضغط لا ينخفض بل يزداد ارتفاعًا في المساء، مشكلة ضيق التنفس لازالت تؤرقه طوال الليل وتمنعه من التنفس ولا يرتاح إلا على جهاز التنفس.

لا يرتاح بعد غسيل الكلى إلا في ذات اليوم ومن ثم تعود إليه الأعراض تدريجيًا.

★ها هو كامل يطرق الباب... فتمنعه أمه وتؤشر له:

- صه، ان أباك نائم الأن، أرحل.

★يصر كامل على الوقوف أمام باب الغرفة وأزاح يده عن رأسه فكشف عن الجرح، فوثبت الأم مسرعةً وأخذته من يده إلى الممر وسألته بلهفة وخوف:

-ماذا حدث لك...؟ كيف حدث لك ذلك...؟ من فعل بك هذا...؟

★تقول ذلك وهي تتفحصه بسرعةً وهي مفزوعة.

*رد كامل وهو يتصنع الألم أمام أمه:

-ان فؤاد هو من فعل ذلك بي، عندما كنت أنصحه بأنه لا يتكلم مع هذه الفتاة، فتعصب علي وقال لي ما شأنك أنت، قلت له اني أخاك الكبير وأريد مصلحتك، رد علي رد غير ملائم وسبني، قلت له اني سأخبر أمي بأنك كنت مع بدر، بنت الخادمة، وأبتعت لها بعض الأشياء من البقال، وعندما عرف اني سأقول لكِ ازاحني بكل قوته من على الدرج فسقطت وجُرحت رأسي.

★دهشت الأم من هذا الكلام، وغمغمت في قرارة نفسها:

-كيف هذا...؟! هذه التصرفات ليست من شيم فؤاد...؟ فؤاد لا يضرب ولا يسب بتاتًا...!

★ومن ثم قالت لكامل بصوت عالٍ:

-تعالى معي سوف أجعله يعتذر لك.

*دخلت الأم على فؤاد الذي كان ممدًا على سريره وكان يقرأ كتاب كالعادة.

دخلت الأم وقد استشاطت غضبًا، وقالت له:

-هيا أعتذر منه.

وهذا قبل أن تسمع منه حتى، وكان ورائها كامل ينظر لفؤاد بتشفي ساخرًا منه.

★استغرب فؤاد ووثب من سريره، وتسأل:

-ولمَ أعتذر...؟ أنا لم أفعل شيئًا؟

-لا تكذب يا فؤاد أنا لم أعتد منك على ذلك... ألا ترى رأس أخيك...!

-نعم أراها... ولكني لست السبب... هو الذي سقط.

وقبل أن تطلبي مني الاعتذار له على الأقل اسمعي مني ما جرى.

-ليس لدي وقت لكي أسمع لكما، فأن أبيكما مريض ويجب أن أظل بجواره.

-ولكنكِ سمعتِ لكامل، أريد أن تسمعيني كي تعرفي الحقيقة.

-لا أريد أن أسمع شيئًا سوى الاعتذار، يكفي جرح أخاك الكبير الذي أمامي، يكفي أنني رأيت، لا داعي للكلام.

-حسنًا يا أمي، أنا آسف.

*ما زال كامل ينظر له ساخرًا ضاحكًا، وينظر له بلئم شديد، ومن ثم أردف:

-يا أمي وموضوع بدر لا تنسي...

-اه وبنت الخادمة لا شأن لك بها، إذا كنت تحتاج أصدقاء فمعك أخاك ها هو، وعندك النادي، صادق من تحب ولكن أختر من هم بمستواك.

*لم يرد فؤاد هذه المرة واكتفى أنه طأطئ رأسه، ومن ثم خرجت الأم وكامل يمشي خلفها متبخترًا يشعر أنه انتصر عليه، هو

يعرف جيدًا بأنه الأقرب إلى أمه لأنه الأكبر وأول فرحة لها، حتى انه مكتسب الكثير من صفاتها.

★★★

*أستمر مرض رفعت بيك أكثر من شهر بدون أي تطور، لا أدوية الضغط تساعد عن خفضه، أصبح معدل الضغط الطبيعي بالنسبة له ٢٢٠|١٧٠ وهذا معدل عالٍ جدًا، ووصلت عدد غسلاته عشرة خلال هذا الشهر، لم يحدث ما قاله له الطبيب معتز، بأن كليته بعد غسلتين أو ثلاث سوف تعود كما كانت من جديد.

لذا قرر الطبيب معتز أن يبدأ في حل أخر مع رفعت بيك، لأن رفعت عبر عن مقته المتكرر من طريقة العلاج تلك، فعرض الطبيب معتز ان الحل الأفضل هو زراعة كلى، اما ان يستمر رفعت بيك على عدد غسلات ثابته كل اسبوع.

فضل رفعت بيك الحل الأول ألا وهو زراعة الكلى، ولكنه كان يتمني بالفعل أن يصدق كلام الطبيب معتز وأن يرجع كما كان بدون اجراء أي عمليات.

طلب الطبيب معتز من رفعت بيك أن ينتظر فترة معينة إلى أن يجد متبرع مناسب له... في ذلك الحين التمعت فكرة في عقل رفعت بيك، وقال في قرارة نفسه:

-اولًا صَدَقْت نبوءة بدر بمواضع الألم التي سوف أشعر بها، قالت بما معناه اني لن أستمر في مرضي وهذا ليس معناه ما عناه الطبيب بأني سوف أشفى بعد كم غسلة..

وها قد صَدَقْت نبوءتها بأني سوف أحتاج الى شيء من أبيها طلعت، لن أفكر كثيرًا إلى أن يجد الطبيب متبرع مناسب، سوف أعرض الأمر على طلعت ومن ثم يقرر الطبيب ان كان مناسب أم لا، آه... وأني أظنه سيكون مناسب، فأني أصبحت على يقين تام بصدق كلام بدر الجميلة.

*عاد رفعت بيك الى الفيلا ففتح له طلعت ورحب به، عندما مر رفعت بيك وهو في سيارته في المقعد الخلفي أشار الى طلعت محيي إياه وكان وجهه بشوش ومشرق كما كان قبل مرضه أخيرًا رأى البيك مبتسمًا.

*كانت بدر تجلس على المصطبة بجواره، ومن ثم وهو يتمتم بصوت هادئ:

"يا ترى ما الذي غير البيك هكذا...؟"

★ردت عليه بدر وهي تنظر في عينيه ومن ثم اجابته:

-سوف يحتاجك في موضوع مساءً، وسوف تسمع منه خبر سوف يسعدك جدًّا أنت أيضًا.

*دهش طلعت من كلام بدر، ومن ثقتها في الكلام الذي تقوله، ومن ثم سألها مستغربًا:

-كيف علمتي يا بدر...؟!

★ هزت بدر كتفها كالعادة أي أنها لا تعلم.

*في المساء طلب رفعت بيك أن يحضر طلعت إلى مكتبه وطلب منه الجلوس، أستغرب طلعت لأن هذه أول مرة يدخل مكتب البيك وعلاوة على ذلك جلس على المكتب أمام رفعت بيك، ومن ثم فتح رفعت بيك الموضوع مباشرة بدون أي مقدمات، وكان يتكلم وهو يدخن سيجارة بالرغم صعوبة التنفس بالنسبة له، بدأ رفعت بيك في الكلام هامسًا لعدم قدرته على الكلام بصوت عالٍ واستطرد:

- أنت تعلم يا طلعت اني أعاني من فشل كلوي وأقوم بغسيل كلى مرتين أو أكثر كل أسبوع، وإن هذا الحال متعب للغاية، وقد عطلني مرضي طوال هذه الفترة عن العمل عوضًا عن ذلك لا يوجد تحسن في حالتي.

★نظر له طلعت وعلم جيدًا ما يدور في خلد البيك الكبير.

*أكمل البيك حديثه بعد عدة محاولات في السعال المكتوم ومع عدة محاولات في تنفس الصعداء ومن ثم أردف:

-الحل الأنسب في حالتي أن يتم زراعة كلى وأنا أحتاج متبرع وإن وافقت على ذلك وقبل أن تتم العملية حتى سوف يكون لك فدان كامل باسمك في المكان الذي ترغب فيه، ها ما رأيك؟

*قد هش وبش وجه طلعت بالفعل لم يستطع أن يتصنع حتي بأنه يحتاج أن يفكر، بل انفرجت أساريره أمام البيك عندما سمع

ذلك العرض، ومن ثم حاول تمالك نفسه بعدما هَم واقفًا أمام البيك وأردف:

-لو على رأيي يا سعادة البيك فأنا موافق، أن لدي كليتين فلا مانع أن أعطيك احدهما، يكفي معاملتك السمحة معي، وعرضك وكرمك اخجلني، ربي يزيدك يا سعادة البيك.

*خرج طلعت وهو يشعر بأنه يطير فرحًا بعدما علم بأنه سيملك فدان باسمه... لذا بدأ يسرح ويتأمل في مستقبله المشرق، وحمد الله وشعر أن الدنيا بدأت بالفعل تضحك له، ومن ثم دخل على زوجته وقام بمعانقتها بشدة وأردف:

-أريد أن أخبرك بشيء يا وجه السعد علي.

★ابتسمت منيرة عندما رأت زوجها في هذه الحالة من السعادة العارمة التي تغمر قلبه:

-سوف يكون لنا فدانًا باسمي.

★استغربت منيرة وعوجت فمها وتسألت:

-كيف هذا؟ أظن أن المبلغ الذي قمنا بجمعه إلى الآن لا يكفي لشراء فدان نهائي.

-لا بل البيك سوف يكتبه لي باسمي.

-يكتب لك فدان بدون مقابل...؟ وهل هذا يعقل...؟ نحن نعلم أنه طيب جدًّا ولكنه ليس ساذجًا كي يوزع أملاكه.

-لا سوف يعطي لي فدان ولكن بمقابل.

-وما هو ذلك المقابل...؟

-كلية واحدة سوف اتبرع به البيك.

-وتموت أنت من أجل أن يكون لي فدان...!

لا أريد فدان وأريدك أنت بصحتك وعافيتك.

-ومن قال إن هذه العملية سوف تقلل من صحتي، أن الله أنعم علي بالصحة وحتى لو تبرعت بكلية واحدة لن تؤثر على صحتي بتاتًا، لا تقلقي يا حبيبتي، أنتِ تعلمين لا يهون علي أن أتركك بمفردك في هذه الحياة، إني أدعو الله كل يوم أن يطيل في عمري كي أظل أحميكِ في عيني.

-صدقني يا سي طلعت نحن لا نحتاج إلى هذا الفدان، أن حياتنا جميلة ولله الحمد.

-ولكن صدقيني ستكون أجمل عندما يكن لنا ملك، هذه فرصة من الله لا يجب أن نضيعها من أيدينا، ومن ثم نندم بعد ذلك.

-وما فائدة هذا المُلك إذا حدث لك شيء لا قدر الله.

-أحسني الظن بالله وأطلبي الخير ولا تنسي تفاءلي بالخير تجديه.

ولو على الفائدة التي سوف تعود علينا من الفدان ستكون عدة فوائد، يوجد العديد من الأفكار في عقلي ولكني أرجح أن أجعل أخي مسؤول عن زراعة تلك الأرض ويعود علينا كل هذا الربح بالإضافة إلى مرتب عملنا انا وانتِ هنا، وفي حين أردنا أن نرتاح وأن تستقر

في القرية من جديد سوف نبني لأنفسنا بيت كبير في وسط هذه الأرض بالإضافة إلى الاستثمار فيها، ها ما رأيك...؟

-لا ادري يا سي طلعت، ولكني ادعو الله ان تظل سالمًا ومعافى دائمًا هذا أهم شيء في الوجود بالنسبة إلي، لا أريد أن أفقدك لحظة.

-لا تقلقي يا منيرة، ربي يقدم لنا ما هو خير.



★بالفعل عندما بدأ الطبيب معتز في عمل الفحوصات اللازمة لطلعت وجده مناسب جدًّا.

★وهنا قال رفعت بيك في قرارة نفسه:

-قد صَدَقْت بدر، أنها فتاة معجزة حقًا... وإني سعيد لأن هذه المعجزة في بيتي.

بعدما تمت العملية بنجاح أحتاج كل منهما أن يرتاح لمدة شهر، لذا طلب البيك الكبير من السائق أن يأخذ طلعت ومنيرة وبدر إلى القرية كي يأخذون هذا الشهر إجازة ولكن بدون خصم من مرتبهما.

وكان مع طلعت شيك بمبلغ كبير يؤمن له شراء الفدان وأكثر قليلًا وقد حصل على هذا الشيك من البيك الكبير قبل يوم من العملية، وكان هذا الشيك مع منيرة زوجته ليلتها، أي أن البيك بالفعل أوفى بوعده حقًا.

الفصل الثالث

نقطة تحول

★ آتت عائلة بدر لزيارتهم ولكي يطمئنوا على سلامتهم من السفر وكذلك كي يطمئنوا على حال طلعت بعد خروجه من العملية سالمًا.

ولكن فوزية طلبت من منيرة أن تأخذ ابنتها بدر على الأقل لكي تقضي هذا الشهر مع إخوتها وفي نفس الوقت كي تهتم منيرة جيدًا بزوجها حتى تصبح حالته الصحية بخير وأن يعود للحركة بحرية من جديد.

*دخلت بدر مع أمها إلى بيتهم، استغربت للوهلة الأولى هذا المكان، وكأنها نست كنهه بمجرد مرور سنه على آخر مرة رأته فيها.

عندما كانت تنظر للمصطبة تتذكر الصالون في الفيلا، عندما كانت تنظر للأرض الطينية تتذكر بلاط الفيلا وأفخم السجاد، ولكنها أفاقت من شرودها وعن المقارنة سريعًا عندما سمعت أخوها زين ينادي عليها لكي تلعب معه.

ولكن بدر استغربت وقالت لأمها:

-لماذا زينة لا تلعب معي...؟

-لأنها كبيرة الآن... وهي تساعدني في البيت والزريبة.

★دهشت بدر بأخيها زين لأنه بعد ان أنتهى من اللعب أردف وقال لها:

-تعلمين أنا أحفظ بعض من القرآن..

-وكيف تعلمت قبلي... أنا إلى الآن لا أعرف الحروف وقد أوشكت أن يصبح عمري ثمانية أعوام.

-أبي طلب مني أن أذهب إلى الكُتاب وكنت أذكى طفل من بينهم جميعًا.

لدرجة ان الشيخ يأتي لي في البيت ويحفظني بمفردي عندما رأى انني مميز عن البقية.

ومن ثم قرأ لها، وكان صوته عذب ايضًا.

*سعدت بدر لأن اخيها نابغة حقًا ولكن أسرتها في نفسها بأن عندما تعود إلى القاهرة من جديد سوف تطلب من عمتها منيرة أن تتعلم هي أيضًا وتحفظ القرآن.

*خرجت بدر لكي تلعب هي وزين في الشارع ولكن ابن الجيران قد انضم لهما في اللعب، كان طفل عمره ١٠ سنوات كان وسيم جدًّا ذا شعر أسود ناعم ووجهه أبيض جدًّا محمر الوجنتين دائمًا كثير الابتسام.

بدأ في اللعب معهما، ولم يكن من نوع الأطفال الأنانية التي تقدم نفسها على بقية الاطفال، ولكن كان يحترم ويقدم من معه، ويستمر في الابتسام دائمًا، وهذا يزيده فوق جماله جمالًا.

عندما كانت تلعب معه بدر وتخسر في لعبة السيجا يقول لها لا تحزني خذي دوري أنا وألعبِ من جديد، كان عندما يقول لها ذلك تعود الابتسامة لوجه بدر وهذا كان يزيده فوق سعادته سعادة، ويقول في قرارة نفسه:

"أنا سعيد لأني ألعب معها، وابتسامتها تزيدني سعادة".

لم يكن أمجد من نوع الأطفال الذي يلعب كثيرًا، أثناء سفر بدر طول هذه السنه لم يلعب إلا من فترة إلى أخرى مع زين وكفى، غير ذلك كان مهتم بدراسته أو بحفظ القرآن، إضافة إلى وسامته كان طفل ذكي على عكس بقية اخوته.

★كان أمجد أثناء اللعب مع بدر لا يحب أن ينتهي الوقت لكي تظل معه أكثر مدة ممكنة..

أثناء اللعب كانت بدر تقول:

-اني ظمأنه جدًّا سوف أذهب إلى البيت وأشرب وأعود إليكما.

*كان أمجد يخاف أن تذهب إلى البيت وأمها تجعلها تبقى في البيت ولا تخرج، لذا كان يقول لها في كل مرة في لهفة:

-لا لا، لا يا بدر لا تذهبي، أنا بيتي ها هو سوف أتي إليكِ بالماء.

من ثم يطير مسرعًا لكي يأتي لها بالماء، وكأنه يريد أن يثبت لها بأنه بطل خارق أمامها، أو كان يحاول جاهدًا أن يفعل كل ما بوسعه كي تظل هي أمامه وكفى.

بعد فترة من اللعب تقول بدر:

*سوف أذهب إلى البيت كي أكل شيء وأعود من جديد.

*فكان يمسكها من يدها وكأنها سوف ترحل عنه إلى الأبد، ويقول بنبرة فيها لهفة حزينة:

-لا تذهبي يا بدر، انتظري أنتِ هنا، حتى أنا جائع جدًّا سوف أذهب وأقول لأمي وتجهز لنا ثلاث شطائر لي ولكِ ولزين.

*كانت بدر تبتسم له بسبب تصرفاته تلك التي لا تعرف معناها الآن، ولكن تلك التصرفات في المجمل تجعلها سعيدة، ومن يجعلها سعيدة فهو شخص يستحق الحب أكيد، الحب الطفولي البريء.

*ظل أمجد طوال هذا الشهر مستغله بكل الطرق لكي يقضي أطول فترة ممكنه مع بدر ولكن كان أصعب يوم على أمجد هو أخر يوم لعب مع بدر وقبل أن ترحل بدر إلى بيت خالتها منيرة لكي تستعد للسفر، قال لها أمجد في حزن والدموع تتلألئ في عينيه السوداء كان ترقق الدمع في عينيه شبيه بنجوم السماء التي تلمع في ظلمات الليل القاحلة، وأردف:

-بدر، لما لا تبقين هنا مع أمك فوزية...؟ على الأقل أنتِ هنا مع أسرتك وإخوتك...

ومن ثم تردد قليلًا ثم أكمل:

وحتى أنا، كي نظل سويًا ونلعب معًا.

*ردت عليه بدر موضحة:

-حتى خالتي منيرة هي أمي، تلك أسرتي أيضًا، وأنا قد أعتد على القاهرة جدًّا.

-حزن أمجد لأنه وجد أن كلامه أو عيونه ودموعه لا تؤثر ببدر وطأطئ رأسه للأرض، ومن ثم نظرت له بدر بعينيها البريئتين ورفعت له رأسه وأردفت:

-لا تحزن يا أمجد، أنا لن انساك ابدًا، سوف يمر هذا العام سريعًا أيضًا وسوف اتي إلى هنا ونلعب سويًا، صدقني لدي إحساس يقول إننا سوف نظل معًا لأخر يوم في حياتك.

*لم يفهم أمجد ما قالته بدر ولكنه سعد بكلامها.

*طلعت قد تعافى إلى حد ما وقد أشترى قطعة الأرض بالإضافة إلى بعض المال الذي سوف يستخدمه في الاستثمار في هذه الارض، وكلف أخوه بأن يكون المسؤول في غيابه.

★★★

★عادت بدر إلى القاهرة مع أسرتها وفي هذه المرة قد أصبح لها مكانة كبيرة بالنسبة لرفعت بيك الذي صادفت كل تنبؤاتها معه، وقد زادت مكانتها بالنسبة لفؤاد بسبب فراقها لمدة شهر جعل قلبه ينفطر لها شوقًا، كان يشعر ان هناك شيء ما يؤلم قلبه، هو كان يعلم انه حزين على بعدها عنه، ولكن لم يفهم ما سبب ألم قلبه، ولكنه علم جيدًا السبب عندما رأى بدر في الفيلا قد عادت،

شعر بأن قلبه قد تعافى تمامًا وإن قلبه عندما رأي بدر قد وثب فرحًا من مكانه، وقد ازدادت ضربات قلبه من شدة الفرحة.

*في هذ المرة قد أعتاد فؤاد أن يقابل بدر ويظل معها أطول فترة ممكنة وذلك في الفترة التي تذهب اثنائها أمه إلى النادي.

كل يوم يقابلها ويتحدثان سويًا، وقد بدأ وعلمها كيف تكتب وتقرأ، وفي كل مرة يعطيها قصة من قصصه القديمة، لكي يزرع بها حب القراءة مثله.

تعلق بها فؤاد جدًّا ولم يكن يتخيل يومًا من دون بدر، حتى عندما كان يهدده كامل لم يكن يكترث بتهديده، لأنه يعلم جيدًا إن بدر مع أبيها طلعت وأمها منيرة، وأبيه رفعت بيك لن يستغنى عنهما فبذلك ستظل بدر موجودة دائمًا معه.

كان كامل يستشيط غضبًا منه ويحقد عليه، لأنه حاول جاهدًا أن تكلمه بدر، ولكن بدر لم تكلمه ولا مرة واحدة وتكتفي بالنظر إليه في حنق، لم تكن بدر ترتاح لكامل بسبب فظاظة أسلوبه وعجرفته.

بينما رفعت بيك فمعاملته لبدر قد تغيرت، وازدادت بدر تقربًا من البيك الكبير أكثر وأكثر، لدرجة انه بدأ يعاملها كأبنة له، وكان يشتري لها أفخم الفساتين وأرقى الأحذية، مما أضاف فوق حسنها جمالًا خلابًا لا يوصف، كان البيك يأخذها معه في غرفة مكتبه ولكن كان يطلب منها أثناء اجتماعه بأحد من اصدقائه أن لا تتكلم يطلب منها أن تكتفي فقط بأن تنظر لهذا الشخص.

كان رفعت بيك يعرفها على اصدقائه على إنها بنت إحدى أقاربه ولكن أبوها وأمها ماتا في حادث لذا قرر أن يربيها هو كأبنة له.

كل من كان يراها من باشوات يذهل بحسنها وسحر عينيها، ولكنها لا ترد على أحد كانت تكتفي بالابتسام لأنها بكماء هكذا طلب منها رفعت بيك أن تتصنع.

بعد كل مقابلة كان رفعت بيك يسأل بدر عدة اسئلة، لأنه يعلم جيدًا ان بدر لا تستطيع معرفة شيء سوى اذا حدد كنهه، بسبب تلك الاسئلة ومعرفة بعض التنبؤات من بدر، تطور حال البيك الكبير أكثر وأكثر، فأصبح على دراية أكثر أي شريك سيعود عليه بالنفع أكثر، من هو الشريك الذي يفضل أن يتركه ولا يبدأ المشروع من الأساس لأن نهايته خسارة، عرف معادن الكثير من حوله، لذا بسبب بدر كأنه عمل عملية فلترة لمن في حياته وهذا عاد بالنفع الكثير عليه.

*كانت دولت هانم تستشيط غضبًا من معاملة رفعت بيك لهذه البنت، ولكنه كان يتجاهلها، بالرغم انها تقول له إن هذه الطفلة كاذبة، ولكنه لا يكترث لما تقوله دولت لأنه يصدق فقط ما تراه عيناه وما تسمعه أذناه، كل تنبؤات بدر تصدق.

*كانت بدر تحبه كأنه ابيها حقًا لأنها ترى فيه نقاء قلبه فكانت لا تجد مانع في أن تساعده، كانت تحب بدر وجودها معه، لأنه الوحيد الذي جعلها تنتبه لموهبتها تلك.

*كان رفعت بيك في مقابل مساعدة بدر له، كان يحقق لها ما تتمنى، كانت بدر تحب الملابس فكان يأتي لها بأفخم الملابس، طلبت منه بدر في مرة بأنها تريد أن تبدأ في حفظ القرآن وذلك بما انها تعلمت القراءة والكتابة بفضل فؤاد بيك، لذا قرر رفعت بيك بأن يأتي إلى البيت محفظ قرآن مخصوص من أجلها هي فقط.

وبهذه الطريقة تحققت دعوة أبيها عطاالله لها، بأن تكون من حفظة القرآن الكريم.

كانت بدر نابغة حقًا فقد أتمت حفظ القرآن كاملًا في عامين فقط.

*أصبحت بدر فتاة ذات عشرة سنوات ولكنها كانت مميزة عن من في سنها بسبب تلك الهبة من الله عز وجل وثانيًا بسبب نبوغ عقلها وذكائها وسرعة تعلمها، فأصبحت حافظة للقرآن بالإضافة إلى الكثير من الكتب التي كان فؤاد يعطيها لها مما زاد من ذكائها أكثر وأكثر.



*ظلت بدر تزور أهلها كل عام لمدة شهر فقط، كان أهلها في كل مرة يتفاجؤون ببلوغها السريع ونبوغها عن البقية، في كل ما تذهب إلى أهلها تلعب مع زين وأمجد كالعادة ولكن في سنة عندما أصبح عمرها١٢ عامًا طلبت منها أمها أن لا تخرج للعلب ثانيةً، وأن تظل في البيت مع أختها زينة في البيت.

زينة أصبح عمرها ١٤ عامًا وقد تمت خطبتها بالرغم من صغر سنها ولكن تم خطبتها لحسن شكلها ونضوج جسمها سريعًا بالإضافة إلى ذلك انها ملمة بكل أعمال المنزل، فهي مناسبة جدًّا للزواج، ولكن زواجها سيكون بعد عام، وذلك بعد أن يسافر أخيها زين ذا العشر سنوات إلى القاهرة كي يلتحق بالأزهر.

*كان أمجد يذهل في كل مرة يرى فيها بدر، فقد أكتفى أمجد بأن يظل أمام شرفة غرفة بدر لكي يراها من حين لأخر، كان يدهش من جمالها ورقي كلامها ومظهرها، لدرجة أنها أصبحت كأنها من بنات الباشوات ولكنها أتت إلى القرية، لذا قرر أمجد في قرارة نفسه أن يحاول جاهدًا أن يهتم بتعليمه لكي يثبت لها أنه جدير بها.



★ها هي السنين تمر، اليوم لا يحلو لفؤاد الا بمقابلة بدر عصرًا، ونفسية البيك ترتاح عندما تنبئه بما يجب أن يكون له، وها هي دولت هانم تزداد حقدًا وكرهًا لبدر، وكامل أزداد طيشًا وتهورًا، وها هو طلعت ومنيرة فخورين ببنتهم بدر التي ليس لها مثيل بالنسبة للبنات الاتي في سنها، وها هم حالهما يتحسن أكثر وأكثر ويعتبران أن بدر هي وجه السعد عليهما، الأيام تمر والعطلة تأتي وتزور بدر أهلها، زينة تزوجت وأنجبت ولدًا، بينما زين قد سافر وأثبت جدارته في دراسته في الأزهر، بينما بدر ها هي أصبح عمرها ١٧ عام ولكنها عندما تفاتحها أمها فوزية أو خالتها منيرة في موضوع الارتباط ترفض تمامًا، قد اعتادت بدر على القاهرة من الصعب

عليها أن تعيش في القرية وهي لم تعتاد على العيش بها، لذا كانت ترفض بدون تفكير.

اعتادت بدر على الدلع بمعنى الكلمة، فهي لم تتعلم قد على تلك الأعمال التي تعلمتها أختها زينة سواء الاهتمام بالبيت أو الزريبة، أي عريس كان يطلب يدها ترفضه، ولكن في مرة في إحدى العطلات تجرأ أمجد على أن يطلب بدر للزواج، ها هو في آخر عام في الجامعة، فكرت بدر به ولكنها رفضت لأنها لا تريد القرية أو ترى في نفسها بأنها لن تتمكن من تحمل المسؤولية هناك.

عندما رفضت بدر أمجد شعر أمجد انه جُرح وقلبه قد انكسر، ولكنه لم يستسلم، لذا أنتظر أمام بيتها إلى ان ظهرت له بدر ومن ثم استأذن أمها للكلام مع بدر لدقيقة.

أمجد ينظر لبدر بنظرة مكسورة ويسألها:

-لماذا رفضتي زواجي منكِ...؟ ما هو الغير مناسب بي...؟ هل هو شكلي...؟ مستواي التعليمي..؟

-لا، لم أرفضك من أجل شكلك ولا ملابسك ولا مستواك التعليمي، فأنت تشبه أهل المدينة في كل هذه الأمور، ولكن مشكلتي معك أني لا أريد العيش هاهنا بتاتًا.

*اطمئن أمجد قليلًا وتغيرت نبرة صوته، ومن ثم تكلم في لهفة هامسًا:

-هذا يعني اني لست مثل البقية الذين رفضتهم...؟

-أكيد أنت لست مثل أحد منهم، مشكلتي مختلفة معك، وذلك بسبب اني لا أريد العيش هنا لم أعتد قد على هذا المكان ولا أعرف أن أفعل ما يفعلوه.

-اذا كان هذا شرطك هل لديكِ مانع أن تنتظريني إلى أن أتمكن من التخرج والحصول علة وظيفة ومن ثم أوفر لكِ شقة في المكان الذي تريدينه...؟!

-صدقني يا أمجد أنا لن أتزوج، هذه الفكرة ليست في بالي، ولكن أنت لن تتمكن من شراء الشقة خارج القرية، أنت ستظل هنا.

-من قال لكِ، صدقيني سوف أجتهد ليل نهار وأعمل لكي أُمن لكِ الحياة التي تحلمي بها.

-لا تحاول يا أمجد، هذا لن يحدث ستظل في القرية صدقني.

*شعر أمجد ان بدر تقول ذلك لكي تعجزه فقط، ولكنه قرر في قرارة نفسه أن يدخل في تحدي مع بدر وأن يثبت لها أن كلامها خاطئ.

★★★

★في عام ١٩٦١ في شهر اكتوبر، فاتح فؤاد بدر في موضوع الزواج منها، كانت بدر تعرف مشاعر فؤاد اتجاهها بالإضافة إلى انه قد صارحها بحبه لها عدة مرات ولكنها كانت ترفض وتقول له، لا يمكنني أن أقبل لأن هذا الزواج سوف ينتهي بكارثة.

طلبت بدر من فؤاد أن يكونوا أصدقاء مقربين ويظل معها طوال العمر أفضل بكثير من زواج ينتهي بكارثة.

فؤاد يعلم جيدًا موهبة بدر، كان يقول في قرارة نفسه:

-أكيد بدر تعلم شيئًا ولا تريد أن تقوله لي، هي تكتفي فقط بتحذيري.

أحيانًا كان يوافق على قرار بدر ولكن سرعان ما يخذله عقله ويسيطر عليه قلبه ويرجع ويبوح لها بما يحمله قلبه من مشاعر اتجاهها.

فؤاد عمره٢٢ عام وتبقى له عامان على التخرج من كلية الطب.

جلس فؤاد في مرة يفكر ويقول:

-قد يكون احساس بدر خاطئ هذه المرة في موضوع زواجنا، لأنها قالت لي لن أصبح طبيب وها أنا أحقق حلمي وقد أوشكت على تحقيقه تمامًا.

هذه المرة لن أصدق نبوءتها اني لا أصدق هذه الهرطقة من الأساس، سوف افاتحها مرة أخرى.

★★★

*فاتح فؤاد بدر وفي هذه المرة هو مُصر على هدفه بأن يجعلها توافق، نظر في عينيها وهو يمسك بيدها، وأردف:

-بدر صدقيني لا يهمني ماذا تشعرين، الذي يهمني أن أحقق أهم حلم في حياتي أن تكوني أنتِ لي.

- لا تحاول يا فؤاد ان اهلك سوف يرفضون ونهاية هذا الزواج ستكون مأساوية.

-اولًا المشكلة في أمي فقط بينما أبي يحبك جدًّا وبالعكس سوف يؤيد زواجنا.

-لا، هذا ما تظنه أنت، صحيح أباك يحبني جدًّا، ولكن سيكون ضدي في أمر زواجك بي صدقني.

-ارجوكِ يا بدر، دعيني أحاول، وكفاكِ تشاؤم بسبب إحساسك.

-ليس إحساس صدقني، ألا تعلم ما هو السبب الذي يجعلني أضع حواجز بيننا من البداية برغم حبي لك، لأني أعلم النهاية.

لن أبني سعادتي بأن أكون معك على نهاية حياتك.

*صدم فؤاد بسبب كلام بدر الذي لم يفهمه، وأردف متسائلًا:

-ماذا تقولين...؟ ما معني نهاية حياتي...؟

-إذا تزوجتني سوف تنتهي حياتك بالموت صدقني..

-اسمعي يا بدر الموت مقدر سواء تزوجتك أم لا، لا يوجد أحد يستطيع أن يغير قدره.

★بكت بدر وأردفت وهي تجهش بالبكاء:

-أنت لا تفهمني، ولا تصدق ما أشعر به، صدقني أنا لا أقول ذلك من تلقاء نفسي، أنا أشعر ان الله هو من يرسل لي هذا الإحساس لكي اتفادى أي خسائر ليس تغيرًا للقدر.

*بدأ فؤاد في مسح دموعها التي تشبه حبات اللؤلؤ، بالفعل كانت أشعة الشمس الساقطة على دموع بدر تجعلها تلمع مثل اللؤلؤ الذي ينزل من عينيها النجلاوين الخضراوين على خدها الأحمر الناعم، ومن ثم قام بتهدئتها وأردف لها مصرًا:

-اسمعي يا بدر، حتى ان كان كلامك صحيح وسوف أمر بمشاكل مع أهلي من أجل هذا الزواج وسوف أخسر حياتي من أجلك لا يهمني، أنا حياتي فداكِ، يكفيني اني أكون حققت حلمي وإنكِ تكوني ملكي.

-ولكن هذا يرضيني أنا، ألا يهمك أن تريني سعيد...؟

-لا يهمني سوى سعادتك، ولكن ليس على حساب حياتك..

-ها، ماذا قلت لكِ...؟ إن الموت مقدر في يوم محدد وساعة محددة سواء كنت معكِ أم لا... اتركيها على الله وكفى، واطلب منك طلب، لا تتبعي إحساسك دائمًا، عيشي على الأمل بالله ، وسلمي أمورك له، لا داعي للتفكير كثيرًا.

★قالت بدر في قرارة نفسها: "هو لا يفهم ان إحساسي هذا من الله، هو مصر على ان كل ما أشعر به مجرد هرطقة".

ومن ثم نظرت بدر في عيني فؤاد وأردفت:

-حسنًا يا فؤاد، أترك لي الليلة فقط لأفكر، وغدًا سأقول لك قراري.

★هش وبش فؤاد عندما سمع هذا الكلام من بدر ومن ثم قال:

-خذي قرار مبني على سعادتي وسعادتك، لا تنسي يا بدر.



الفصل الرابع

القرار

-دخلت بدر غرفتها وتمددت على سريرها وأخذت تنظر إلى السقف تفكر في القرار التي يجب أن تأخذه ويكون مبني على سعادتها وسعادة فؤاد، من ثم لمعت فكرة في ذهن بدر وقالت:

-لما لا أنظر إلى المرآة وأنظر إلى عيني وأسأل نفسي هذا السؤال...؟!

قامت بدر من سريرها ومن ثم وقفت أمام المرآة وها هي تنظر إلى عينيها الخضراوين وسألت نفسها.



★في صباح اليوم التالي قالت بدر لفؤاد:

-لقد فكرت وأخذت قرار مبني على سعادتي وسعادتك، لذا أنا موافقة أن نتزوج.

-هذا أفضل خبر سمعته، إذًا سوف أفاتح أبي وأمي الليلة في موضوعنا.



★في المساء بعد العشاء، طلب فؤاد والداه كي يتكلم معهما في موضوع ضروري.

أوضح فؤاد لأبيه وأمه رغبته في الزواج من بدر ولكن أمه لم تستطع أن تتمالك نفسها وتسمع بقية الموضوع واستشاطت غضبًا وأردفت:

-أجننت يا ولد..؟! تريد أن تتزوج بنت الخادمة...!

-ولكنها بنت مثقفة وجميلة يا أمي، ما ذنبها ان أمها تشتغل خادمة، لا يوجد أحد في الوجود يختار أمه أو أبيه ولا يوجد أحد يختار مستواه المادي، كل تلك الأمور هي اختيارات الله، بينما بدر هي جميلة في كل شيء، لا يهمني الشكليات الاجتماعية تلك.

-ألا يعجبك رأيي وتدافع عن تلك الفتاة...!

-لست أدافع عنها اني أقول الحقيقة يا أمي، أقول الحقيقة التي لا ترغبي أن تريها لأنك تنظرين إلى كل شيء حولك بعنصرية وطبقية.

-في هذه اللحظة تدخل الأب لكي يفض هذا الاشتباك، وأردف وهو ينفث دخان سيجارته غاضبًا:

-كفي، توقفا عن الكلام قليلًا.

- أيعجبك كلام ابنك...؟ يريد بنت الخادمة... وها هو يعلي صوته على أمه من أجلها... لقد سحرته تلك الدجالة.

★قام رفعت بيك من مكانه غاضبًا وأردف:

-قلت لكما كفى، لقد قلتما ما يكفي، أسمع يا فؤاد لا تعلي صوتك على أمك من أجل أي أحد سواء بدر أو غيرها، أنا لم أعتد منك على ذلك، بينما على فكرة زواجك من بدر فهي مرفوضة.

*هنا صعق فؤاد وصدم عندما سمع تلك الكلمات، فهو يشعر بأن هناك صاعقة من السماء نزلت عليه ودمرت كل ما بداخلة، بالفعل قد شل تفكير فؤاد، لأنه كان يظن ان الأمر أسهل مما ينبغي، لأنه كان يتوقع بأن أباه سوف يكون في صفه ويكتمل الأمر بسهولة، بينما الآن فأن رفعت بيك في صف الأم وهذا أضعف موقفه جدًا، ومن ثم أكمل رفعت بيك قائلًا:

-أنا لا أرفض بدر إلا من أجل اني من البداية قد اعتبرتها بنت لي وهي أخت لك ولكامل، وأنا لم افاتحك في أمر الزواج من قبل لأني أعلم جيدًا بأنك ملم بدراستك في كلية الطب وأجلت اتفاقيات كثيرة مبنيه على زواجك وهذا فقط من أجل دراستك، ولكن الآن بعدما أوضحت رغبتك في الزواج وأنك ليس لديك مانع من الزواج أثناء فترة دراستك، فسوف أوافق أنا على عرض شاكر بيك، توجد شراكة سوف تعود بالنفع بين العائلتين إذا حدث ذلك الارتباط، سوف ترتبط بأبنته صفاء هي معجبة بك حقًا وأباها لا يرفض لها طلب وصارحت أبيها وأبيها عرض عليّ الأمر وأنا لم أرفض ولكني أجلته للوقت المناسب وها هو الوقت المناسب قد أتى.

*كانت دولت هانم تنظر لفؤاد في تشفي وانتصار، لأن زوجها وقف في صفها هذه المرة برغم حبه لبدر.

*و لكن كلام رفعت بيك ونظرة دولت هانم جعلا من فؤاد يصر أكثر وأكثر على طلبه وأردف وهو يشعر بالحنق وقد احتقن وجهه بالدم وقد صار أحمر جدًّا من شدة الغضب:

-أنا لست فتاة لكي تختارا لي من أتزوج، وأنا لا يهمني أن تعتبر بدر ابنة لك، وأنا لم أعتبرها اختي في يوم ولن أعتبرها هكذا، وصدقني يا أبي سوف أتزوج بدر، ولا أريد أن أتزوج سواها.

- أتتحداني يا ولد...؟

-لا أتحداك يا والدي... ولكن ليس من العدل أن تحرموني من رغبتي.

-هذا رأينا ونحن نعلم مصلحتك جيدًا، وسوف تنفذ كلامنا.

-لن أنفذ أي قرار يأتي على حساب نفسي وسعادتي، لا أريد أن أكون مثلك ومثل أمي علاقة زوجية فاترة يملأها الرسميات وكفى، خالية من الحب، زواج مبني على مصالح الطرفين، لا أريد مثل ذلك زواج، أريد زواج مبني على الحب وسعادة الطرفين.

-لا تعاندني يا فؤاد..

-أنا لا اعاندك يا أبي... ولكن أنا أصارحك بما سوف أفعل، وها أنا أخبركما إن لم توافقا على زواجي من بدر، سوف أتزوجها، ولن يمنعني شيء من زواجي بها.

*همت أمه من مقعدها بعدما وصل حنقها من أبنها إلى أقصى حد، وأردفت مهددة وهي تشير لابنها بسبابتها:

-ما هذا التهديد يا ولد..؟ أقسم لك إذا تجرأت على تنفيذ تهديدك وتزوجت بنت الخادمة تلك لن تكون ابننا من تلك اللحظة وسوف نحرمك من الميراث.

-يعني أنتِ الآن تحاولي أن تلوي ذراعي يا أمي لكي أخضع لقرارك، إذن أنا أقطع ذراعي ذلك قبل أن تلويه لي، لأني إذا خضعت لكي مرة، سوف تجبريني فيما بعد لتنفيذ كل ما تريديه مني، أنا لي الحرية الكاملة في اختيار حياتي، إذا كان الميراث فيما بعد سيكون عائق لي لتحقيق أهدافي ورسم حياتي كما أريدها، اذا لا أريد شيء منكما، ولكن أعلموا جيدًا اني احترمت وجودكما وأخبرتكما.

★★★

*خرج فؤاد وذهب إلى بدر وقال ان ما حدث عكس ما توقع ولكن حصل توقع بدر بأن أهله سيرفضون وتحدث مشكلة كبيرة، نصحته بدر أن لا يكمل كي لا تزيد المشاكل أكثر.. ولكنه رفض وأصر أن يتزوجها وطلبها من أبيها طلعت وأمها منيرة، ترددا قليلًا في أول الأمر، ولكن في النهاية وافقا لأنهما لا يهمهما سوى سعادة بنتهما بدر ولا يتمنا شيئًا في حياتهما سوى أن يروها في عش الزوجية مع رجل تحبه، أي لم يكن فؤاد مجرد زوج وكفى.

*لم يمر كثيرًا إلا في نفس الساعة قررت دولت هانم أن تطرد بدر وأهلها من الفيلا تمامًا، وحدث ما كان خائف منه طلعت، كان يعلم جيدًا إذا وافق على هذا الزواج سوف يطرد من عمله هو وزوجته، ولكنهم لم يفكرا في مصلحتهما بل فكرا في سعادة بنتهما

التي كانت وجه السعد عليهما وكانت بشرة الخير في تغير حالهما إلى الأفضل.

★سألت دولت هانم مرة أخرى أبنها فؤاد:

-ها ما هو قرارك أخبرني..؟ أما زلت تريد بنت الخادمة أم لا...؟ ها أنا أخيرك... عائلتك وزواج مرموق لك يعود بالنفع عليك وعلى أسرتك وميراث كبير فيما بعد وحياة هنيئة في مكان راقٍ، أم مجرد بنت الخادمة التي بسببها سوف تخسر كل شيء أسرتك ومستقبلك..!

-لا يهمني، أنا أريدها هي وكفى، فهي حاضري ومستقبلي، سوف أعتمد على ذاتي، لم يخلق أحدهم وجد في جيبه مال، أي غني كان في البداية فقير وأعتمد علي ذاته إلى أن وصل، أنا من أصنع المال، المال لا يصنعني، المال ليس اساس الحياة بالنسبة لي، الحب هو أساس الحياة، لان بالحب يحصل المرء على نفسية متزنة لمواجهة الحياة وكي يمضي قدمًا ما دام يشعر بأن أحد يحبه بجواره يحبه ويسانده، إذا كان الأساس سليم في أي شيء كل ما يأتي بعده يكون سهل.

-حسنًا، أنت مصر إذًا، أريدك أن تمضي على هذه الورقة فيها تنازلك عن كافة حقوقك، وإذا لم تغير رأيك وأصررت على الامضاء والتنازل من أجل هذه الفتاة يجب أن تخرج من هذه الفيلا حالًا.

*أمسك فؤاد القلم وظل يفكر قبل أن يمضي، لدرجة ان أمه شعرت انه سوف يتراجع في كلامه ولن يتزوج بدر، ولكن سرعان ما

أفاق فؤاد من شروده وقرر ان بدر تستحق ان يتنازل عن كل شيء من اجلها، ومضى ومن ثم خرج هو وبدر وأسرتها.

*كان فؤاد معه بعض المال لذا قرر أن يناموا في فندق في تلك الليلة إلى ان يقرر فيما بعد ماذا سيفعل.

*في اليوم التالي أتى فؤاد بالمأذون وتم زواجه على بدر وكانت منيرة وطلعت هما الشهود، وسعدا بالفعل لأنهم اطمئنا على بنتهما، لأنها أصبحت مع من يحبها وقد ضحى بكل شيء من أجلها، فكان فؤاد نعم الرجل في نظرهما.

*عاد كل من طلعت ومنيرة إلى القرية من جديد، وحينها قرر طلعت ان لا يبحث عن وظيفة من جديد فهو في الخمسين من العمر ومنيرة أصبح عمرها ٤٧ عام لذا قال لمنيرة:

-اظن ان الله له حكمة فيما جرى، فأنا وأنتِ أحق ان نأخذ راحة من العمل.

-بالفعل نحن لا نحتاج العمل في شيء، والحمد لله، ها هي الأرض ملكنا تعود علينا بدخل كبير جدًّا وسوف نبني لأنفسنا بيت جديد.

-صحيح يا منيرة، نحن تعبنا كثيرًا ونحتاج أن نرتاح وكفى ونحمد الله على ما أعطانا من نعم.



*كان فؤاد يمتلك بعض المال فقرر أن يؤجر شقة في منطقة ليست براقية تأخذ كل ما يملك كإيجار لشهر واحد فقط، ولا هي منطقة شعبية والمبلغ الذي معه يكفيه لكي يؤجر شقة في منطقة شعبية لمدة خمسة أو ستة أشهر، بينما هو وجد شقة مناسبة والمبلغ الذي معه يكفيه لكي يؤجر تلك الشقة لمدة ثلاثة أشهر فقط.

*عندما رجع إلى الفندق ثانيةً إلى بدر لكي يخبرها عن تلك الشقق، فقالت له بعينين تملؤها الحزن على حال فؤاد التي تغير في يوم وليلة من أجلها:

-اسمعني يا فؤاد، ليس لدي أي مانع لكي أعيش في منطقة شعبية، لأن إذا عشنا بها سوف يكفينا المال الذي معنا سواء مسكن ومأكل، بينما الشقة الأخرى لن تنفع معنا نهائي فأنت تعلم جيدًا أنت تدرس ويجب أن تنتبه لدراستك فلا يمكن أن تعمل وتدرس في آن واحد.

*نظر فؤاد إلى عيني بدر وهو يشعر بالندم وأردف:

-لم أكن أرغب في أن يكون زواجنا هكذا، كنت أريد أن أسعدك بمعني الكلمة بزفاف كبير، وأفضل فستان زفاف يصمم من أجلك، وأخذك وألف بكِ العالم في شهر العسل، وتعيشي معي في الفيلا وتصبحين هانم، ولكن كل من حولي تآمر ضدي.

-أنا قلت لك وحذرتك ولكنك لم تصدقني...

-وماذا سوف استفاد ان صدقتك...؟ تريديني أن استسلم وأترككِ...! وأعيش من دونك وأكون لغيرك، وهل هذه حياة...! كيف تكون حياتي حياة من دونك يا بدر...!

-ولكني أشعر بالذنب لأن بسببي قد خسرت كل شيء وسوف تخسر حياتك بسببي وأنا أنجب لك طفلك.

-هذا ليس ذنب، هذه إرادة الله.

قد تكون نهاية حياتك ليس بعد الطفل الأول، قد يكون بعد ابننا الخامس أو العاشر.

*ضحكت بدر عندما بدأ فؤاد يداعبها ويحاول جاهدًا أن يغير الموضوع.

-ستظل هكذا لا تصدق كلامي، ولكني أتمنى أن يكون كلامي خطأ في هذه المرة.

-حسنًا يا بدر أنا قررت سوف نعيش في الشقة التي يكفي المال الذي معنا لمدة ثلاثة اشهر، وبعد ذلك سوف أبحث عن وظيفة لكي يساعدني المرتب قليلًا.

-ولكن هذا شاقٍ عليك يا فؤاد دراسة وعمل في ذات الوقت.

-يجب أن أتعب الآن لكي أرتاح فيما بعد، افهمي جيدًا أن كل ما نمر به هي مرحلة مؤقتة ها أنا في السنة السادسة وسوف أعمل في عطلة نهاية الفصل الأول...



*في العطلة حاول فؤاد جاهدًا أن يجد وظيفة ولكنه لم يجد إلا وظيفة في مركز طبي بعد محاولات عدة، هنا شعر فؤاد ان الله ييسر له أمره، لا داعي للتفكير كثيرًا، كان يواظب بين الجامعة والمركز، وحتى الوقت التي يقضيه في المواصلات بين الإثنين كان يقضيه في الدراسة.

كان الأمر شاق على فؤاد، بعدما أعتاد على حياة مرفهة، ها هو يشق ويتعب من أجل مكان يعيش فيه وبعض اللقيمات التي يقمن صلبه، ولشراء السجائر فكان من كثرة الضغط الذي مر به في هذه المرحلة جعله يكتسب تلك العادة السيئة ألا وهي التدخين، لم يكن فؤاد من النوع العصبي، ولكن من كثرة الضغط عليه شعر بأنه يريد أن يخرج غضبه وضغطه في شيء، فلم يجد سوى السجائر كأفضل حل لينفث بها عن غضبه وضغطه وتشتته.

*كانت بدر تحذره دائمًا، توقف عن شرب السجائر سوف تكون سبب موتك صدقني، ولكن فؤاد لم يكن يكترث لكلامها، لأنه يظن أنها تقول ذلك مثل بقية النساء انه يجب على الرجل التوقف عن التدخين من أجل صحته وما إلى ذلك.

*في شهر يونيو١٩٦٢فؤاد يجد ويجتهد في دراسته وها قد أكمل دراسته في العام السادس له في كلية الطب، وبدر حامل في الشهر الثامن وقد أوشكت على الولادة، هنا شعر ان أمور حياته بالفعل بدأت تستقر لم يتبقى له في الجامعة سوى سنة واحدة فقط، هنا حمد الله بأنه أتبع قلبه وإحساسه هو لا إحساس بدر

الذي كان بسببه قد كان يستسلم، ولكن بثقته في الله ان كل شيء بيد الله وحده ها هي حياته تترتب من جديد بدون ان يخسر شيء.

*في شهر يوليو ١٩٦٢ تشعر بدر بأعراض الولادة، بدر تبكي وتتألم وفؤاد يقول لها:

- لا تبكي ستكونين بخير، أنا معك.

- لست أبكي من الألم، أنا أبكي لأني سأفقدك الليلة.

- لا تقلقي سأكون بخير، أحسني الظن في الله.

- صدقني لقد ازداد شعوري، لا أريد أن ألد في المستشفى لا أريد.

- وكيف سوف تنجبين من دون أن تذهبي للمستشفى...؟

- تصرف أنت، أنت طبيب.

- ولكن هذا ليس مجالي يا بدر، هل تريديني أن أتعلم فيكِ...هيا لا تقلقي ولن يحدث سوى ما كتبه الله لنا.

★★★

* ها قد وصلا إلى المستشفى، ودخلت بدر غرفة العمليات، وفؤاد متوتر جدًّا ويشعر بالخوف والقلق على بدر، الوقت يمر والخوف يزيد أكثر، تحسس فؤاد جيبه فلم يجد علبة السجائر، يريد فؤاد السجائر لكي يقلل من توتره قليلًا ويتخلص من قلقه، ولكنه تذكر انه قد نساها في الشقة بسبب خوفه على بدر فلم يتذكر أن يأخذها معه.

لذا قرر فؤاد أن ينزل من المستشفى لكي يشتري سجائر.

نزل فؤاد وأضطر إلى أن يعبر الطريق لكي يصل إلى المحل المقابل للمستشفى، اجتاز فؤاد الطريق الأول بأمان وبينما هو يجتاز الطريق الآخر كان فؤاد حينها مشتت الذهن بسبب قلقه على بدر، كان خوفه على زوجته يشكل هالة حوله تفصله عن العالم الخارجي لا يرى إلا ما أمامه ولم يكن يسمع ما يدور حوله.

ومن ثم أتت شاحنة كبيرة واصطدمت بفؤاد في تلك الليلة المؤلمة.

في نفس اللحظة التي خرجت فيها روح فؤاد من جسده، حينها قد ولدت بدر أبنها.

*تجمعوا بعض الناس حول جثة فؤاد ومن ثم نقلوه إلى المستشفى تعرفت أحدى الممرضات التي كانت تمر في الممر على صاحب تلك الجثة وتذكرت وأردفت لصديقتها التي بجوارها وهي تشعر بالحزن والأسى: "انه الرجل الذي أتى مع زوجته التي كانت في غرفة العمليات للولادة".

"اذا سألتك أين زوجها اخبريها عندما تكون بخير".

*بدر تسأل الممرضات أين زوجها...؟ ولكن لا أحد يعرف ولا أحد يرد، وقلب بدر ينغص عليها ويؤلمها وتعلم جيدًا ما جرى له، ولكنها تريد ان تثبت حدسها، إلى أن جاءت تلك الممرضة التي تتذكر بدر جيدًا أنها رأتها هي وزوجها عندما دخلا المستشفى.

حاولت الممرضة أن تتملص من الاجابة، لا تريد ان تصدم بدر وهي بتلك الحالة، فقالت لها الممرضة وهي تتحاشى النظر في عيني بدر:

-لا يوجد أحد بتلك الموصفات يا سيدتي، لا يوجد أحد ينتظرك في الخارج.

*شرعت بدر بالبكاء، لم يرتح قلب الممرضة، قررت أن تقول لها الحقيقة:

-ان زوجك قد وجدوه على الطريق أمام المستشفى، لقد مات.

★اجهشت بدر بالبكاء، وتمتمت:

-كنت أعرف ان هذا سوف يحدث... كنت أعرف.

★★★

*خرجت بدر في الصباح ومعها أبنها، وقد قررت أن تسميه خليل، لكي يكون خليلها في هذه الدنيا بعد ما فقدت فؤادها وقلبها وحبيبها وزوجها فؤاد، الذي ضحى بكل شيء من أجلها.

لم تعرف بدر ماذا تصنع، ها هي بمفردها في هذه الشقة تخدم ذاتها، ولكن قررت أن تذهب إلى فيلا رفعت بيك، أخذت سيارة أجرة وذهبت إلى هناك، وكانت تحمل ابنها الرضيع في حضنها، وطلبت من البواب مقابلة رفعت بيك في موضوع ضروري ، أخذت بدر تتذكر كل مكان في الحديقة وشكل الفيلا، تتذكر تلك السنين التي عاشتها في الفيلا مع أسرتها ومع فؤاد، اذن رفعت بيك للخادمة

ان تخبر بدر ان تنتظره في مكتبه، لقد وافق رفعت بيك بعدما رأى بدر تنتظر في الحديقة وشكلها لا يسر وقد اضطرب قلبه وشعر ان هناك خطب ما أجبر بدر على القدوم هنا.

استقبل رفعت بيك بدر في مكتبه كان جالس على كرسي مكتبه يضع ساق على ساق وينفث دخان سيجارته وطلب من بدر أنت تدخل في الموضوع مباشرةً لأنه ليس لديه وقت كافٍ.

شرعت بدر بالبكاء ومن ثم حاولت أن تتمالك نفسها وأردفت:

-فؤاد مات بالأمس وأنا في المستشفى، اصطدمت به شاحنة كبيرة فمات وجثته في المستشفى، لم يرى ابنه حتى، قد توفى حين أنا كنت في غرفة العمليات، لقد أتيت إلى هنا لكي أخبركم لكي تبدؤوا بالإجراءات المطلوبة.

*صدم رفعت بيك بهذا الخبر، لقد فقد ابنه الغالي، كان رفعت بيك على أمل بأن فؤاد سوف يعود إليه في يوم من الايام، كان يظن ان فؤاد لن يتحمل كل هذه الفترة وتلك المسؤولية الكبيرة وسوف يعود إلى اسرته من جديد لكي يعيش حياته المرفهة، ولكنه لم يعد، ولن يعود إلى الأبد.

الدموع تتساقط من عين رفعت بيك ولا يستطيع ان يكبحها ولكنه يبكي بصمت، ظل رفعت بيك مصدوم لا يحرك ساكنًا سوى الدموع تنهمر من عينيه، ومن ثم خر واقعًا على مكتبه فاقدًا الوعي، صرخت بدر وهي تجهش بالبكاء وتحاول افاقته، نادت صارخةً ان يساعدها احد، وكانت في ذلك الوقت تحاول أن تأخذ جسد رفعت

بيك من على الكرسي والمكتب وجعله يتمدد على الارض كي يصل الدم الى عقله ولو كان مجرد اغماء من صدمة أو ضغط يعود إلى وعيه بعد فترة من الاسترخاء، بعد ان مددت جسده، جاءت دولت هانم وهمت صارخة في بدر:

-لمَ أتيتِ إلى هنا يا وجه الخراب...؟!

*من ثم نظرت وجدت رفعت بيك ممدد على الأرض فصرخت في بدر مجددًا:

-ماذا فعلتِ ايتها الساحرة...؟ ألا يكفيكِ الخراب الذي لحقتيه بالأسرة كلها...! ها قد أتيتِ وأذيتِ رفعت بسحرك هذا.

*أخذت تمسح بيدها على رأس رفعت بيك وعلى وجهه محاولة إيقاظه ومن ثم تمتمت:

- لقد حذرته مرارًا ان لا يسمح لكِ في يوم من الأيام بدخول هذا البيت مجددًا.

* ها قد أفاق رفعت بيك ومن ثم تمتم وقال لزوجته:

- اتركيها وشأنها، لقد جاءت لتوصل لي رسالة.

* قالت دولت هانم وقد رسم على وجهها ملامح الوجوم والاستغراب:

- وما هي تلك الرسالة...؟

* أخذ رفعت بيك يحاول أن يعدل من جلسته فهمت بدر بمد يدها له لكي تسنده لكي ينهض من على الأرض، ولكن عندما مدت

بدر يدها منعتها دولت هانم وأشارت لها بأن لا تقترب، وهذا جعل بدر تجهش بالبكاء أكثر، فهي تتألم لأنها ولدت بالأمس ولم ترتاح بعد، وقد خسرت زوجها وها هي قد شُردت هي وابنها.

من ثم سندت دولت هانم رفعت بيك لكي يجلس على كرسي مكتبه، من ثم أردفت بإصرار:

-ما هي تلك الرسالة التي أتت بها...؟

-ان ابننا فؤاد...

*من ثم توقف رفعت بيك عن الكلام، وكأن لسانه قد تثاقل لا يطاوعه على النطق..

*صرخت دولت هانم بعد سكوت رفعت بيك الذي جعل قلبها يؤلمها من خوفها على ابنها:

-ما به ابني فؤاد قل لي...!؟

*ولكن رفعت بيك لا ينطق ورجع مصدوم مرة اخرى لا يقدر على النطق، فنظرت دولت هانم الى بدر وهي تستحقرها وتكلمها صارخه بها:

-ما به ابني فؤاد انطقي...؟!

*اجهشت بدر بالبكاء ومن ثم حاولت ان تجمع كلماتها وتنفست الصعداء وأردفت:

-لقد مات فؤاد ليلة أمس.

*صعقت دولت عندما سمعت هذا الكلام، ودخلت في حالة إنكار لما تسمعه من بدر وأردفت وهي تسمك ببدر:

-أنت تكذبين... ابني ما زال صغيرًا... ابني لم يمت... وهيا أخرجي من بيتي.... ليس لكي مكان هنا.

أشار رفعت بيك لدولت هانم أن لا تفعل ذلك، ولكنها أصرت على طرد بدر وأبنها من الفيلا، ولم تسمع دولت لرفعت ابدًا، كان رفعت بيك لا يريد ان يتفاقم الأمر وكان يريد بدر ان تظل معه هي وأبنها، ولكنه لم يعد قادر على الكلام وفجأة تثاقل جسمه ولم يعد يستطيع الكلام ولا الحركة...

*عرفت دولت اسم المستشفى التي بها جثة ابنها فؤاد ومن ثم قامت بطرد بدر من الفيلا بدون أي وجه رحمة، ولا يهمها حفيدها الذي في حضن بدر.

لم تكلف نفسها حتى أن تنظر إليه أو أن تعتبره قطعه من ابنها وأن روح ابنها خرجت من جسده وأتت إليها في جسد ذلك الرضيع.

*نقلت دولت هانم رفعت بيك إلى المستشفى كي تطمئن على حالته بعدما دخل في حالة إغماء بعدما تثاقلت أعضائه ولسانه...

★عرفت ان زوجها قد اصيب بشلل كُليّ من أثر الصدمة...

بعدما عرفت تشخيص حالة زوجها همت مسرعة إلى المستشفى التي بها فؤاد وقامت بكافة الإجراءات وفي اليوم التالي كان الدفن.

رجعت إلى زوجها ليلًا في المستشفى وكان قد أفاق ولكنه لا يقدر على شيء ولسانه ثقيل جدًا لا يُخرج كلمة مفيدة بل لا تسمع منه سوى بعض الهمهمة.

*كان رفعت بيك يؤشر لها بعينيه ويحاول أن يهمهم بالكلام يسألها عن بدر، بعد عدة محاولات قد فهمته دولت ولكنها تصنعت عدم الفهم لأنها لا تريدها في حياتهم ابدًا، ولكن رفعت بيك كان يريد بدر من أجل حفيده الذي هو قطعة من ابنه، ولكن دولت لم تكن تفكر برحمة أبدًا.

في ذات اليوم اتصلت دولت هانم بأخيها أشرف وأخبرته بوفاة فؤاد وأن رفعت في المستشفى ولا يقدر على الحراك ولا الكلام.

تكفل أشرف بأخبار الأقارب والمعارف لكي يأتون للعزاء في اليوم التالي.

*بعد منتصف الليل يعود كامل ثملًا إلى الفيلا وعندما رآه البواب أردف:

-البقاء لله يا بيك...

ولكنه لم ينتبه لما قاله البواب ومن ثم دلف إلى الفيلا ولم يجد أبيه ولا أمه في الفيلا أستغرب قليلًا، ولكنه لم يكن في كامل قواه العقلية فلم يكترث ومن ثم نام نوم عميق بعد سهرة طويلة.

*في الصباح دولت تتصل من المستشفى على أبنها كامل ولكنه لا يرد، فردت الخادمة على الهاتف الذي لم يتوقف عن الرنين المستمر... فطلبت دولت هانم من الخادمة أن تجعل كامل

يستيقظ حالًا وأن يلحق بهم إلى المستشفى الذي سوف يأخذون منها جثة أخيه إلى المقابر...

*همت الخادمة إلى غرفة كامل بيك وحاولت أن تيقظه ولكن رأسه كانت متثاقلة جدًّا بسبب كثرة الشرب في ليلة أمس، حاولت مرارًا إيقاظه إلى أن أفاق، أخذ يداعب الخادمة، حتى الخادمة لم يكن يتركها وشأنها ويمارس عاداته القذرة مع تلك الخادمة الشابة التي لم يكن بيدها حيلة سوى الصبر على أفعاله تلك حتى لا تخسر عملها وهي التي تصرف على امها وإخوتها الصغار.

ولكن في ذلك اليوم لم تدعه، ولكي تمنعه من الاقتراب منها أكثر من ذلك فقالت له الخبر كي يتركها وشأنها وينشغل بالخبر عنها وقالت وهي خائفة وهي تهم بالهرب منه:

-سيدي، ان الهانم تخبرك ان تلحق بهم إلى مستشفى(.....) لأنهم سوف يأخذون جثة أخيك اليوم ويتم دفنه في مقابر العائلة.

* دهش كامل، وهو يمسح عينيه يريد أن يتأكد انه بالفعل قد أفاق من نومه أم لا، من ثم تأكد انه مستيقظ بالفعل، قد صدم كامل ولكنه لم يحزن أبدًا على أخيه، بالفعل ان أثر الكحول في دمه يجعل منه إنسان بلا مشاعر ولا يتأثر أو يكترث لشيء.

*هم كامل بالنهوض ولحق بأسرته، شعر كامل ان الدنيا تهديه المزيد والمزيد ها هو قد أصبح المالك الوحيد لأملاك أبيه، لم يعد فؤاد يشاركه شيء، بالرغم انه يعلم ان فؤاد قد تنازل عن حقه قبل وفاته، ولكن قلبه لم يكن يرتاح لأبيه وكان يشعر بأن الماء سوف

ترجع لمجاريها في يوم من الأيام وتحل المشاكل بين فؤاد وأسرته ولكن الآن ها قد أطمئن أخيرًا.

*شعر في جنازة أخيه بأنه يوم توليه الملك، أخيرًا ها أنا الكل في الكل، حتى بعد ما رأى أباه قد شل عن الحركة والكلام شعر بأنه تخلص من كل شيء ينغص عليه حياته، سواء أبيه الذي ينتقد تصرفاته المستهترة من حين لأخر وها قد تخلص من أخيه الذي كان سيشاركه في كل شيء.

بينما وجود أمه لم يكن يشكل له عائقًا لأنها هي كانت دائمًا الداعم له في كل قراراته الخاطئة وكان ردها على زوجها عندما كان يتهمها بأنها السبب في تهور كامل تقول له: " إنه شاب ومازال صغير، دعه يعيش حياته، بعد ذلك سوف ينضج ويتحمل المسؤولية".

وبسبب هذا الكلام كان يزيد كامل استهتاره أكثر وأكثر إلى أن أصبحت شخصيته تتسم بأسوأ الصفات.

*في الصباح أخرجت دولت رفعت من المستشفى ولكنه في هذه المرة خرج على كرسي متحرك، ومن ثم انطلقوا إلى المستشفى الأخرى التي بها فؤاد، عندما وصلوا هناك وجدوا أمامهم بدر تحمل أبنها وعيناها قد احمرا بسبب كثرة البكاء، وعندما رأت بدر رفعت بيك على كرسي متحرك انهارت واجهشت بالبكاء، تشعر بأن حياتها مصممة على ان تدمرها تمامًا، ولكن دولت هانم قالت لها

بنبرة حادة بها تكبر بالرغم انها من لحظة كانت تمسح دموعها التي تنهمر على فقد ابنها، أردفت قائلة:

-كفاكِ تمثيل أيتها الساحرة، لن تؤثري فينا، هيا خذي ابنك من هنا، ولا نريد أن نرى وجهكِ ثانيةً.

*مسحت بدر دموعها وردت متسائلة وهي تنظر لرفعت بيك في انكسار:

- وكيف أعيش انا وأبني...؟!

* ولكن بدر قد صدمت عندما رأت رفعت بيك لا يستطيع أن يحرك شفاه جيدًا لكي يتكلم ولكنه حاول مهمهمًا، ومن ثم اوقفتها دولت هانم وقالت بحدة:

- لسنا مسؤولين عنك... عودي إلى أهلك هم المسؤولين عنك... نحن لا نلم اناس من الشوارع ونعطف عليهم.

- أنا لست من الشارع أنا زوجة ابنكم، وهذا الطفل حفيدكم، وهو له الحق بالعيش معكم، وتؤمن له حياة كريمة انه قطعة منكم، كيف يهون عليكم هكذا...؟!

* في هذه اللحظة كان قد وصل كامل وسمع كلام بدر، فدخل موضحًا:

- انه ابنك أنتِ فقط، ونحن لا نريده في شيء، أخي قد مات وقد تنازل قبل وفاته عن كل شيء فليس لأبنك حق في أي شيء من أملاكنا، وهيا اسمعي كلام أمي وأرحلي وأخرجي من حياتنا.

* كان رفعت بيك لا يعجبه ما يحدث وما يقوله كامل ويهمهم صارخًا، محاولًا أن يقول لهم اسكتوا اني أريدهما في حياتي، لا أريد أن أخسر حفيدي كما خسرت ابني، ولكن كامل ودولت هانم قد استغلوا عجزه ونفذوا رغبتهم.

*بدر لم تحرك ساكنًا من شدة الصدمة والإهانة التي لحقت بها، ومن ثم شعرت بيد كامل ممسكة بذراعها تشدها وتجرها في ممر المستشفى ويرميها خارجًا وهددها:

- اذا ظهرتي في حياتنا مجددًا فلا تلومي إلا نفسك، سوف تخسري كل شيء حينها.

* لم ترد بدر عليه بل ظلت عينيها تفيض بالدمع بعدما شعرت ان ما بيدها حيلة وليس لها سند في الحياة من بعد فؤاد ولا أنيس لها في هذه الدنيا سوى أبنها خليل، فأخذتها في حضنها وضمته، ولكنها انتظرت أمام المستشفى إلى أن خرجت الأسرة ومعهم فؤاد، وظلت واقفة عن بعد تتبعهم وترى زوجها وهو ينتقل إلى مثواه الأخير في الدنيا إلى قبره، ومن ثم عندما وصلت إلى المقابر احتشدت بين الناس الذين أتوا إلى العزاء ولثمت وجهها وخبئت أبنها أسفل وشاحها، لم تعد أدراجها الى أن أكملت كافة مراسم الدفن، ومن ثم تمتمت:

- أراك في الجنة يا فؤادي.

*و من ثم قررت أن تترك القاهرة فلم يعد لها أحد هنا ولا يوجد داعٍ للبقاء فيها، فحبيبها قد رحل، ووجودها بها خطر عليها هي وأبنها من كامل.

قررت بدر أن تعود إلى القرية حيث أهلها وأن تنسى القاهرة وأن لا تعود إليها مجددًا، وقررت أن تكون هي الاب والأم لأبنها خليل، لا تريد أن تعتمد على أحد ولا أن تذل مرة أخرى.



الفصل الخامس

العودة إلى الجذور

*في أكتوبر عام ١٩٦١ عندما عاد كل من طلعت ومنيرة إلى القرية من جديد بعد زواج بدر، قالوا خبر زواج بدر لأمها وأبيها ومن ثم الخبر بدأ في الانتشار تدريجيًا في القرية بأكملها إلى أن وصل الخبر إلى أمجد، عندما وقع الخبر على مسمع أمجد صعق من شدة الصدمة وأردف في قرارة نفسه متسائلًا مستغربًا:

-كيف تتزوج...؟! ها هي كانت معي منذ أقل من شهرين، وأوضحت لي انها لا تريد الزواج بأحد، هذا جعلني أطمئن من اتجاها وأنها ستكون لي في يوم من الأيام.

لم أتخيل في يوم أن تكون بدر كاذبة...!

لم أتخيل أن تغدر بي هكذا...!

لم أظن انها مثل بقية البنات يغريها المظهر والمال...!

وماذا بيدي أنا...؟ لقد حاولت جاهدًا وفعلت كل ما بوسعي لكي أهتم بمظهري وتعليمي لكي أكون مناسب لها...

ها قد علمت سبب رفضها لي، كيف توافق على شاب فقير مثلي يجعلها تعيش في غرفة في بيت أمه، أم تتزوج شاب غني يجعلها تعيش في قصر.

الصعب هنا أنها لم تعشمني بشيء وأنا من عشمت نفسي بها.

أشعر بالذل والانكسار...

أشعر بالسخط على حظي وعلى كوني فقيرًا...

لو كنت غنيًا لكنت ظفرت بها...

الآن لا يوجد داعي أن أكمل الطريق الذي أنا به، لمن أكمل تعليمي...؟!

كنت أتعلم من أجل أن أكون مثقف متعلم في نظرها ولا أكون أقل من شباب المدينة، لمن ألبس هذا البس الذي كنت ألبسه من أجلها لكي أكون متحضرًا كما تحب هي، لمن أتعجل تخرجي لكي أعمل وأشتري شقة في المدينة لمن...؟

سأظل اتسأل عن كل شيء في حياتي لمن أفعل كل تلك الأشياء...؛

كل شيء في حياتي منذ صغري من أجل بدر...

أنا حياتي كلها من أجلها فقط...

أنا أعيش كل هذه السنوات على أمل أن يأتي اليوم المناسب وتكون لي.

حاولت جاهدًا أن أفعل ما بوسعي لكي أكون أهل بها.

لم تنتبه لوجودي حتى، لم تقدر مجهودي ذاك الذي كان من أجلها هي فقد لا من أجلي أنا.

لم تفهم بدر انها لن تجد أحد يحبها مثلي أنا.

لا أريد الحياة من جديد، فبدر كانت لي الحياة، وها هي لم تعد لي.

روحي لم تعد ملكي من الآن...

أشعر بالسواد والكآبة يشكلان هالة تحيط بي من كل اتجاه...

أرغب بالانتحار، أريد أن أنهي هذه الحياة التي أصبحت عكس ما تمنيته تمامًا.

لا أريد أن أكمل في حياة بدون بدر، بدون روحي وسبب سعادتي.

ولكني حافظ لكتاب الله، لا يصح أن أنتحر.

لو فعلت ذلك سأخسر الدنيا والآخرة.

يوجد صوت بداخلي يقل لي لا تستسلم.

ولمَ أقاوم لمَ...!

لمَ أظل صامدًا في حياتي، والسبب والحافز للحياة قد ضاع مني...!

يا رب أطلب منك العون.

★★★

*لقد أعتزل أمجد كل شيء في حياته بالفعل وألتزم وجوده في غرفته وتوقف عن لبس الملابس الفرنجية وأرتدي الجلباب الذي لم يكن يرتديه أبدًا لكي يشعر بالتمدن الذي تحبه بدر، ولم يكمل عامه الأخير في الجامعة لأنه كان يقول لنفسه لمَ أدرس لكي أنجح ولمَ أنجح لكي أجد وظيفة ولمَ أجد وظيفة لكي آمن حياة أفضل من أجل بدر ولكن بدر لم تعد لي لذا لا يوجد داعٍ لكل ذلك.

كان يلتزم غرفته في النهار ويخرج للجلوس أمام الترعة ليلًا بعدما يقل الناس من الشارع تقريبًا.

كان كل ليلة يجلس أمام الترعة ويبدأ في يسأل نفسه لمَ حدث معه هذا...؟!

خروجه ليلًا وجلوسه أمام الترعة ومشيه بجوار الأراضي الزراعي كان ذلك الأمر يجعل قلب أمه ينتفض من مكانها، حذرته كثيرًا أن لا يخرج ليلًا كي لا تناديه النداهة.

ولكنه كان لا يكترث لكلام أمه ويخرج وهو غير عابئ بمناجاة أمه له بأن لا يخرج.

يخرج من باب البيت ساهمًا غير عابئ بما يحدث في الدنيا.

لقد دخل في حالة صدمة وفقد الإحساس عن كل ما يدور حوله.

كان خروجه بهذا الشكل أمام أمه كل ليلة كان يثبت لها ظنونها بأن النداهة هي السبب في تدهور حالته هكذا، كانت تشعر بأن حالة أبنها سوف تزداد سوءًا تدريجيًا إلى أن تأتي الليلة التي لن يعود فيها أبنها من جديد وتتمكن منه تلك النداهة.

في الليل تدعو سعدة أم امجد أن يحفظ الله لها أبنها من النداهة وفي النهار تدعو على بنت فوزية (بدر) لأنها هي السبب في تدهور حالة أبنها إلى الأسوأ.

بعدما كان أمجد هو فرحتها وسبب فخرها واعتزازها أمام أهل القرية، ها هي الآن تتواري من همزات ولمزات الناس الذين ينعتون أبنها بالمجنون (مجنون بدر).

تتمتم بينها وبين نفسها، أكثر أبنائي نبوغًا أصبح يلقب بالمجنون، بالفعل ان الناس تنتظر هفوة واحدة في حياته كي يتكلمون عنه بكل سوء.

كان أمجد أبيض تمامًا نقي ونابغة ومميز، وبسبب تلك الصدمة قد تغير وتغيره أصبح ظاهر لمن حوله، وهذا لأن الأبيض يظهر به أقل عيب لمن حوله.

بينما إذا كان أمجد لم يكن شخص نقي ومميز إلى هذه الدرجة لما كان درى عنه كل القرية ونعتوه بهذا الوصف.

اذا كان أمجد لون اخر غير الأبيض مثلا إذا كان أرجواني أو أخضر لما كان يظهر عيبه أمام كل من هب ودب، كان عيبه سوف يظهر أمام من يركز ويدقق في حياته.

ومعنى كونه أرجواني أو أخضر يعني انه شخص به عيوب ومميزات في نفس الآن، والشخص العادي الغير مميز عندما يسقط أو يمر بهفوة في حياته وتلك المشكلة تمثل بالبقعة في الملابس لا يدري عنها إلا الفضوليين ألا وهم من يحشرون أنوفهم ويدققون في حياة من حولهم.

بينما إذا كان أمجد شخص سيء لكان لونه أسود والأسود مهما لحق به مليون عيب أي تلوث بمليون بقعة لن يدري عنها أحد،

لأنه شخص لئيم يعرف جيدًا كيف يداري عيوبه، ويسكت من حوله ولا يجترئون على فتح أفواههم إلا على المسكين الأبيض النقي الذي أبسط بقعة تظهر به و يبدؤون الناس يتكلمون عنه.

بعدما كان أمجد أفضل أبنائها الخمس وأقربهم إلى قلبها، حيث كان لها ثلاث بنات وولدين. عائشة وشيماء هن أكبر من أمجد، ثم أمجد ثم أمل ثم مصطفى الأصغر، والثلاث بنات قد تزوجن وكانت سعادتها بهن أنهن تزوجن وكفى، لأن ولا واحدة منهما تعلمن أو ذهبن إلى المدرسة حتى، حتى أبنها الأصغر مصطفى كان طائش جدًّا ومستهتر ولم يتعلم، عقله وباله في اللعب وكفى ومعاكسة كل من تمر أمامه، وبما انه لم يتعلم ففضل العمل عن التعلم فأكتفي بالعمل في فلاحة الأرض وبعد انتهائه من العمل يجلس مع شلته الفاسدة للتدخين وشرب والخمر وغير ذلك أحيانًا.

بينما أمجد كان المميز بالنسبة لأمه، بالرغم كل الظروف التي تحيط به التي تدفع إلى تفضيل الفشل والاستسلام وتفضيل الحياة العادية من عمل في الأرض للزراعة والزواج مبكر بدون وجع رأس في التعليم، ولكن أمه كانت تعلم ان بدر هي الحافز لرغبته في كونه مميز عن كل من حوله.

وعندما أوشكت سعدة على الفرح بأبنها بتخرجه وزواجه في آن واحد فجأة يتغير كل ذلك في لحظة.

كانت سعدة تدعي على بدر بحرقة وقهر لأنها كسرت لها قلب أبنها وحرمتها من فرحتها به.

*مرت الشهور وحالة أمجد تزداد سوءًا، ولحيته أخذت في النمو وشعره قد طال كثيرًا، ولا يأكل إلا ما يجعله يعيش لا ما يشبعه، يأكل بعد محاولات عدة من أمه، لا يأكل إلا عندما يري دموع أمه تنزل أمامه باكيةً على حاله، تمر الأيام وأمجد على مثل هذا الحال الى أن جاء يوم في شهر يوليو في عام ١٩٦٢ استيقظت فيه سعدة على صوت أذان الفجر، وبعدما انتهت من صلاة الفجر حاولت جاهدةً أن تتذكر ما رأته في منامها، فتذكرت الرؤيا، فخرجت من غرفتها بعدما انتهت من الصلاة والتسبيح وذهبت إلى غرفة أمجد ومصطفى، فوجدت أمجد على سجادة الصلاة ويتكلم مع الله ويناجيه، ومن ثم عندما رأى أمجد أمه عند الباب توقف عن الدعاء وسمح لأمه بالدخول بأن اومئ برأسه أن تتفضل ومن ثم شرعت أمه بالتحدث له بلهفة وعيونها الصغيرة الضيقة ذات الزرقة التي تشبه البحر كانت حلقتي عينيها تلمعان من الدمع كما يتلألأ البحر عندما تسقط عليه أشعة الشمس، وأردفت بصوتها الحاني وهي تربت على كفه:

-تعرف يا أمجد يا بني، لقد أراني الله رؤيا بها بشري لك، حلمت أنك في مكان مظلم جدًّا، ومن ثم أنا أخرجتك منه وأعطيتك قميص لونه وردي ولكنه لم يكن بالجديد ولكنه ليس بالي كان يشبه الجديد الى حد كبير وكان جميل جدًّا، وعندما ارتديته ازدت انت جمالًا وقد أشرق وجهك وهش وبش كثيرًا، تلك الرؤيا قد طمئنت قلبي عليك يا ولدي، اني سعيدة بأن حالك سيتغير اخيرًا إلى ما هو أفضل.

★رد أمجد في يأس وهو ينظر لسجادته:

-قد يكون مجرد حلم يا أمي ليس برؤيا، أنتِ رأيتِ ذلك لأنك تتمني أن تريني هكذا.

-لا يا ولدي ليس حلم بل رؤيا صادقة من الله، أنها مترابطة ولها معنى، سوف يخرجك الله من ظلمتك ووحشتك وكأبتك قريبًا، الله يبشرني والله صادق في وعده لنا.

-وكيف سيتغير حالي للأفضل وأنتِ تعلمي ان سعادتي قد سلبت مني عندما تزوجت بدر غيري.

-هنا الحكمة من الرؤيا يا بني، أنت تعلم جيدًا إني أعلم قليلًا في الرؤى، ذلك القميص الذي أعطيته لك وأنت ارتديته هو زواجك يا بني، وسيكون ذلك الزواج يعود عليك بالسعادة صدقني.

-ولكني يا أمي لا أريد أن اسعد بأي زواج ، لا أريد سوي بدر.

-ومن قال انها ليست بدر...؟!

*أستغرب أمجد ورفع رأسه عن الأرض وأخذ ينظر إلى عيني أمه ويسألها متلهفًا كالغريق الذي يريد ان يتشبث بقشة، يريد أي أمل أن تكون بدر له بأي حال من الأحوال، وأردف:

-وكيف يا أمي تكون بدر...؟ ها هي تزوجت ولها حياتها، كيف تكون لي من جديد...؟

-يا بني افهمني، ان القميص التي قد أعطيتك إياه لم يكن بقميص جديد بل كان قميص ليس بجديد ولكنه بحالة جيدة جدًّا

وهذا معناه أنك سوف تتزوج امرأة سبق لها الزواج من قبلك، وأنت يا بني أعرفك جيدًا أنت رافض فكرة الزواج من الأساس فما بالك بإمرأة سبق لها الزواج من قبلك...! هذا شيء من سابع المستحيلات، أكيد لن توافق بمثل هذه زيجة لك، بينما إذا كانت هي بدر أكيد سوف توافق وستكون حياتك سعيدة من جديد، أنا أعرفك جيدًا يا بني.

-وكيف ستعود لي من جديد، لم يمر على زواجها سنة حتى.

*تحرك مصطفى على سريرة معلنًا أن صوتهما الهامس وكلامهما قد أزعج نومه، لذا قررت الأم أن تأخذ أبنها أمجد لكي يجلسا أمام البيت على المصطبة ويتنسمان الهواء العليل ويكملان حديثهما، ومن ثم أردفت الأم وهي تربت على كتف أبنها:

-لا يوجد داعي أن نفهم كيف سيحدث ذلك، إن الله قد بشرني انه سيحدث، لا يهمني كيف ومتى...؟ الذي يهمني ان يحدث وكفى، و أن أعيش على أمل تحقق هذه البشرى.

*تنفس أمجد الصعداء ونظر إلى السماء وكأنه يقول يا رب عجل تحقيق هذه البشرى.



*في نفس اليوم ومع بداية ساعات النهار تنزل قدم بدر من القطار وتستقل سيارة أجرة لكي توصلها إلى بيت أهلها، عندما وصلت كل من يراها كان يرمقها.

مستغربًا متسائلًا: "لماذا أتت الى هنا...؟ من يترك العز ويأتي إلى الفقر بقدمه...؟

ولكن بدر لم تجب حتى بنظرة على تلك التساؤلات الصادرة ممن رآها، لقد صامت بالفعل عن الكلام لا تريد شيء سوى أن ترتاح من هذه الصدمات التي لحقت بها.

ذهبت إلى بيت أمها فوزية وظلت تطرق كثيرًا ولكن لم يرد أحد، ولكنها استمرت في الطرق على الباب بعدما وجعها قلبها خوفًا على أبيها وأمها، ولكن عندما اقتربت منها جارتها نيرة لكي تخبرها أين أبيها وأمها، اكتفت بدر فقد بأن تنظر إليها فعرفت الكلام الذي سوف تقوله لها نيرة قبل أن يقترب منها أحد، كانت بدر تحاول جاهدةً أن تتجاهل الناس وأن لا تحتك بهم عند وصولها للقرية، فهي ليس لديها أي طاقة ولا رغبة في التحدث عن ما جرى لها، فهي ليست حمل نظرة شفقة أو شماتة من أحد.

أخذت بدر تمشي في تؤدة إلى أن وصلت إلى بيت خالتها منيرة، طرقت الباب فخرجت لها خالتها منيرة وعندما رأتها بدر اجهشت في البكاء وهمهمت:

-أمي...

*ذهلت منيرة عندما رأت بدر في تلك الحالة، ولأول مرة ترها ضعيفة هشة هكذا، قامت بسحبها إلى الداخل وهي تضمها إلى صدرها.

ومن ثم حكت بدر بعد بكاء طويل جعل أهلها يظنون الكثير من الظنون أخذوا يسألونها كثيرًا إلى أن أجابت اجابه بسيطة لأنها

تعلم جيدًا أن ما سوف تقوله في هذه الغرفة سيكون على كل لسان في القرية.

الناس فضوليون جدًّا ولا يرتاحون إلا عندما تجيبهم عن كل تساؤلاتهم.

قالت إن زوجها قد توفي في حادث سير وهي لم تعد ترغب في العيش في القاهرة من بعده .

أخذوا يهدئونها ومن كثرة البكاء خلدت في نوم عميق جدًّا.

كانت تحتاج إلى أن ترتاح جسديًا إلى أن تتعفى نفسيًا.

أخذت منيرة خليل وأخذت تغني له تهويدة لكي يرتاح هو أيضًا ذلك الطفل الوسيم.

وظلت فوزية جالسة بجوار بنتها على السرير وتمسح بيدها على شعر بنتها وتتمتم بترتيل بعض السور التي تحفظها من القرآن، كانت ترقي ابنتها وهي نائمة، والدموع تنزل من عينيها حزنًا على حال ابنتها التي تغير فجأة إلى الأسوأ، أخذت تردد أن العين والحسد هما السبب في تغير حال بنتها للأسوأ هكذا، فكل القرية يتكلمون أنها تزوجت ابن باشا وتعيش عيشة ملوك، ها هي خسرت كل شيء ولم تهنئ بأي شيء.

استمرت في رقيتها والبكاء على حالة ابنتها الجميلة التي ذبلت في زهرة شبابها.



★استيقظت بدر قبل المغرب، استغربت لوهلة وسألت نفسها أين أنا؟ وأين خليل؟

ثم تذكرت أين هي ومن ثم سمعت صوت الكثير من النسوة في الغرفة المجاورة لها، مرت أمامها أمها فوزية وذهبت إليها ملهوفة عندما رأتها قد استيقظت وأردفت:

-ارتاحِ يا بنيتي... أدري انكِ قد استيقظتِ بسبب تلك الاصوات التي بالخارج... صدقيني اني حاولت جاهدة ان امنعهم من أن لا يدخلوا الغرفة التي أنتِ بها.

-ولمَ هن هنا...؟

-كل ذلك بسبب جارتنا نيرة جاءت لكي تطمئن عليكِ وسمعت خبر وفاة زوجك ويبدو أنها قد أخبرت القرية كلها بهذا الخبر، وها هن النسوة يأتين لكي يقومن بواجب العزاء والمواساة لنا.

*حاولت بدر أن تتمالك نفسها ووقفت من جديد لكي تخرج للضيوف، كان من ضمن الموجودين سعدة أم أمجد، التي لم تكذب خبر وعندما سمعت خبر وجود بدر في القرية همت مسرعةً بالقدوم إليها، وكأنها أخيرًا وجدت الترياق التي سوف ينجد ابنها من الموت.

*نظرت بدر في عيون الحاضرين كانوا كلهم بدون استثناء قد جاءوا لكي يشمتن بها لأنها لم تظفر بالحياة التي كانت ستجعلها مميزة عنهن، ها هي تنظر لعيونهن وتسمع الكلام الذي يدور في خلدهن كلهن حاقدات عليها وتشفن بها عندما فشلت في الحياة

التي رسمتها لنفسها إلا سعدة أم أمجد كانت نظرتها لها توحي وتبوح بالكثير من الكلام والذي عبر عن هذا الكلام هو العناق الذي عانقته لها.

عانقت سعدة بدر بشدة وبلهفة تهون عليها كسرتها، تضع قلبها على قلب بدر بشدة وتشعر أن بودها أن تأخذ من عافية قلبها العجوز وتعطيها لقلب بدر الصغير المكسور الجريـح.

*نظرت بدر إلى عيني سعدة بعد ذلك العناق، وفهمت كل ما جرى كل تلك الفترة، تمتمت بدر في قرارة نفسها والدموع تنزل من عينها حزنًا وحسرةً و قهرًا على حالها وعلى فؤاد وأمجد وقالت: "كلنا خسرنا، لم نجد السعادة التي حلمنا بها، لقد سلبتنا الدنيا كل شيء، الدنيا تنتظر منك أن تضع الخطط والأهداف في حياتك وأن تتعشم وتثق وبعد كل هذا تقلب كل ذلك فوق رأسك ولا تجعلك تهنئ بشيء، بالفعل هي دار ابتلاء، لا راحة بها.



*عادت سعدة إلى بيتها على أذان المغرب فوجدت أبنها أمجد في غرفته كالعادة فدخلت على أبنها وقد هش وبش وجهها فنظر لها أبنها مستغربًا، لأنه لم يراها هكذا منذ أن ساءت حالته، ومن ثم جلست بجواره على السرير وأخذته في حضنها وقلبها يدق بسرعة جدًا من شدة الفرحة لأنها أطمئنت على ابنها وأردفت:

-لقد تحققت الرؤيا يا بني...

*خرج أمجد من حضنها ونظر لها وعلى وجهه علامات اندهاش أي انه لا يفهم شيئًا، وتمتم متوترًا:

-أي رؤيا يا أمي...؟!

- أنا قلت لك كم رؤيا يا بني..؟

-رؤيا واحدة فقط يا أمي، وكانت فجر اليوم...

- لقد تحققت يا بني لقد أتى الله بها مع فلق النهار، من شدة كونها رؤيا صادقة...

-كيف تحققت يا امي...؟ لا أفهم ما تقولينه لي...!

-إن بدر قد عادت إلى القرية.

*صدم أمجد عندما سمع ذلك الخبر، وكأنه كان ينتظر تلك الصدمة منذ فترة، من شدة الصدمة شعر بأن قلبه أوشك على التوقف، ومن ثم أفاق من صدمته وتنفس الصعداء وأردف:

-قد تكون جاءت في عطلة كالعادة، كلها كم يوم وسوف تعود من جديد...

-لا يا بني لن تعود ثانية، أنا تحدثت معها وقالت لي انها لن تعود إلى مصر من جديد... (مصر أي القاهرة).

-وما السبب يا امي، هل سوف تستقر مع زوجها ها هنا، سوف يبني لها قصر هنا أم ماذا...؟

-لا يا بني ..الموضوع ان زوجها قد توفى في حادث.

*صعق أمجد بالخبر وحزن على حال بدر، ولكن سرعان ما أشرق شعاع الأمل في داخله وقرر أن يعوض بدر عن خسارتها تلك، كان يظن انه يحتاج بدر لأنها سعادته فقط بل الأن قرر أن يحاول جاهدًا، وأن يضاعف مجهوده السابق لكي يفعل ما بوسعه وتعيش بدر معه حياة سعيدة هنية رغدة بالحب.



*هم أمجد من مكانه وكأن فيضان من الطاقة الإيجابية قد غمره كله، في لحظة واحدة تغير حاله ١٨٠ درجة، استغربت الأم من نشاط أبنها ولكنها حمدت الله على مشيئته وقدرته على تغير حال أبنها في لحظة إلى الأفضل هكذا.

قالت سعدة في قرارة نفسها: يا الله كم الإنسان ضعيف حقًا، بكلمة واحدة تغير حاله إلى الأسوأ(عندما سمع خبر زواج بدر)، وها هي كلمه أيضًا تنيره من جديد بسماع ان بدر قد عادت من جديد.

يبدو ان بدر تشبه عنده مثل القمر الذي ينير له ظلمة أيامه، ومن دونها يعيش في ظلمة وحزن وكأبه.

عسى الله ان يجمعك ببدر وتظل حياتك مفعمة بالأمل ولا تحبط من جديد.



*خرج أمجد إلى الحلاق وهندم شعره وذقنه الذي قد طالا كثيرًا طوال تلك الفترة، ولكنه أحتفظ بلحية خفيفة لان قد أعتاد عليها طوال هذه المدة.

عاد إلى المنزل وهو مهندم و جميل لدرجة ان أمه قد بكت فرحًا لأنها رأت ابنها الوسيم قد عاد للحياة من جديد.



*في صباح اليوم التالي، قرر أمجد أن يجهز نفسه ويذهب إلى بيت طلعت زوج خالة بدر لكي يعزيه أولًا، ولكن أمجد هو الرجل الوحيد الذي لم يكتفي بأن يقوم بواجب العزاء ويرحل، ولكنه طلب أن يطمئن على بدر شخصيًا.

كان أمجد قد استجمع قواه وكانت تغمره الشجاعة فلم يكن هنالك مكان للخجل، كان يقول في قرارة نفسه أنا سوف أراها، سوف اقابلها، سوف أصل إليها ولن يمنعني أحد.

وافق طلعت بأن يرى بدر وذلك بحكم أنهم جيران مقربين.

*خرجت له بدر وكانت تحمل على يدها ابنها خليل، كانت تقصد ذلك بالفعل أن تظهر أبنها أمامه.

هم أمجد من مكانه واقفًا لها احترامًا إلى أن جلست.

نزع طربوشه من على رأسه فانسدلت خصلات من شعره الأسود الناعم على جبينه، ومن ثم أردف:

-كيف حالك يا بدر...؟

ولم يتمالك فضوله فسأل:

-هل هذا ابنك...؟

-نعم ،انه أبني خليل.

-ولكن أمي لم تخبرني أن لديكِ أبن...!

-لم يراه أحد بالأمس، فقد أخذته أمي منيرة وبعدته عن الأنظار، تقول أنها تخاف عليه من الحسد، أنت تعرف أنا لا آمن بأن الحسد قد يفعل كل شيء كما يتوقعون هم هنا.

-ولكن يا بدر إن الحسد قد ذكر في القرآن.

-نعم أعلم ذلك، ولكن يبدو انك أسأت فهمي، أنا أعلم الحسد والسحر كلاهما موجود ولهما تأثير، ولكن الله قال لنا عن المرض وكيفيه العلاج من ذاك المرض، يعني الحسد عندما يصيبك هذا يشبه انك أصبت بمرض والله قال لنا كيف نتعالج منه، بأن نتقرب منه ونحصن أنفسنا يوميًا بالأذكار في الصباح والمساء، كأن الله ولله المثل الأعلى مثل الطبيب عندما يقول لنا تناول هذا الدواء صباحًا ومساءً وسوف تصبح بخير، وإذا كان لدي ثقة في الطبيب ويقين في الدواء بأنه سوف يعطيني نتيجة إيجابية سوف أتعافى بالفعل، بينما إذا كنت آمن فقد بالمرض ولا يوجد بداخلي يقين بالدواء والعلاج والشفاء حينها لن أتعافى أبدًا.

-بالفعل كلامك صحيح يا بدر، إن اليقين والنفسية أكبر عامل للتحسن.

-صدقني الناس ها هنا غريبين جدًا، اكنهم يقولون أنا مريض أنا مريض... إن المرض قد أصابني! إذا كنت مريض فلتتعالج إذًا.

-لا كيف يتعالجون، وكيف يعلقون شماعة خيباتهم على غيرهم بحجة الحسد.

بالفعل إن الحسد حقيقة ولكن ليس بالطريقة التي يوهم بها الناس ذاتهم.

-كلامك صحيح يا بدر ولكن البعض يقول: "اني أرقي نفسي وأقراء أذكاري وبالرغم من ذلك أصاب بالحسد".

-إذا كان يقوم بكل ذلك بدون يقين بالشفاء لن يتحصن أبدًا أو لن يتخلص من الحسد الذي قد أصابه، لأنه مثل الذي يتعالج بدواء وليس بداخله أي يقين بالشفاء ويقول في قرارة نفسه ان هذا الطبيب لا يفهم شيئًا وذلك الدواء لن يجدي نفعًا، إذا هو هيئ نفسه وعقله وجسده بأن لا يستجيب للعلاج ويستسلم للمرض، بينما إذا كان يقرأ ويتحصن بالأذكار كما أمره الله و كله يقين ان الله يحفظه من اذى الإنس والجن بالفعل لن يمسه ضر أبدًا، لأن الله قال من يتحصن بالأذكار تكون لنا مثل الدرع المنيع الذي يحصننا من أي أذى نقابله.

-ولكن البعض يكون منهم من يتسم بالورع بالفعل ويلحق به الأذى.

-يوجد أذى يختلف عن أذى، يوجد أذى يلحق بنا بسبب الحسد، وأذى يلحق بنا لأنه مقدر لنا ذلك.

مثلًا أنا استيقظت من نومي وصليت وقرأت اذكاري وتحصنت بالله لكي يحميني من أذى الانس والجن، ومن ثم خرجت لكي أقوم بعمل أمر ما بالخارج ورأتني امرأة معروف أنها حسودة ورمقتني ونظرت لي نظرة حسد ولكن أنا أعلم جيدًا أني محصنة فلن يصيبني أي شيء من اذاها لا هي ولا غيرها، ومن ثم أخذت أمشي على الرصيف وقررت أعبر طريق السيارات وأنا أعبر الطريق تتعرقل قدمي وأسقط أرضًا وأخرُ على وجهي في طريق السيارات ومن ثم أرفع رأسي بعد تلك الصدمة وأجد ان السيارات ها هي تمر على بعد سنتيميترات من رأسي وجسدي الملقى على الارض، ومن ثم أقف أجد نفسي قد جرح ذقني ويدي من أثر الصدمة، هل هذا معناه إن عين هذه المرأة قد اصابتني وإن تحصيني بالأذكار لم يجدي نفعًا، لا بالعكس بسبب ذلك التحصين قد أصابني أقل ضرر ممكن، قد يكون سقوطي هذا طريقة منعني بها الله كي لا أمضي قدمًا في نفس اللحظة التي كانت سوف تأتي سيارة مسرعةً يقودها سائق متهور ويصطدم بجسدي ويجعل مني جثة هامدة على الطريق.

فالفائدة من التحصين هي الإصابة بأقل القليل لكي نمنع مصيبة كبيرة من الوقوع، ولكن كيف تجعليهم يفهمون ذلك، سيكون ردهم ولما يوجد بعض الناس الورعين ويموتون في حوادث

كثيرة وغير ذلك، لما تصيبهم مصيبة وهم قريبين من الله، لمَ لمْ ينفعهم تحصينهم...؟

-لأن تلك المصيبة ليست بسبب عين أو حسد أو غير ذلك، تلك الأمور تسمى القدر، الله قد كتبها لنا ولن نستطيع أن نغيرها.

ليس كل من يموت يكون بسبب عين وحسد بل انه قد مات لأن أجله قد حان.

إذا كان المرء أخذ بالأسباب وتحصن بالله يجب ان يفهم ان أي ضرر أو مصيبه سوف تلحق به هي ليست بسبب الحسد بل لأن الله يريد ذلك، الله قدر ذلك، الناس ينظرون للأمور من الخارج ولا يفهمون الحكمة الإلاهية من المصيبة (رب ضرة نافعة) (ولا تكرهوا شيئًا وهو خير لكم).

-الناس بالفعل يعيشون حياة منغصة بسبب تلك الكلمة الحسد وكفى، فبدل من أن يكرروا هذه الكلمة التي أصبحت تمثل البوبع أو الشماعة التي تعلق عليها الخيبات والزلات، لو كانوا استعانوا بالله لتهنوا بحياتهم.

-آه يا أمجد... لا أدري كيف دخلت معك في نقاش ونسيت كل شيء... لم أكن أتوقع ذلك، لم أكن أقدر على التحدث حقًا... والآن ها أنا معك ونتحدث ونتكلم عن وجهات النظر كذلك.

-لا تنسي بأني الأقرب لكي...

*نظرت له بدر في عينيه وقد علمت نيته تتجدد من جديد اتجاها ولكنها ضمت أبنها وقالت في قرارة نفسها:

-لا أريد أن أكرر نفس التجربة من جديد، سوف اكتفي ببُنيّ.

*ومن ثم شرع أمجد في أن يطمئن عليها وهي كذلك عرفت أخباره وقد حزنت لأنه لم يكمل دراسته وحزنت على تلك الحالة التي أصاب بها بعدما بعدت عنه.

من ثم مرت الأيام وكل فترة والأخرى يتلاقى كل من أمجد وبدر لكي يتحدثون سويًا على المصطبة أمام بيتها وهما ينظرون إلى جمال الأرض الزراعية التي تحيط بهم.

كان من الطبيعي قبول طلعت لأمجد لأنه يعتبره كزين اخ بدر الذي سافر الى القاهرة لكي يتعلم في الأزهر، كان أمجد يعوضها عن إخوتها لأن اختها زينة تعيش مع زوجها في قرية مجاورة والبنت في القرى تلزم بيت زوجها ولا تراهم إلا في المناسبات مجرد سويعات معدودة، كان أمجد نعم الصديق المقرب لها الذي كان يهون عليها ما مرت به، كان أمجد يأتي إلى بدر لكي يطمئن عليها ولا يتركها إلا عندما يطمئن انها بحالة جيدة ولكن في الحقيقة هو كان يأتي لكي يكون هو بخير.

لم يكن بالنسبة لأمجد انه يذهب إلى بدر لكي يعطيها جرعة من الأمل والسعادة بل هي التي كانت تفيض عليه بالسعادة بمجرد النظر إلى عينيها.

*ومع مرور الشهور رجع أمجد الى الجامعة لكي يكمل دراسته وكان يعمل في نفس الآن لكي يوفر كل متطلبات الزواج حتى قبل أن يصارح بدر بذلك.

أصبحن الكثير من النسوة يطلبن يد بدر للزواج لأولادهن ولكن بدر كانت ترفض، هن يظنن ان بدر الآن سوف توافق بسهولة على الزواج بأحد من القرية بعد أن أصبحت أرملة، ولكن بدر لم تعتبر كونها أرملة عيبًا لكي توافق بأي زيجة لها، كانت بدر فتاة تعرف قدر نفسها جيدًا، لأنها ان لم تكن تقدر نفسها وتعلي من شأنها من سوف يقدرها.

*ولكن بعد ان رفضت بدر كل من تقدم لها، رغبت تلك النسوة في الانتقام من أجل كرامتهن، كيف لبدر أن ترفضهن فاتحدن على كلمة واحدة، بأنهن سوف يتكلمن كلام سيء على بدر وعلى سمعتها وعلى علاقتها بأمجد.

*هذا الكلام أثر في نفسية بدر كثيرًا بالرغم انه ليس بصحيح، تقول لأمها إذا كان كلامهن صحيح لما من البداية رغبن بي للزواج بأحد من أولادهن.

ثم قررت بدر أن لا تكترث لهذا الكلام، لأنها تعلم جيدًا انهن يقولن ذلك لأنهن لم يستطعن ان يحصلن عليها.

*عندما زاد الكلام في القرية عن بدر وأمجد توقفت أسرتها عن استقباله تمامًا موضحين عذرهم أن كلام الناس لا يرحم.

لقد قدر أمجد رغبتهم، ولكن قرر في قرارة نفسه:

-ان هذا الوقت المناسب كي يطلب يد بدر للزواج، ولكنه تردد قليلًا وقال:

-إذا طلبتها للزواج سوف أجعل الناس يتأكدون من ان ظنونهم صحيحة، لا يجب أن اكترث لكلام الناس إلى هذا الحد، يكفي اني أعلم أن كلامهم ليس صحيحًا، وهم يعلمون جيدًا ان ما يقولونه غير صحيح، إذًا لن أصغِ ولن أعير انتباهي لما يقوله الناس، لأن الناس ان لم يجدوا شيئًا يتلسنون به عليك سوف يختلقون إشاعات عنك لكي يتلسنوا بها، سوف أطلب يد بدر للزواج ولن اضيعها من يدي مرة اخري.

*في شهر يونيو عام ١٩٦٣ أكمل أمجد عامه الدراسي الأخير في الجامعة، ومن ثم قرر أن يفاتح أمه برغبته في الزواج من بدر، رحبت أمه كثيرًا وقررت أن تذهب لعائلة بدر اولًا لكي تسأل عن رغبتها، عندما جاءت سعدة وفاتحت بدر في الموضوع لم ترحب بدر بالفكرة وأوضحت لها رغبتها:

-أنا لا أريد الزواج يا عمة سوف أكتفي بأبني ولا أريد أن أكرر فكرة الزواج مرة أخرى.

*أخذت سعدة تحاول معها مرة أخرى وهي تمسك بيدها وتنظر في عينيها بنظرة أشبه بالتوسل:

-يا بنيتي فكري وخذي وقتك، أنتِ ما زلتِ في عز شبابك، لا تنهين حياتك وتدفني نفسك في مثل هذا السن.

*كانت بدر تنظر إلى عيون سعدة ورأت أن سعدة سوف تسعد في زفاف أبنها عندما يتزوجها، حاولت بدر أن تتملص وترفض من جديد، هي لا تريد حقًا أن يحدث ما رأته وأردفت:

-عمتي سعدة، أريدكِ ان أن تفهميني، أنا بالفعل لا أريد...

*لم تكمل كلامها لأن خالتها منيرة قد اسكتتها وأردفت:

-صه، بدر، قلنا لك لا يوجد داعٍ للتسرع...

ومن ثم نظرت إلى سعدة وأردفت:

-حسنًا يا أم أمجد، أتركِ لها بعض الوقت، وأنا سوف أحاول إقناعها.

*ارتاحت سعدة كثيرًا عندما شعرت ان هناك أمل للموافقة.

غريبة جدًّا أم أمجد أنها عاطفية للغاية، هي ذاتها المرأة التي كانت تدعي على بدر ليل نهار عندما ساءت حالة ابنها، هي ذاتها المرأة التي تمسك يد بدر اليوم وتتوسل لها بنظرتها بأن توافق على أبنها، إذًا حبها أو كرهها لبدر يعتمد على حالة أبنها أمجد، وهي الآن تتوسل ليس من أجل جمال عيون بدر كبقية النسوة اللاتي رغبن بزواجها من أحدى أبنائهن طمعًا في بدر وجمالها، بل هي تحاول جاهدةً أن يتم ذلك الزواج لأنها لن تتحمل أن تسوء حالة أبنها من جديد.

*بدأت منيرة تحاول إقناع بدر بالزواج، وقالت:

-اسمعي يا بنيتي أنتِ تأخذين القرار للوقت الحالي ولا تنظري لعواقب قرارك ذلك على مستقبلك.

-أنا أعلم ما سيحدث لي يا خالتي ولا أريده أن يحدث لي، أنا أعلم ما سيحدث في مستقبلي، ولكني سوف أحاول جاهدةً أن أغيره.

-اسمعي يا بدر، لا يوجد أحد يعلم ما يخبئه له القدر، ظنونك قد تصيب مرة و قد تخيب، اسمعي مني أنا، أنا أنصحك من واقع خبرتي في الحياة، أنتِ الآن مكتفية بذاتك وبخليل، ولكن بعد ذلك سوف تحتاجي إلى من يأنس وحشتك ومن تشعري معه بأنه سند لك.

أعلم جيدًا أنكِ شابة قوية ولكن من أجل أن تكون نفسيتك في أفضل حال يجب أن يكون لكي شريك حياة، لا تضيعي الفرص من يدك الآن لأنك لا تحتاجينها، لأنك لا تعلمي ماذا سوف يكون شعورك فيما بعد، وعندما تحتاجين شريك حياة في حياتك سوف تكون الظروف قد تغيرت فالفرص لن تكون بمثل هذا الشكل حينها، أنا لا أريدك أن توافقي على أي رجل وكفى لا بل أريد أن توافقي على أمجد لأنه لن يكون لك زوج فقط بل سوف يكون لك شريك حياة وأخ وأب وصديق، أنا أمك افهمي كلامي وخذي كلامي بعين الاعتبار كي لا تندمي فيما بعد وتتمني أن يرجع بك الزمن وتسمعي كلامي وتوافقي على أمجد.

-صدقيني يا أمي، إذا تزوجت سوف تكون النهاية مؤلمة صدقيني.

-بدر أنتِ تقولي ذلك لأنك خائفة أن تحصلي على نفس النتيجة التي حصلتِ عليها من زواجك الأول، الذي حدث لك مقدر ومكتوب.

-ولكني يا أمي لم أكن أرغب في الزواج من فؤاد وحذرته ولم يصدق كلامي، لمَ لا يصدقني أحد.

-يا بنيتي نحن نعلم تلك الهبة التي لديك، ولكن أنا أريدك أن تعيشي مثل البقية، عيشي اليوم بيومه لا تشغلي بالك بما سوف يحدث غدًا، كلنا نعيش على أمل بأن ما يخبئه لي الله هو خير.

-كنت أتمنى ذلك يا أمي، ولكن الذي أراه في مستقبلي ينغص علي حياتي، يجعلني خائفة من كل شيء أُقبل عليه، أريد أن أمنع المصيبة قبل وقوعها، أشعر ان الله أعطى لي هذه الهبة ليس للتسلية ولكن للتحذير ومساعدة الغير وأولهم أنا، ولكني لا أجد من يؤمن بكلامي.

-أنا أؤمن بكلامك، ولكن إيماني بالله أكبر بأنه مقدر لكِ الخير، نصيحتي لك لا تفكري فيما مضى لأنه قد فات ولا يمكنك أن ترجعيه أو تغيري به شيئًا ولا تفكري كثيرًا في المستقبل لأنه بيد الله ولكن الذي علينا ان نثق بأن الله سوف يسعدنا بما هو خير لنا، يجب أن نعيش بحسن الظن في الله والثقة به وحدة، كل الذي يهمني أن تعيشي اليوم بيومه وكفي، لا تفكري كثيرًا وتوكلي على الله.

-يا أمي ومن قال اني لا أؤمن بكل ذلك، ان تلك المشاعر التي بداخلي من الله صدقيني.

-إذا كنتِ تحبيني أنا وأمك يجب أن تجعلينا نسعد بك ونطمئن عليكِ في بيتك مع زوجك الذي سيظل معكِ طول العمر، نحن لن نبقى معكِ كثيرًا صدقيني.

-لن يبقى يا أمي، عمره قصير صدقيني.

- هذا الذي كنت أتكلم عنه، قلت لك دعي الأمور تأتي كما كتبها الله لكِ، لا تستعجلي شيئًا قبل أوانه، ودائمًا لا تذكري الفأل الشر كي لا يحدث.

-أمي، أريدك أن تفهميني.

-صه، بدر اسمعيني، ان كنتِ لا تفكري في نفسك ففكري في ابنك، انه يحتاج أن يترعرع في كنف رجل يكتسب من صفاته ويشعر معه بالأمان، أدري انك على قدر من المسؤولية وتستطيعين تحملها بمفردك ولكن من أجل أن يشعر ابنك فيما بعد انه لم يحرم من شيء، لم يحرم من أم ولا من أب؛ لكي تنشأ شخصيته سوية لا ينظر لحياة غيره ويتمنى ان لم يفقد هذا الجزء من حياته.

وصدقيني هذا وقت مناسب جدًّا فأبنك ما زال صغير جدًّا أي انه لا يدرك شيء وعندما يبدأ في استيعاب من حوله سوف يتعلق بأمجد كأنه أبوه بالفعل، لذا فكري جيدًا، فكري في الأمور من جميع الجوانب وإذا كنتِ تحبينني فأسمعي نصيحتي.

*أيست بدر من الحوار مع خالتها منيرة فلا أحد يفهم ما تقوله، لم يؤمن أحد أو يصدق كلامها ويأخذه بعين الاعتبار إلا رفعت بيك كان بالفعل يقدر كلامها منذ أن كانت طفلة، بينما ها هي الآن شابة يافعة ولا يصدقها أحد، لذا نظرت لعمتها بعد تفكير كثير وتمتمت:

- سوف أفكر يا أمي..

★★★

*بعد أسبوعين اضطرت بدر بأن توافق لأن طوال هذا الفترة حاولت أن توضح وجهة نظرها ولكن لم يكترث أحد من أهلها لكلامها واعتبروها مجرد هلوسة وخوف من تجربة سابقة لا غير، اضطرت أن ترضيهم وفي نفس الآن هي تعتبر أمجد أقرب شخص لها وترتاح معه كثيرًا.

*عندما علم أمجد ذلك الخبر بموافقة بدر عليه كان ذاك أسعد يوم في حياته، وعندما ذهب إلى بدر لكي يعرف شروطها قالت له:

*ليس لدي شروط يا أمجد، ولكن لدي طلب واحد.

-أنتِ تأمريني يا بدر.

-أريدك أن لا تخرج من القرية، أريدك أن تظل هنا فقط.

-كيف هذا...؟! ألم تقولي لي من قبل انك ترغبي في العيش في المدينة...!

أنا رتبت حياتي على رغباتك، قررت العمل في بداية العام الدراسي الجديد في مدرسة ابتدائية في المدينة، وسوف أؤجر شقة

هناك بالقرب من المدرسة، وسوف أعمل عمل إضافي لكي أوفر ثمن المعيشة والإيجار كي لا أقصر أو كي لا احرمك من شيء أبدًا.

-صدقني لا أريد كل هذا، أريدك أن تظل هنا فقط، وأعمل هنا، وأريدك أن تعدني حالًا بأنك لن تخرج من المدينة.

- ولكن لما أعدك بشيء مثل ذلك، هذا أمر صعب أن أظل هنا فقط، ماذا ان اضطررت أن أذهب إلى ...؟

-دع أحد ينوب عنك.

-ولكني لا أحب أن أعتمد على غيري.

-لا يضر أن اعتمدت على غيرك ان اجبرتك الظروف.

-وما هي تلك الظروف التي تجعلني لا أخرج من القرية وتجبرني على الاعتماد على غيري.

-لن أقول السبب، إذا كنت ترغب بأن يتم هذا الزواج عليك أن توافق على شرطي وتوعدني.

*أخذ أمجد يفكر في الموضوع من جميع النواحي وجد أن بدر قللت عنه الكثير من الطلبات، سواء العيش في المدينة أو انه يعمل أكثر من وظيفة لتغطية كافة المصاريف، الآن كل ما عليه أن يوافق على شرطها فقط ويتزوجها في بيت أمه سعدة ويعمل في المدرسة الموجودة في القرية ويظل وسط أهله وناسه، ولكن سوف يضحي بأن يكمل دراسته في الجامعة حيث كان يرغب في الحصول على

درجة الماجستير والدكتوراه، قرر أمجد ان يضحي بحلمه الصغير من أجل حلمه الأكبر(بدر).

*تم الزواج وعاشت بدر مع أمجد حياة سعيدة جدًّا؛ لأنه كان يحاول أن يفعل كل ما بوسعه لكي يجعلها سعيدة وكان يحب خليل جدًّا وكأنه أبنه.

ظلت الحياة مستقرة إلى أن مر على الزواج سبعة أشهر بدأت سعدة تسأل بدر:

-لمَ لم تحملي إلى الآن؟

-لم يمر على الزواج سوى ثلاثة أشهر.

*لم يكن رد بدر يعجب سعدة وبدأت تشتكي لأبنها منها، وتقول له أن زوجتك لم تنجب إلى الآن، انها أرض بور.

-كيف أرض بور يا أمي..! ألا ترين ابنها خليل...! إن الموضوع يحتاج بعض الوقت أو ان الله لم يشأ بعد.

*غضبت سعدة من كون ابنها في صف زوجته ولا يوافقها الكلام... إلى ان جاء يوم توفي فيه خاله أحمد الذي يعيش في المدينة، اضطرت الأم إلى ان تذهب وتقوم بواجب العزاء وطلبت من كل أولادها ان يأتوا معها المدينة للعزاء، كل أولادها وافقوا إلا أمجد حاول أن يعتذر ويتخلف عن الذهاب إلى العزاء، ولكن الأم رفضت كيف له أن لا يحضر العزاء ماذا سيقولون الناس عنها وعنه.

-لا يهمني كلام الناس يا أمي ولكني لن أقدر على الذهاب معكم.

-سوف تذهب معي يا أمجد، أنا أقسمت على ذلك.

*عندما وجد أمجد ان لا مجال للتملص من أمه، قرر أن يحاول أن يقنع بدر فهو لا يريد أن يكذب عليها وينقض عهده.

حاول أن يقنع بدر بأن يذهب للمدينة، ولكن بدر أصرت على رأيها ومن شدة غضبها وخوفها عليه، قد على صوتها وقالت:

- لن تذهب يا أمجد، أرجوك أسمع لي ولا تذهب.

*كانت سعدة عند الباب تتنصت، ومن ثم قررت أن تدخل عليهما وقالت في حدة وغضب:

-اسمعي يا بنت، ان أبني رجل وهو لا يحتاج لأذن منك، كلامه الذي يسمع هنا لا كلامكِ أنتِ.

هيا يا أمجد تعال معي وقم بواجب العزاء، هذه البنت سوف تنسيك الأصول.

هم أمجد بالخروج مع أهله للمدينة كي لا يصغر في نظرهم ويظهر أمامهم بأنه رجل ضعيف ينصاع لزوجته.

لن يفهم أحد الوعد الذي بينه وبين بدر.

كل الذين حوله ينظرون للأمر من الخارج ولا يعلمون الحقيقة.

كان أمجد يثق في بدر، وكان متفهم رغبتها، وكان ينوي أن يظل وفي بالوعد لولا أجبرته الظروف على مخالفة وعده.



ركبت العائلة على عربة خشبية يجرها حصان، كانت تلك العربة بالنسبة لهم مثل السيارة الآن، سوف توصلهم تلك العربة الى المدينة.

طوال الطريق يفكر أمجد ويتمنى بأن لا يحدث ذلك الشيء الخائفة منه بدر، وأثناء تفكيره وعندما دخلوا المدينة حدث ما توقعته بدر.



الفصل السادس

المصيبة

*ظل أمجد يفكر فيما حدث مرارًا وتكرارًا، كان عقله قد فصل عن كل ما يحدث حوله، كان أمجد من ذوي الشعر الناعم والخصلة الرفيعة التي يتسم صاحبها بالحساسية المفرطة وهو يعلم جيدًا ان بدر كذلك تتسم بنفس تلك السمة تمتلك شعر ناعم ذا خصلة رفيعة مما يدل على حساسيتها تجاه المواقف وكان أمجد من ذوي العيون الضيقة بعض الشيء التي تدل على ان من يمتلكها يدقق على أبسط الأمور ويفكر كثيرًا بما يمر به، ظل أمجد يفكر فيما جرى ويفكر في إحساس بدر وفي ذلك الشعور الذي زرعه في قلب بدر، ظل يندم على ما جرى يندم ويندم وكل ما اشتد ندمه يفصل أكثر عن ما حوله ولا يرى ولا يسمع ما يجري أمامه الى أن رخى جسمه تمامًا وسقط من على العربة إلى الارض، لقد رخى جسمه جدًّا لدرجة ان مع أول مطب في الطريق كان كفيل أن يجعل جسمه الرخو الذي أصبح بدون روح تقريبًا ان يسقط على رأسه ويخر على الأرض معلنًا انفصاله التام عن كل ما حوله.

*نزل الجميع من على العربة لكي يرفعوه من على الأرض، كانوا يظنون انها مجرد سقطة بسيطة وسوف يهم بالنهوض سريعًا، ولكن لم يحرك ساكنًا، ها هي أمه تضع رأسه على فخدها وتضرب

وجهه تحاول افاقته ولكن دون جدوى، أخوه يحاول أن يسمع نفسه وضربات قلبه فطمئن أمه انه ما زال حي، فغضبت أمه وصبت تعصبها وخوفها على ابنها مصطفى:

- أعلم انه حي يا غبي كل الذي أريده أن يهم بالنهوض معنا، لمَ لا يتحرك...؟

*حاولوا بكل الطرق لكي يعيدوا لأمجد الوعي ولكن بدون جدوى.

لذا قرر مصطفى أن يحمله على العربة من جديد ويقله الى أقرب مستشفى.

عندما ذهبوا إلى المستشفى قالوا لهم انه دخل في حالة غيبوبة من أثر تجلط في المخ لا من اثر السقطة على الرأس.

*باعت سعدة ذهبها كله لكي توفر لأمجد مستشفى راقية لكي تؤمن له أفضل علاج ويكون على أفضل الأجهزة.

ولكن لا المستشفى ولا الأجهزة تمكنوا من منع قدر الله ان يحدث.

بعد أربعة أيام في غيبوبة في المستشفى لقد رحل أمجد عن هذا العالم تمامًا.

كانت معه بدر طوال فترة مكوثه في المستشفى، كانت صامته لا تتكلم مع أحد، تكتفي بالنظر إليه في صمت وتحسر والدموع

تملئ عينها، لأنها ان لم تتزوج أمجد لما كانت أمه تدخل معها في تحدي وتجبره على القدوم معها.

ندمت بدر لأنها حاولت بكل الطرق ان تمنع كل هذا من الحدوث، ولكن الذي حدث في النهاية الذي كتبه الله.

★★★

*في العزاء عندما جاءت عائلة بدر لكي يقوموا بواجب العزاء، طلبت منهم بدر أن ترجع معهم مرة اخرى، ولكن سعدة تصنعت المسكنة وقالت لهم، اتركوا لي بدر فأنها مثل ابنتي، وأنا أحبها لأن أمجد كان يحبها، على الأقل اتركوها معي لكي أتجاوز هذه المرحلة وبعد ذلك هي مخيرة تفعل ما تشاء، لذا شعرت عائلة بدر أن من قلة الذوق أن يأخذوا ابنتهم بعدما طلبت منهم سعدة، ولكن بدر أصرت أن تذهب معهم لأنها غير مطمئنة لما تنويه سعدة لها، تشعر بأنها تنوي لها الأذى بالفعل وأنها تود الانتقام منها، والانتقام سيكون من سعدة ومصطفى لها، شعرت بدر بأنها في بيت الأسد بالفعل وسوف يلتهمها عندما تسمح له الفرصة بذلك.

*حاولت بدر عندما هم أهلها بالرحيل أن تذهب معهم، ولكنهم رفضوا لأن ليس من الأصول يرفضوا طلب أحد.

*بعدما رحل الناس وقاموا بواجب العزاء، سحب مصطفى بدر من يدها بقوة فصرخت بدر من شدة قبضته عليها وقالت:

-لا يمكنكم أن تجبروني على شيء، أتفهمون...!

*نظرت لها سعدة بنظرة كلها شر وانتقام، على قدر حبها لأمجد ومحاولتها بكل الطرق ان يكون سعيدًا في النهاية فقدته، على قدر حبها له على قدر كرهها لبدر التي تعتبرها انها شؤم ووجها جلب لها الخراب وفقدت أبنها بسببها، سواء كانت بعيدة عن أبنها كان مريض ويعاني وعندما تزوجها خسر حياته، تمنت سعدة لو كان أمجد ما عرف بدر تلك، ولكن أقسمت بأن تنتقم منها ولن تتركها تعيش حياتها، ستظل معها طوال العمر تعذبها وتذلها، كي تشعر بأنها تمكنت من الانتقام ممن دمرت حياتها...

وقفت سعدة أمام بدر ونظرت لها بتهكم ونظرة كلها حقد وانتقام وقالت:

-أتعلمين ما سنفعل بكِ...! إذا أنتِ مثل جدتك تمامًا.

ومن ثم سحب مصطفى بدر من يدها ورماها في البدروم وغلق عليها الباب..

ومن ثم صرخت بدر بجنون وقالت:

-لن تجبروني على شيء أتفهمون ذلك... لن أوافق على ما يدور في بالكم.

*كان الإتفاق بين سعدة وأبنها بأنهم سوف يحبسون بدر في البدروم بدون أكل ولا شرب لمدة يومين ومن ثم يخرجوها ويجبروها على الزواج من مصطفى كي تظل تحت حكمهم إلى الأبد.

ولكن عندما سمعوا تهديد بدر لهم بأنها لن تتأثر بهذا العقاب ولن توافق على هذا الزواج، لذا قرروا وهم يغلقون باب البدروم

قرار اخر، لم تكن بدر سمحت لها الفرصة أن تقرأه في أعينهم لأنه أغلق الباب عليهم وجلست في تلك الغرفة المظلمة تحت الارض، لم يكن هناك شيء تسمع صوته سوى الفئران التي تذهب وتجئ على قدمها.

قررت بدر التماسك وقالت في قرارة نفسها يوم أو يومين سوف يخرجونني، وأنا سوف أهرب، سوف أهرب... ومن ثم غطت في نوم عميق..

*استيقظت في الصباح التالي لم يدخل لها أحد أي طعام أو شراب، وبعدها بيوم بدأت بدر تتعب جدًّا وقد جف لسانها، كل ما تحتاجه قطرة ماء، لا تريد طعامًا تحتاج للماء وكفى، وأن تنظر إلى أبنها.

مر اليوم الأول والثاني والثالث والرابع إلى أن وصل إلى اليوم الخامس قررت سعدة ان تفتح الباب على بدر وكان بداخلها احساس ان تجدها ميته وبذلك تكون قد انتقمت منها بالفعل، وتكون حجتها أمام الناس انها توقفت عن الأكل والشرب من حزنها على فقدها زوجها إلى أن ماتت.

ولكن عندما فتحت الباب وجدت بدر ملقاة على الأرض مثل الجثة الهامدة وقد شحب وجهها وجفت وتشققت شفاها ولكن عندما اقتربت منها شعرت بتنفسها، حينها علمت انها بخير وما زالت على قيد الحياة، لذا قررت أن تنادي أبنها مصطفى لكي يرفعها معه إلى الأعلى ويخرجها من البدروم.

ولكن عندما خرجت فتحت بدر عينيها كانت تتصنع انها فقدت الوعي ولكن بعدما سمعت ان سعدة قد خرجت من البيت كي تنادي أبنها ليساعدها في حمل بدر، استغلت بدر الفرصة ان باب البدروم مفتوح و اعتبرت انها فرصة للهرب بأبنها.

همت من مكانها تحاول أن تتماسك وتتمالك قواها من جديد.

وأول ما خرجت من البدروم هرعت إلى الزير وبدأت تجرع كؤوس من الماء بلا توقف مثل الشجرة الذابلة التي تحاول جاهدة أن تسقيها بالماء كي تزهر وتنمو من جديد، ومن ثم بدأت في البحث على أبنها خليل في غرفتها ولم تجده، كل ما يحدث لها ليس لها علم به لأنها لم تفكر به ولم تنظر في أعينهم قبل غلق البدروم عليها، بدأ قلبها ينغص عليها لعدم وجود أبنها بالبيت، بدأت في البحث مرارًا على أبنها وهي تبكي، وعدم عثورها على أبنها جعلها تنسى الألم الذي حل بها وتعبها الذي مرت به طوال هذه الايام، ومن ثم قررت أن تهم بالهرب وتكلف أهلها بالبحث عن أبنها، ولكن عندما وصلت باب البيت وها هي تريد أن تضع قدمها خارجًا وتهرب، كان مصطفى أمامها يقف يسد الباب تمامًا من ضخامته، وقال لها وهو ينظر إليها بنظرته الماكرة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا حلوة، لا يوجد خروج من هنا، دخول البيت ليس مثل خروجه، عندما دخلتي هنا هذا معناه أن لا تخرجي منه إلا وأنتِ ميته، ما رأيك الآن، تظلي حية ولكن تعيشي حياتك كلها في هذا البيت، أم الخروج منه ميته...؟

-لا أريد العيش ها هنا اني أفضل الموت على العيش مع أمثالكم.

*نظر لها مصطفى بتهكم ومن ثم نظر إلى أمه مستغربًا:

-هل هذه يا أمي التي قلتي هنا أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ان صحتها أقوى مني ومنك..

- أريد أن أرحل من هنا، أريد أبني وأريدكما أن تدعاني وشأني.

-لن ندعك وشأنك، وهيا اظهري قوتك الخاصة واعرفي بطرقتك أين ابنك...؟

*نظرت بدر لوهله لعين سعدة فعرفت أين أبنها..:

-أنا أعرف جيدًا أين هو... انه عند ابنتك عائشة وسوف أصل إليه بطريقتي..

-حقًا أنتِ فتاة مميزة، ولكن لن ندعك تهنئين بحياتك بكل هذه السهولة، مهما حاولتِ أن تعرفي ما نخبئه لكي سوف نغيره بكل الطرق إلى أن لا تعرفي ما ننوي لفعله معك.

بالفعل انه مع ابنتي عائشة ولكن سوف نرميه لأحد المتسولين يأخذونه إلى خارج القرية بل إلى خارج المحافظة تمامًا.

وأنا لا أعرف من سيأخذه، فمهما تحاولي أن تعرفي من عيني لن تعرفي لأني أنا لا أعرف.

-استحالة تكوني أم لأمجد الملاك البريء، يا لكِ من خبيثة أيتها الحية...

*لم تكمل بدر بقية كلامها إلا وهَم مصطفى بأخذ رأسها وضرب رأسها برأسه ومن شدة الضربة قد أغمي عليها.

*استيقظت بدر ومن ثم وجدت نفسها ملاقاة على السرير ومقيدة من يدها وقدمها وقد كتم فمها كي لا تصرخ، فتحت عينها وهي تحاول أن تستوعب الحال التي هي به ومن ثم وهي تنظر وهي تشعر بالدوار رأت أمامها سعدة تنظر لها بتهديد وتقول:

-ها قد استيقظتِ أخيرًا، سوف أخيرك الآن، أتريدي أن تفقدي ابنك وحياتك أم تخرجي الآن وتمضي على عقد الزواج من مصطفى وتعيشي حياتك ومعك ابنك ولكن تحت طوعنا...؟

-كانت بدر لا يمكنها الكلام، ولكنها كانت تؤشر برأسها لا.

*لم تفهم سعدة ما تريده بدر فكررت لها الكلام من جديد على أمل أن تفهم ما هو اختيار بدر.

فقالت لها من جديد:

-ما رأيك أن نعيدك إلى بدروم من جديد وتظلي بدون أكل وشرب إلى أن تموتي والذي سوف يظهر أمام الناس انكِ من فعلتِ ذلك لأنك لم تتحملي الحياة من بعد فراق زوجك، وسوف نرمي ابنك وليأخذه أي من المتسولين ولا يفرق معنا أبدا فهو ليس من دمنا ولا صلبنا.

ها أتحبين أن يحدث هذا...؟

*أشارت بدر برأسها: أن لا.

* فقالت سعدة وهي تنزع الرباط عن فم بدر:

-حسنًا، أخرجي الأن و أمضي على العقد اذا كنتِ ترغبي في الحفاظ على حياتك وحياة ابنك.

*اضطرت بدر أن يتم عقد القران على مصطفى لأنها لن تتحمل الحياة بدون خليل، تم عقد القران ولكن لم يكن لمصطفى أن يدخل بها إلا بعد أربعة أشهر وعشرة أيام، بل ان بدر مضت على هذا العقد كي يرجعوا لها ابنها ومع أول فرصة تهرب به... أو أن تقول لعائلتها وتطلق.

*ولكن حدث ما لم تتوقعه بدر.

*لقد أعادوا لها خليل بالفعل لأن عائشة لم تتحمله أكثر من ذلك، ولكن ظلت في البيت يومين والباب مغلق ولا يوجد معها مفتاح باب البيت، المفتاح مع سعدة وواحد آخر لمصطفى، لم تتم الأمور كما تخيلت أبدًا، كانت تتخيل بأنها سوف تهرب بسهولة، ولكن هما أخذا احتياطهما.

في صباح اليوم الثالث نظرت إلى مصطفى كعادتها باشمئزاز لأنه تكرهه وتستحقره جدًّا وهو كان يبادلها نفس الشعور، فهو لم يتقبلها بسبب سوء معاملتها له.

إن مصطفى شاب مغرور يشعر بوسامته، ويعلم ان أي فتاة تراه تذوب به عشقًا من شدة جماله ووسامته.

بينما بدر تفعل العكس وهو يشعر انها تطعنه في كل مرة تنظر له فيها.

ولكن وهي تنظر له لقد طال نظرته لها على غير العادة، لدرجة ان بدر خافت منه جدًّا بسبب نظرته تلك وسألت نفسها:

-لِمَ ينظر لي هكذا ذاك الأحمق المتعجرف...؟

وبمجرد أن سألت نفسها ذلك السؤال، في نفس ذات اللحظة جاءت إلى عقلها رسالة تحذيرية بما سوف يحدث لها.

تلك الهبة التي أعطاها لها الله لا تتمكن بدر من معرفة الشيء أو أن تعرف ما سوف يحدث لها إلا بعد أن تسأل سؤال فتعرف إجابته.

بعدما عرفت بدر ما سوف يحدث لها من مصطفى وما وراء تلك النظرة أخذت احتياطها وخططت خطة للهرب.

لقد غيرت مجرى ما رأته، بدل من أن تكسر وتذل سوف تستغل تلك الرسالة لصالحها.

★★★

*لم يأتي النوم لعين بدر بل ظلت ساهرة تجهز نفسها لما سوف يحدث، على غير العادة فهي تنام بعد العشاء لكي تستيقظ فجرًا، ولكن بعد الذي رأته استحالة تشعر بنعمة النوم.

*بعد منتصف الليل سمعت بدر ان باب البيت قد اغلق، علمت حينها ان مصطفي قد رجع من احدى سهراته مع شلته الفاسدة، تسمع صوته الهامس وهو يغني ولكن بدلًا من أن يدخل غرفته دخل غرفة بدر.

*دخل ونظر إلى بدر وهي نائمة، ظلت متماسكة تتصنع النوم حتى لا يكشف امرها وكي لا تستفزه كما رأت وبضربة منه يقضي عليها ويعتدي عليها، بل ظلت تتصنع النوم إلى ان دعته يقترب منها مثل الذئب الجائع الذي وجد فريسة جاهزة للأكل بدون أن يتعب في صيدها.

دعته قليلاً لاهيًا فيما وجده أمامه إلى أن أخذت جرة (قُلة الماء) وضربته على رأسه بها وتساقط الماء على جسده، ولكن لم تؤثر به تلك الضربة بل ساعدت على افاقته قليلا، ولكن كانت بدر قد وثبت من على السرير مسرعةً قبل أن يتمالك مصطفى نفسه من جديد ويعيد اتزانه، ومن ثم مسكت العصا (النبوت) التي كانت تخبئه أسفل السرير وبكل قوتها ضربت بالعصا رأس مصطفى، بسبب تلك الضربة ظل مصطفى مكانه على السرير لا يحرك ساكنًا وأمسك رأسه لثواني ومن ثم سقط ممددًا مغشي عليه على السرير، همت بدر مسرعةً وأخذت المفتاح من جيبه، ومن ثم أخذت خليل ومن ثم وهي تلتفت اتجاه باب غرفتها كي تهم بالهرب وجدت سعدة تقف أمامها تمسك لها بسكين وتهددها بأن لا تهرب، ولكن بدر استغلت غياب مصطفى عن الوعي ومن ثم أمسكت بالعصا وضربت بها يد حماتها فأسقطت السكين من يدها، لم تتحمل سعدة هذه الضربة فانشغلت بها لبضع ثوان، فكانت تلك الثواني كفيلة بأن تهم بدر بفتح باب البيت وتهرب.

*ها هي بدر تمسك ابنها بشدة وتضمه إلى صدرها وتطلق أقدامها للريح وتجري بأقصى سرعة، تشعر بأنها مثل العصفورة

التي وجد باب القفص مفتوح وهرع لكي يهرب مسرعًا، تشعر بدر بأنها تحلق هاربةً تريد أن تصل إلى بيت أهلها بأقصى سرعة لكي تسترد حريتها المطلقة، ها هي قد وصلت ووقفت أمام باب بيتها لاهثةً تحاول أن تهدأ، ولكن لم تهدأ قط، فقد بدأت بطرق الباب بشدة وهي تنحني تحاول أن تلتقط انفاسها، تطرق أكثر وأكثر إلى ان سمعت أحد قادم لها، يبدوا انه زوج خالتها طلعت، قال بصوت يغلبه النعاس وفي نفس الوقت يشعر بالضيق لأن الوقت غير مناسب:

-من على الباب...؟

* اطمأنت بدر بأن هناك من يفتح لها الباب وقالت بصوت يغلبه الاستسلام، فدائما تتراخى الأعصاب عندما نشعر اننا صرنا في أمان لا يوجد داعي للهلع الان:

-أنا بدر...

*ومن ثم سقطت أمام الباب، فأقدامها لم تستطع حملها بعد كل هذا العناء وضمور الأعصاب الذي مرت به.

هرع طلعت مسرعًا وفتحت الباب، وقد مزقت نياط قلبه عندما رأى حالها قد ازداد سوءًا عن ما كانت عليه في العزاء، تسأل بينه وبين نفسه وهو يحملها الى الداخل: "هل هذه بنتنا الجميلة الوردة المتفتحة التي تجعل كل من يراها سعيد، الآن من يراها سوف يحزن ويبكي على حالها، لقد اصبحت ذابلة متهالكة حقًا

بالرغم أنها في عز شبابها، ولكن الذي مرت به كفيل أن يجعلها تشيخ، لقد عاشت حياة غير ملائمة لسنها.

ومن ثم استيقظت امها فوزية وأبوها عطاالله وخالتها منيرة، لقد ألتفت اسرتها حولها، وهذا الشيء جعلها تطمئن لأنها شعرت بأن لها سند تشعر معهم بالأمان، لديها من يحميها من أولئك الوحوش.

قدمت منيرة لها كوب من عصير الليمون كي تهدأ اعصابها قليلًا، ولكن سرعان ما شرعت بدر في البكاء وحكت لهم كل ما جرى لها وما تعرضت له من تعذيب إلى آخر موقف عندما حاول مصطفى أن يعتدي عليها.

ضمتها منيرة الى صدرها كي تهدأ قليلًا، ومن ثم استغربت من صمت أسرتها هي كانت تظن ان الدماء سوف تغلي في عروقهم وسوف يردون لها حقها، بينما الحقيقة أن لا، هم تأثروا لحزنها ولكن عندما نظرت بدر في عيونهم وجدت وراء حزنهم ذلك برود وقبول لما تمر به.

*فسألتهم مستغربه وهي ترمقهم:

-كل كلامي هذا ولم يؤثر بكم...! لم يحرك بكم شعرةً واحدة، أنا لدي بدلًا من الأب إثنين ألا يوجد واحد منكم يرد لي حقي و كرامتي...؟! اني قد اهنت وتعذبت وأنتم تستمعون لي فقط... من يرد لي حقي إذا ظللتم أنتم هكذا ولم يهمكم امري...؟! كيف سوف استرد كرامتي وأتحرر من أسري الذي أجبرت أن أكون به...؟

*رد عليها أبوها عطا الله بالرد الذي كان يرغب طلعت في قوله ولكن أبوها أولى بأن يقوله:

-اسمعي يا بنتي نحن هنا في الأرياف كل ما حدث معك أمر عادي جدًا بل أنتِ التي جعلتي الأمور تزداد سوءًا.

*اجهشت بدر بالبكاء وردت على أبيها والغصة تخنقها:

-كل ما مررت به أمر عادي... وأنا جعلت الأمور تزداد سوءًا..؟!

-نعم يا بنيتي، لأن هنا في الأرياف من المعروف في القرى عندما يموت الزوج يكون الأخ أولى بزوجة اخيه سواء كان متزوج أم لا، نحن هنا لا نحب أن نرمي لحمنا للغريب.

-ألست أنا لحمكم ورميتموني إلى أولئك الوحوش...؟!

-أنتِ تربيتك في المدينة هي التي غيرت تفكيرك، جعلتك مختلفة عننا لا تعرفين عاداتنا ولا تقاليدنا، ان هنا البنت أهم شيء بالنسبة لها هي الزواج وأن تظل بهذا اللقب إلى اخر يوم في حياتها، لا يوجد في قاموسنا كلمة طلاق، في أغلب البيوت مشاكل والنساء تتحمل خوفًا من تلك الكلمة.

-ولكني لا أخاف منها، وهذه رغبتي أريد أن أطلق من هذا الوحش.

-اسمعي، عندما كنتِ انسة لم نجبرك قط على الزواج وجعلناكِ تكملي في حياتك كما تريدين، ولكن عندما عدتِ لنا أرملة لم نقبل بهذا وسرعان ما اقنعناك بالزواج، لأن الناس هنا لا تتوقف عن

الكلام، وفكرة حماتك أن تزوجكِ مصطفى هي لا تظلمك ابدًا، بل هي تفكر في سمعتكِ كي لا يتكلم عنكِ أحد وتظلي في كنفهم.

-ولكني لدي مأوي ولدي أهل... لذا لا أحتاج اليهم.

-ولكن سوف تكوني معك لقب مطلقة، وكل من في القرية سوف يتلسن عليكِ، وهذا أمر لا نقبله... هيا اتركوها كي تنام لكي تعود إلى بيت زوجها غدًا.

*صرخت بدر من شدة حنقها واردفت:

-أنا لا أصدق...! أنتم لستم أهلي...! أهلي يحبونني كثيرًا، استحالة أهلي يرمونني ويهون عليهم عذابي من أجل خوفهم من كلام الناس.

*أشارت منيرة لهم جميعًا أن يتركوهما بمفردهما... ومن ثم شرعت في الكلام وهي تمسك بيد بدر:

-أتظنين اننا لا نشعر بكِ...؟ بل نشعر بكِ و بشعور الفقد المتكرر الذي أصابكِ، أشعر بك وبالإهانة التي لحقت بكِ عندما عذبتي ولأول مرة وأنتِ لم تسمعي في حياتك كلمة تجرح إحساسك من قبل، ولكن صدقيني يا بدر هذه هي الدنيا تقسو علينا كي تعدنا من جديد وتشكلنا بشكل اقوى لكي نواجه الصعاب، صدقيني لا توجد راحة أبدًا في هذه الدنيا، كلنا نفقد... كلنا نعاني، ولكن القوي هو الذي يواجه، حماتك لن تظل تعذبك كثيرًا تحمليها هي ذاتها سوف تمل ما تفعله...

*قاطعتها بدر وهي تبكي ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة تهكمية، وغمغمت:

-اتحمل عذابها، هل أنا في نظركم بهيمة، وحتى لو من البهائم لا أستحق الضرب أو العذاب، أنا روح أشعر أتألم... ماذا تقولون انتم...؟ تريدونني أن أتجرد من انسانيتي ومشاعري لمجرد أني أنثي الأنثى ليس لها إلا بيت زوجها لأن هذا الذي يرضي الناس، تفكرون فيما يرضي الناس ولا تفكرون فيما يرضي الله وما يرضيني.

-بدر أنا لا أقلل منك، ولكن أنا أقول لك الحقيقة والحقيقة دائمًا مؤلمة جدًا، صدقيني أنا لا أحب أن أكذب عليكِ، ولكن مازالت الدنيا أمامك وسوف تعلمك المزيد، والحياة لا تعلمك الدرس مجانًا بل يجب ان تؤلمك وتكسرك وتخذلك ومن ثم تحصلي على نتيجة، العيش في الحياة صعب جدًا وليس بالأمر الهين، أنا أقول لكِ لكي تستمر حياتك تحملي ولا تستسلمي.

-أتعتقدين أن كلامكم صحيح...؟ كلامكم كله خطأ تمامًا أتريدون مني أن أقبل بالإهانة وأضع حذاء في فمي وأسكت عن حقي بحجة أن هذه الدنيا، أنتم لا تفهمون الحياة بالشكل الصحيح التي وضحها الله لنا أنتم تفهمون الحياة بالطريقة التي رسمها الناس، أنتم تحرمونني حقي الذي أحله الله لي، الله لا يقبل الظلم ولا أن يهان عبد له لذا أحل لنا الطلاق، نبينا محمد قال(ما اكرمهن إلا كريم وما اهانهن إلا لئيم) ديننا الحنيف أعزنا وقال لنا اننا مخيرون إذا كانت الحياة الزوجية غير مكتملة أو بها خلل وليست

مبينة على الأساس الذي قاله الله لنا بأن يكون أساسها مودة ورحمة وسكينة إذا الحل هو الطلاق، لما تحرمون ما أحل الله من أجل الناس...!

-الناس هنا لا يرحمون ويتكلمون ليل نهار ويتغامزون ويتلمزون...

-الله قال ويل لكل همزة لمزة، عقابهم عند الله، أيهون عليكِ أتعذب ليل نهار نفسيًا وجسديًا بسبب خوفكم من كلام الناس...؟!

-يا بدر يا حبيبتي إذا طُلقتِ وتحملنا كلام الناس لن يتزوجك أحد فأنتِ تزوجت ثلاث مرات والناس سوف يتلسنون عليكِ بكلام قبيح لا حصر له...

-ومن قال لكم بأن همي الزواج، لما اقتصرتم حياة البنت على الزواج وكفى يوجد أمور أخرى في الحياة غيره أهم.

-ولكن ما دمتِ أنتِ هنا يجب عليكِ أن تحترمي قواعد المكان التي أنتِ به وهنا أساس الحياة الزواج...

-أتعلمين شيئًا...! أنتم لا تختلفون شيئًا عنهم، بل أنتم أشد أذى منهم لأني أنا من لحمكم ودمكم وهنت عليكم...

*ظلت بدر تجهش بالبكاء وهي تضم أبنها خليل إلى حضنها تحاول النظر إلى عينيه لكي تفهم ما يخبئه له القدر، ولكن عينيه الخضراوين لا يظهر بهما شيئًا.

قررت بدر أن تنتحر وتنهي حياتها بالرغم أنها حافظة لكتاب الله ولكنها أيست من شدة الظلم الذي مرت به وكانت تريد أن ترى في عيني أبنها إن كان مستقبلة مؤلمًا فتكون بقتله معها الآن قد أراحته من عناء الدنيا، ولكن لم تتمكن من معرفة شيء عن ما سوف يحدث له، يبدوا لأن أعينهم مثل بعضهم البعض وتعكس نفس الطاقة فيحدث انعكاس لا انجذاب، لذا تراجعت بدر عن فكرة الانتحار خوفًا من أن يكون مستقبل أبنها جميلًا وتكون قد حرمته من حلاوة الدنيا.

*ظلت بدر مستيقظة لم تنم بعد بالرغم ان من كثرة البكاء كاد النوم أن يغلبها أكثر من مرة ولكن ظلت متماسكة تريد أن تشرق الشمس لكي تهم بالرحيل وتركب أول عربة توصلها إلى محطة القطار وتذهب بأبنها إلى أي مكان، لا تدري إلى أين، ولكن بعيدًا عن هذه القرية الظالم أهلها، سواء كان قريب أم غريب.



الفصل السابع

نقطة تحول٢

*سعدة تحاول أن تيقظ أبنها الذي دخل في سبات نوم عميق بعد تلك الضربة على رأسه، ظلت تحاول وتحاول إلى أن أفاق وأردفت متهكمة:

-أنت كرجل تفعل بك كل هذا تلك البلهاء الضعيفة، يبدو أنني لم أنجب رجلًا.

*أردف مصطفى وهو مزال يشعر بالدوار ويمسك برأسه:

-أمي، كُفي عن هذا الكلام، لقد حدث كل هذا محض الصدفة.

-وماذا أفعل أنا وهي قد هربت وأكيد لن تخرج خارج القرية في هذا الظلام الكالح، أكيد ذهبت إلى أهلها وقالت كل شيء، تخيل تقول لهم أنها ضربتك وجعلتك مغشي عليك وأنت رجل طول وعرض، ماذا سيقول عننا الناس...؟

-كفى يا أمي، سوف استرد حقي منها أعدكِ...

-حسنًا، سوف أدعك ترتاح قليلًا ولكن مع شروق الشمس سوف أذهب أنا إلى بيت أهل بدر وأرمي عليهم اللوم والعتاب على سوء تربيتهم أكيد، أما إذا كانت هربت من بيت أهلها كذلك، فأنا لا أستبعد شيئًا عن هذه البنت فسوف تخرج أنت مع شروق

الشمس إلى موقف السيارات والعربات في القرية كي تمنعها من الهرب خارج القرية...

*مع شروق الشمس يُطرق باب بيت أهل بدر، فتحت فوزية الباب فوجدت أمامها سعدة، فشعرت فوزية بالإحراج لأنها تعلم أن ما فعلته بدر غير مقبول هنا في الريف، ولكن سرعان ما أفاقت من شرودها وطلبت منها أن تهم بالدخول، واستأذنتها ثوانٍ كي تهم بتحضير كوب من الشاي لها، كنوع من إكرام الضيف، ولكن أوقفتها سعدة وهي تهم بالنهوض وأردفت بحزم وهي مقبضة على يدها:

-لا أريد أن أشرب شيئًا، أريد بدر حالًا، ولكن أريد أن ألومكم على تقصيركم في تربية ابنتكم على العادات والتقاليد واحترام البيت التي فيه، ليس من الأصول أبدًا أن تهرب المرأة من بيتها، ولكن غلطات بنتكم عدد ولا حرج.

-اني افهمك جيدًا، ولكن أنتِ تعلمي أن ابنتنا اكتسبت تلك الصفات لأنها لم تعتاد قط على العيش هنا... مازالت تتعلم العادات ها هنا...

-إذا كنتم لم تعلموها الأصول فسوف أعلمها أنا بطريقتي.

-انها ابنتك الآن، ولكِي الحق في فعل ما تشائين بها... أكيد أنتِ في الأول والآخر تريدين مصلحتها وتوجهينها إلى الصواب.

-هيا إذا نادي عليها، وأتمنى أن تكون هذه آخر مرة تفعل هكذا فعل، أنتِ تعلمي أن الناس ها هنا لا يتوقفوا عن الكلام.

-ثوانٍ سوف أحضرها لكي، وسوف أجعلها تقبل رأسكِ... أنا منذ دقائق رأيتها مازالت في فراشها نائمة مع أبنها، سوف أوقظها وتأتي إليك...

*دخلت فوزية غرفة بدر وجدت ان السرير صار فارغًا، والنافذة مفتوحة على مصرعيها.

*خرجت فوزية إلى سعدة وقد أسود وجهها من سوء فعلة بدر للمرة الثانية ولم تستطع أن تقل شيئًا سوى انها أكتفت بالنظر إلى الأرض، ففهمت سعدة وهمت تنظر في غرفة بدر لكي تتأكد من ان إحساسها صحيح وبالفعل وجدت أن السرير فارغ تمامًا والنافذة مفتوحة مما يوحي بهرب بدر من جديد، أكتفت سعدة أن تنظر إلى فوزية بازدراء وأردفت:

-ألم أقل لكِ، هذه البنت لا تفهم عن الأصول شيئًا، وتعلمت عادات الفرنجة، ولكن سوف أصل إليها وأعلمها الأدب.



*بعدما سمعت بدر صوت سعدة في الخارج قد فهمت ان أهلها سوف يعيدوها من حيث أتت من جديد، لذا قررت الهرب مع أبنها خارج القرية، ها هي تلثم وجهها، وتحاول أن تسرع في خطاها كي تصل إلى أول عربة تقلها إلى خارج القرية، ولكن كان مصطفى يقف

عند مدخل الموقف، حاولت أن تخبيئ أبنها أسفل وشاحها وتلثم وجهها جيدًا كي لا يعرفها، ولكن سرعان ما عرفها، لأن عدد قليل من النسوة يخرجن من القرية للبيع في المدينة، وقد عرف بدر من أكثر شيء يميزها ألا وهو عينيها الخضراوين المتلألئين من شدة الحزن وكثرة الدموع اللاتي بداخلهما مع أشعة الشمس يتحولن إلى حبات لؤلؤ تتلألأ مع ضوء الشمس، والذي أكد يقينه أكثر، أنه عندما أقترب منها، همت بالرجوع إلى الخلف، وعندما زاد في سرعة خطوته بدأت بدر في الهرب منه، ولكن سرعان ما أمسك بمعصمها وفك اللثام عن وجهها، حاولت أن تصرخ فأقبل الناس عليه يريدون أن ينقذوها، صرخ بهم قائلًا:

-ليس لكم شأن بنا، انها زوجتي..

*عرف الناس أنها زوجته، دعوه وشأنه، فهو حر معها، يضربها يوبخها يفعل ما يشاء، فليس من عاداتهم أن يتدخلوا بين الرجل وزوجته بتاتًا.

*أمسك بمعصمها وبدأ يزجرها ويهينها في طريقهم إلى البيت.

*ها هي سعدة تصل بيتها وعندما أوشكت على وضع المفتاح في القفل لكي تفتح الباب سمعت صوت مصطفى وهي يهين بدر في الشارع لكي يثبت للناس كم انه رجلًا وأن بدر ضعيفة لا تستطيع أن تقل حرفًا حتى، عندما رأت سعدة هذا المشهد علا على وجهها إبتسامة فخر بأن أبنها حصل على بدر وأنه أهانها أمام الجميع وهكذا أبنها رجلًا أمام أهل القرية أجمع.

دخلوا البيت وبدأت رحلة العذاب من جديد في حياة بدر ولكن في هذه المرة هي لا تنطق بحرف واحد، ها هو مصطفى يضربها كي يرد لها ما فعلته به ليلة أمس يرد لها الصاع صاعين مثل ما يقولون، ولكن بدر لا تحرك ساكنًا، لا تتكلم ولا تتأوه، عندما رأى مصطفى ذلك توقف عن ضربها لأن لم يجد أي ردة فعل من بدر بتاتًا، لذا قرر أن يرميها في البدروم بدون أكل أو شرب ثانيةً... وأردف:

-مهما حاولتِ أن تهربي سوف نصل إليكِ، فمن الأفضل لكِ أن تظلي هنا كي لا تجلبي لنفسك الإهانة ثانيةً.



ظلت بدر تفكر في حياتها وماذا ستفعل..؟

سألت نفسها... "هل أهرب من جديد...؟ ولكن كيف سوف أعيش أنا و أبني...؟ على الأقل إذا ظللت هنا أنا أؤمن له مكان يعيش فيه ولقمة تشبعه، إذا خرجت من هنا أكيد سوف أقصر في حق ابني، لذا سوف أتحمل كل ما يحدث لي من أجل خليل فقط... سوف أتحمل الإهانة لأن ليس لدي سند يرد لي حقي أهلي وأهل زوجي كلاهما أسوء من بعض، ولكن سوف أتعايش مع هذ البيئة الصعبة أفضل من أن أخرج من هنا إلى بيئة أخرى لا أعرف كنهها، الذي أعرفه أفضل مما لا أعرفه بالتأكيد...".



*لم تطل فترة وجود بدر في البدروم، ففي صباح اليوم التالي أخرجتها سعدة ليس لجمال عيون بدر، ولا بسبب رأفة قلب سعدة بالتأكيد، ولكن لكي تبدأ بدر في مباشرة أعمال البيت والزريبة من جديد، فبقاء بدر في بيتها ليس حبًا بها، ولكن بدر بالنسبة لها خادمة بدون أجر، يكفي لها أن لديها مأوى ووجبة واحدة لا تسمن ولا تغني من جوع ولكن أفضل من لا شيء.

*تمر الأيام على هذا الحال، ها هي بدر تعيش بجسدها ولكن روحها قد ماتت بعد الخذلان الذي شعرت به، أصبحت لا تبالي بما يجري حولها سواء أفعال أو أقوال مصطفى أو سعدة، تعيش فقط تقوم بدورها وتخدم كي تؤمن لابنها مكان آمن وكفى، مرت الشهور إلى أن أكملت عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام ويريد مصطفى الآن أن يأخذ حقه فيها، هو لا يحبها وهي لا تحبه، ولكن هذا زواج تم لكي تستمر في العيش معهم وتخدمهم لا أكثر ولا أقل، تم هذا الزواج لكي تستمر عبدة لهم ما دامت على قيد الحياة.

*أصبح في كل ليلة يعود من سهرته يضربها ويعنفها كي يأخذ حقه منها... ليس حبًا بها ولكن هي بالنسبة مجرد كائن يشبع رغبته الحيوانية وكفى.

كل ليلة ترفض بدر وتصرخ على أمل أن تمنعه سعدة وأن تفهمه أن مثل هذه الأمور لا تكون بالغصب، ولكن ظن بدر كان خطأ، لأن سعدة كانت تشعر بهذه الطريقة بأن أبنها رجلًا وهذا حقه وأن بدر مع الوقت سوف تعتاد على ذلك...

كل ليلة يسمع الجيران صراخها من شدة الضرب والتعنيف الذي تمر به بسبب ذلك الحيوان وشهوته الحيوانية...

كانت بدر لا تتكلم ولا تصرخ عندما تُضرب لأي سبب كان، ولكن عندما يعود مصطفى ليلًا كانت تشعر بأن ضربه لها في تلك الحالة يسلب كرامتها وروحها بسبب ذلك الشيء الذي تجبر عليه.

تمر الشهور وتحمل بدر من هذا الحيوان مصطفى مع كامل احترامي للحيوان(لأن مثلًا إذا وجد الكلب كلبة وأحب أن يتزاوج معها وهي رفضت أن يفعل معها ذلك الشيء يذهب الكلب بمنتهى الاحترام ولا يجبرها على شيء، إذًا ان الكلب تحكم في شهوته الحيوانية، بينما الإنسان مثل مصطفى لا يستطيع أن يكبح شهوته الحيوانية بتاتًا.

كرهت بدر نفسها عندما علمت أنها تحمل جزء في داخلها من هذا الوحش.

حاولت بدر جاهدة أن تجهد نفسها في العمل لكي تسقط ذلك الجنين ولكن بدون جدوى، علاوة على ذلك الضرب المبرح لها ليلًا من مصطفى وبالرغم من ذلك لم يسقط الجنين ابدًا.. .

*مرت الشهور وفي شهر سبتمبر في عام ١٩٦٤ ها هي بدر تنجب مولودها الثاني التي حملت به بالإجبار والكره والحزن والغضب وكل المشاعر السيئة، جاء إلى الدنيا مولودها التي لم تشأ أن يأتي إلى الدنيا نسخة مصغرة تحمل جينات مصطفى، جاء أبنها

الجديد التي تمنت كل يوم أن لا يأتي إلى هذا العالم، تشعر بأنه سيكون نسخة مصغرة من هذا الشيطان مصطفى.

تمر السنين وبدر على نفس الحال، ولكن بإضافة أنها تحاول جاهدة أن تغير من صفات أبنها أمجد، لقد قررت سعدة أن تسمي المولود الجديد أمجد على أمل منها أن يكون مثله وفي نفس الوقت أن يشغل المكان الذي خلفه أمجد وراءه برحيله عن الدنيا...

تحاول بدر أن لا تجعل اختلاف بين أمجد وخليل وأن لا تقصر في حق أحد منهما كي لا يعاقبها الله على التفرقة بينهما، تحاول بكل جهدها أن تتخلص من صفات مصطفى منه ولكن لم تفلح في ذلك قط.



*في شهر يوليو عام ١٩٦٨ عندما كان خليل طفل ذا الست سنوات، في صباح يوم وجد أخيه أمجد ذا الأربع سنوات يمسك في أبيه مصطفى يود أن يلحق به إلى الأرض كي يكون معه أثناء فترة عمله أيضًا، ولكن مصطفى رفض أن يصحب أبنه الصغير معه كي لا يشكل عبأ عليه أثناء عمله، ولكن أمجد كان شديد التعلق به وظل يبكي كثيرًا إلى أن وافق مصطفى أن يصحبه معه، ولكن عندما سمع خليل ذلك شعر ببعض الغيظ والحقد اتجاه أمجد، لأنه قد حرم شعور وجود الأب في حياته، لأن مصطفى لم يحاول قط أن يعامله بلطف بتاتًا هو يعتبره دائمًا بأنه فرد غريب وليس من دمه ولا من صلبه فلا يستحق الرأفة ولا أن يعامله برفق كأبن له، ولكن

خليل قرر سريعًا أن يطلب من مصطفى أن يصحبه مع أخيه أمجد لكي يلعبا هنالك سويًا، ولكنه رفض وزجره بشدة، ومن ثم قام مصطفى بحمل أبنه أمجد وهم بالخروج.

-هَم خليل إلى أمه باكيًا ولكن هدأته تهون عليه حظه انه بلا أب يحنو عليه، وأوضحت له:

-أنا لك كل شيء يا خليلي، لا تطلب منه شيئًا ثانيةً.

ولكن فجأة توقف خليل عن البكاء وهمهم:

-ولكن يا أمي أنا لم أقل لهم أن أذهب معهما ليس من أجل أن يعاملني أبي مصطفى كما يعامل أمجد فقط، ولكن أنا بكيت عندما رحلا عندما نظرت لأمجد شعرت في داخلي شعور...

*استغربت بدر من طريقة كلام خليل وغمغمت:

-وما هو ذلك الشعور يا بني أحكي لي...؟

-مجرد إحساس بداخلي يقول لي يجب أن أذهب ورائهما لكي أمنع تلك المصيبة أن تحدث لأمجد أخي.

-وما هي المصيبة بالضبط...؟

-لا أدري ولكني أشعر أن أمجد سوف يصيبه مكروه.

-هل هناك دم أو أي شيء...؟

-لا يوجد دم يا أمي، لا أدري لأني لا أرى شيئًا، ولكن مجرد شعور وكفى يؤلم قلبي...

-لا تقلق يا بني كما ترى أن مصطفى يحمله جيدًا على كتفه، وأنا أؤمن بإحساسك أنه صائب، ولكن ممكن أن يصاب بشيء بسيط لا تقلق...

-ولكن أخي يا أمي...

-صدقني لا تقلق، وأنا لا أريدك أن تلحق بهما كي لا يوبخك مصطفى ويؤلم قلبك الصغير وينهمر دمعك الغالي من زجره لك ودموعك بالنسبة لي غالية جدًّا ولا يهون علي أن أراها أبدًا.

*أخذت بدر تهدئه وهي تضمه إلى صدرها وهي تفكر متعجبة وأخيرًا فهمت سبب أنها لا تعلم شيئًا عن أبنها خليل بتاتًا، لأنه يملك عينها تمامًا فهذا يولد انعكاس للطاقة فلا هو يدري ما سوف يحصل لها ولا هي تعلم ماذا سوف يجري له.

*كانت بدر تعلم جيدًا أن شعور خليل صحيح مئة بالمئة، لأن الذي يشعر به خليل هي رأته بالفعل.

وقد علمت أن الله قد استجاب لها بأن تتخلص من ذلك الابن الآن أفضل من أن يكبر ويكون أبن عاصٍ عاق فاسد مثل أبيه مصطفى، كل ذلك بسبب انها عبدة صالحة إلى الله فعافها من أن تُظلم بأبن عاق وغير صالح مثل أمجد في المستقبل، لذا لم تحاول بدر أن تغير ما سيحدث لأنها تعلم بأن ما سيحدث الآن هو أفضل من بقائه حيًا.

★قالت في قرارة نفسها: أن يموت أمجد الآن ويدخل الجنة أفضل بكثير من أن يظل على قيد الحياة ويشيع في الأرض فسادًا...

وربطت على قلبها وصبرت وتحملت الخبر التي سوف تعلمه بعد قليل...

ألم بسيط الآن أفضل من معاناة في المستقبل...



★مصطفى يمشي في الطريق مع أبنه ولكنه ترك أبنه يمشي بجواره لأنه بدأ ينشغل بمن تمر بجواره، فأنه زائغ العين لا يترك امرأة إلا ويرمقها بنظرة لا تعرف الحياء أبدًا، وكأنه بعينيه عندما يغلقها ويفتحها يجرد من أمامه من ملابسها، كان يثق في نفسه كثيرًا وكان يظن بأنه له الحق في أي امرأة تعجبه، مرت بجواره امرأة فبدأ في مغازلتها وهي لم تقاومه كثيرًا حضرة السيد الوسيم، وكانت تحمل جِوال على رأسها ولكنه بحكم أنه يعرفها من دقيقتين له الحق أن يثبت رجولته لها وأن يحمل عنها، وبذلك سهى تمامًا عن أبنه الذي يمشي بجواره، أخذ الفتى يترنح ويلعب ويجئ براحته إلى أن وصل إلى عامود كهرباء يقوم الناس بصيانته وتجهيز دخول الكهرباء إلى القرية، ولكن أحدهم ترك مربع الكهرباء مفتوح فلفت لون العمود أمجد فتقرب منه ووضع يده في ذلك المربع المكشوف الذي كان بمحاذاة رأسه كان يوجد به العديد من الأسلاك وبعضها لم تكن مغطاة بشكل كامل فبمجرد أن مسكها أمجد لم يستطع أن يفك قبضته منها وكان ممسك بيده الأخرى العمود وكأن هناك شيئًا يجذبه وأطلق أمجد صرخة جعلت أبيه يهرع إليه مهرولًا وخرج الرجال من بيت البوص الذين كانوا

يحتسون الشاي لكي يكملوا عملهم، صرخوا الرجال بصوت عالٍ كي يمنعوا مصطفى من أن يمسك بأبنه كي لا تمسك به الكهرباء هو الأخر.

سحب أحد من الرجال سكينة الكهرباء ومن ثم أخذوا الولد الذي قد أحرقت الكهرباء يده تمامًا، وها هو ملقى على الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة ومن ثم ثوانٍ وقد غادر الحياة تمامًا، لم يستطع جسمه الهزيل الضعيف تحمل تلك الشحنة من الكهرباء.

*ها هو مصطفى يضم أبنه ويبكي لا يدري كيف حدث كل هذا في تلك الدقيقتين الذي غفل بهما عن النظر إلى أبنه.

ظل يبكي والرجال من حوله يهدئونه ويهونوا عليه، حمله بين يديه ورجع به الى بيته ورأت بدر المشهد التي كانت تتوقع حدوثه وشرعت في البكاء، عندما سمعت سعدة ذلك الصوت هرعت الى ردهة البيت وصدمت بأن عوضها في أمجد قد رحل هو أيضًا، كانت هذه صدمة كبيرة لها لم تتحمل فقد حفيدها أمجد الغالي على قلبها الذي كان لا يفارق حضنها أبدًا، عندما رأته هكذا أمامه بكت وشهقت شهقة كانت كفيلة أن تفقدها الوعي بعدها فقدت نظرها لثواني ثم أغشي عليها، حاولوا إيقاظها فأفاقت بعد دقائق ولكنها ظلت لا ترى شيئًا، يحاولا جاهدين معها ويعدلان من جلستها ويُشربانها الماء ويخرجانها للهواء لكي تتنفس ظنًا من مصطفى أن أمه سعدة تمر بنوبة بسبب انخفاض ضغطها كالعادة وثوانٍ وسوف يعود لها نظرها ولكن هذه المرة لم يعد...

لقد رحل أمجد وأخذ نور عينيها وحياتها معه...

كان موت أمجد نقطة تحول في حياة سعدة، فأصبحت لا تبالي بما يجري حولها وأصبحت تعامل بدر بلطف عندما رأت أن الحياة ليس لها أمان وهي قد ترحل قريبًا فأرادت أن تتغير في آخر أيامها...

أصبحت لا تتكلم إلا مجرد الرد على بدر أو مصطفى عندما يسألونها ماذا تحتاج...

*لا تفعل شيء سوى أنها تجلس بجوار المذياع وتستمع إلى إذاعة القرآن الكريم وتردد ما تسمعه، ولا تتمتم بشيء سوى أن الدنيا فانية أو تستغفر على ما فعلته...

*بينما مصطفى تغير تغيير وقتي لمدة أسبوعين فقط، صار شخص مختلف تمامًا لا تعرفه بدر، كان هادئ لا يتكلم أقصى شيء يمكن أن يفعله أن يومئ برأسه مع بدر أو أن يتمتم هامسًا لأمه بكلمات يطمئن بها على حالها.

ظل في بيته أسبوعين وأغلب الوقت راقدًا في فراشه لا يقدر على شيء، بداخله كلام يتردد بأنه السبب في موت أبنه لأنه غفل عنه بسبب سلوكه السيء، ظل خلال الأسبوعين لا يتكلم مع أحد ولا يشرب سجائر أو يعاقر أي شيء ولا يقابل رفاق السوء ولا يشرب الخمر، وقد نمت لحيته على غير عادته.

ولكن بدر عندما كانت تراه كانت تعلم جيدًا بأنه سوف يعود إلى ما كان عليه، وبالفعل سرعان ما عاد إلى عاداته السابقة كلها،

بل وأكثر مما سبق، أصبح يرجع إلى البيت من سهرته بعدما يتبين الخط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

لقد طالت سهراته عن ما سبق التي كان يعود منها منتصف الليل بينما الآن صار يعود فجرًا، يفعل كل ذلك بحجة أنه يريد أن يسكت ذلك الصوت الذي في داخله، رجع ألعن مما سبق لكي ينسى ما مر به...

ظل مصطفى على هذا الحال، ينام نهارًا ويسهر ليلًا، ولا يذهب إلى العمل، ولكن مع مرور الوقت لقد أكمل كل المال الذي كان معه، لذا في أحدى الليالِ تسحب ودخل غرفة أمه و سرق ذهبها، ولكن قد شعرت سعدة بأن هناك أحد في الغرفة لذا بدأت في التساؤل:

-من في الغرفة...؟ يا مصطفى! يا بدر...!

*هرعت بدر مستيقظة على صوت حماتها، كان مصطفى قد هرع إلى الباب وهرب...

*دخلت بدر مسرعة إلى حماتها كي تطمئنها بأنه مصطفى، وهي تمسح على رأسها:

-لا تقلقي، انه مصطفى هو الذي خرج من البيت، لا داعِ للقلق وأخلدي إلى النوم.

-بدر، أنا سمعت انه يفتح علبة الذهب خاصتي، انظري هل بها الذهب أم لا...؟

-لا يوجد أي شيء بالعلبة.

-لقد سرقني، لماذا لم يأخذه الله بدلًا من أبني أمجد البار الورع، ولكن هذا من سوء عملي لأني لم ازجره أو أمنعه مما كان يفعل بل كنت فخورة به أنه رجل فليفعل ما يشاء، لم أربيه على ما يشاء الله، لذا هذا جزائي وأنا أستحق هذا..

-لا تحزني، أدعي له عسى الله أن يهديه، هيا ارتاحي أنتِ الآن.

*قبلت بدر رأس حماتها كي تهدأ، ومن ثم رجعت إلى غرفتها وأخذت خليل في حضنها وأخذت تتمتم بذكر بعض الآيات كي يحميه الله لها.

★★★

*في سبتمبر ١٩٦٨ طلبت بدر من مصطفى بعض المال كي تقوم بتقديم خليل للمدرسة وتؤمن له زي مناسب وبعض المتطلبات، ولكنه ضربها وعنفها وقال:

-انه ليس أبني كي أتحمل مصاريف تعليمه، يكفي إني أويه في بيتي وأطعمه.

*تحسرت بدر لأنها كانت تعلم بأن هذا الذي سوف يحدث ولكن ليس بيدها حيلة سوى اللجوء إلى مصطفى ولكنه لم يساعدها قط، ولم تحاول أن تلجأ إلى أهلها ثانيةً بعد ذلك الموقف وأنها هانت عليهم من أجل كلام الناس، فصارت معاملتها معهم نادرةً عندما يأتون الى زيارتها في المناسبات، صارت تعاملهم برسمية مثلهم مثل الغرب تمامًا...

*ظلت بدر ذلك اليوم لا تتكلم ولم تطمئن على حال حماتها كعادتها، كان بالها مشغول ماذا ستفعل في موضوع تعليم أبنها، فجأة نادت حماتها عليها، فهرعت بدر إليها مسرعةً مهرولةً:

-ماذا بكِ يا بنيتي... أنتِ بخير...؟ لم أسمع صوتك اليوم... أأنتِ حزينة لآن مصطفى ضربك في الصباح...؟

-لا أبدًا، لم أعد أحزن من مثل هذه الأمور، يوجد أمر في بالي وأريد أن أجد له حلًا.

-لقد سمعت تحاوركما، وأنتِ تعلمي إذا كان معي المال لما كان يغلى عليكِ ولكن مصطفى قد سرق كل ما لدي.

-أعلم ذلك، لذلك لم أقل لكِ، لأني أعلم البئر وغطاءه جيدًا...

-اسمعي يا بدر أريد أن أعترف لكِ بأمر قد أخفيته عنكِ...

-أعلم جيدًا كل ما تخبئينه عني.

-وأنا أعلم أنكِ تعلمي، الذي أقصده أن أقترح عليكِ تلك الفكرة.

-لا تقولي أنكِ تريدين أن أفعل الذي في بالك...

-هذه أفضل طريقة للحصول على المال، وأنها طريقة حلال وليست بحرام، فأنتِ تقولين الصدق ولستِ دجالة تكذبين على الناس.

-لا أعلم هذا يرضي الله أم لا...!

-اسمعيني، لا يشترط أن تظلي عليه مدة طويلة، يكفي مدة بسيطة لكي تحصلي على مقدار المال الذي أنتِ في حاجة إليه،

وأنتِ مجرد مبشرة للناس تطمئني قلوب الناس أو تحذريهم، وأنتِ صادقة لستِ بكاذبة ومن جربك يعلم ذلك جيدًا ولقد جمعت من ورائكِ بعض المال لأنك كنتِ لا تحبي أن تقولي لأي أحد، بينما أنتِ الآن سيكون هذا عملك، وسيكون هذا المكان ممتلئ بالناس تدريجيًا بسبب صدق نبوءاتك التي تتحقق... وسوف تؤمني لأبنك أفضل تعليم ولن تقصري في حقه...

-آه يا حماتي، وأنا أعلم جيدًا أن هناك فكرة جديدة قد خطرت في بالك حالًا...

-ههه، حالًا ما علمتِ، لقد خطرت في بالي هذه اللحظة..

-حسنًا، سوف أفكر قليلًا وأعدك إذا قررت أن أفعل ذلك سوف أسافر معكِ إلى الحج وأحقق أمنيتك، فهذا المكان مكانك والفكرة فكرتك، والناس معارفك..



*كان هذا الموقف اختبار من الله لبدر الذي تعلم الحلال والحرام، وتعلم جيدًا أن الحلال بين والحرام بين، فماذا سوف تقرر؟



الفصل الثامن

الشيخة

*قررت بدر أن تنفذ فكرة حماتها سعدة كي يكون لها مصدر دخل خاص بها ولأبنها، وكي لا يلوي مصطفى ذراعها...

بدأت النسوة يتوافدن على بيت سعدة، إلى أن صيت بدر سمع خارج القرية كذلك، اشتهرت بالشيخة وبركتها ومعرفتها لما سيحدث...

ولكن بدر مع الوقت لم تكتفي فقط بأن تبشر الناس وتحذرهم، بل كانوا الناس يطلبون منها بعض الحلول مثل الحجاب وما الى ذلك...

قالت بدر في قرارة نفسها:

"أنا أقول لهم ماذا عليهم أن يفعلوا وهذا يكفي، يستطيع المرء أن يغير الموقف الذي يمر به إذا كشف الأمر على حقيقته بصورة مسبقة...

ولكنهم يريدون أن يشعروا ان الحجاب أو ذلك الماء هو السبب في تغير حالهم، لا يريدون أن يعتمدوا على نفسهم في تغيير مصيرهم...

هم يريدون أن يتعلقوا بوهم، وأنا سوف أعطيه لهم...".



*من ضمن الناس الذين كان يرتدون على بيت بدر كان منهم شابين، كلاهما من الإسكندرية أحمد شاب عمره ٣٠ عامًا وكرم ٢٩ عامًا، ولكن كرم قد جاء مع أحمد لزيارة أهله في القرية.

كان أحمد وكرم شابان طموحان وقد بدءا في العمل الحر سويًا، أثناء فترة تواجدهما في القرية سمعا أن هناك شيخة تكشف المستور وتعلم ماذا يخبئ القدر...

فقال أحمد لكرم:

-ما رأيك أن نذهب إليها وهي تنصحنا نقبل على ذلك المشروع أم لا، كي لا نخسر وقد تنصحنا بشيء مهم.

-أنت تعلم يا أحمد أنا لا أصدق هذه التخاريف.

-لا تصدقها كما شئت، ولكنها ليست دجالة، كل من تعامل معها قال عنها انها عرافة، ان الله أعطاها هذه الهبة، هي ليس لها شأن بالجن وكل هذه الترهات، هي تنظر إلينا وترى مستقبلنا وكفى.

-لا أصدق هذه الهرطقة...

-تعال معي ودعني أنا أصدق...

-وماذا ان نصحتنا بشيء خاطئ؟

-سوف أتحمل أنا الخسائر ما رأيك؟

-حسنًا، لقد جنيت على نفسك إذًا.

*ذهبا إلى بدر وذهل كلاهما بجمال بدر، فبدر حينها كانت شابة ذات ال٢٤ عامًا، و قد ذاب كلاهما في جمال عيني بدر.

بعدما انتهت بدر من وقتها معهما، قدم كلاهما الكرت الخاص به إليه الذي يحتوي على أرقام مكتبهما ومنازلهما، ولكن سرعان ما اعتذرت بدر لأنها ليس لديها هاتف من الأساس، ولكن في نفس الوقت احتفظت بتلك الكروت لأنها تعلم جيدًا أن هناك احتمال في قدرها أن تلجئ إليهم يومًا ما...

★★★

*لقد زاد المال في جيب بدر وبالفعل تمكنت من توفير كافة طلبات خليل لا طلبات المدرسة فقط.

وبالفعل قد أخذ خليل عقل أبيه فؤاد، فقد كان طفل مميز يحب الدراسة بدون أن يجبره أحد على ذلك.

وابتاعت بدر له العديد من القصص، وبالفعل أحبها كثيرًا، كان خليل نسخة مصغرة من فؤاد ما عدا عينيه الخضراوين...

★★★

*في شهر مايو عام ١٩٦٩ دخل مصطفى غرفة بدر يتسحب يرغب في شيء، ولكن بدر كانت على علم لما سيفعله الليلة لذا ظلت متيقظة...

أخذ يتسحب مثل الثعبان إلى أن وصل إلى الصندوق التي تخبئه بدر في خزانة ملابسها، وعندما أوشك على فتحه أوقفته قائلة:

-ماذا تريد يا مصطفى...؟

*تلبك وشعر بتوتر ولكن سرعان ما تمالك أعصابه وألتف إليها والعرق يتصبب على جبينه وقال:

-ولمَ أقول لك يا سعادة العرافة...؟

-أتريد المال يا مصطفى أليس كذلك...؟

-نعم أريده..

-لدي معك اتفاق...

تطلقني ولكن أظل معكم في البيت ولا يعلم أحد بالطلاق لا قريب ولا غريب ما رأيك...؟

-وماذا استفدت أنا من مثل هذا اتفاق...؟

-سوف أعطيك مالًا... أعتبره ايجار وجودي في البيت...

*أخذ مصطفى يفكر فوجد أنه بذلك الحل يستفاد أكثر من زواجه من بدر الذي كل شيء فيه يكون بالإجبار....

فكر بأنه لن يحتاج إلى العمل ثانية، لقد نسيّ تمامًا كيف يكون العمل بعد حادثة ابنه، قد أعتاد على نومه طوال النهار وسهره ومرحه طوال الليل...

★نظر إليها مصطفى وقد انفرجت اساريره وأردف:

-موافق، سوف أطلقك غدًا، وسوف أخذ هذا المال الآن.

وهرع خارج الغرفة وأطلق قدميه للريـح من شدة سعادته بالمال الذي حصل عليه.

*هكذا ارتاحت بدر من مصطفى، ها قد اشترت راحتها منه وكسرت عينه ببضعة قروش، طبعًا لم يأخذ مصطفى كل مال بدر ولكن كان بعض منه لأنها كانت تعلم ما سيحدث.

*بدأت تشعر بأن الحياة بدأت تضحك لها، ضمت أبنها إلى حضنها وراحت في نوم عميق.

*تمر السنين وشعبية بدر تزداد أكثر وأكثر، ولا غنى عن زيارة أحمد وكرم من حين لأخر لكي يبشراها بتحقيق تنبأتها... وتبشرهما وتحذرهما مما هو آت...

لقد زاد المال كثيرًا مع بدر وها هو أبنها يظهر عليه بأنه أبن باشوات حقًا بثقافته وتعليمه وزيه...

★في عام ١٩٧٢ كانت سعدة تجلس مع بدر وأردفت:

-أشعر يا بدر بأن نهايتي قد اقتربت...

-شعورك غير صحيح يا حماتي... لا تكملي هذا الحديث لأنه ليس بصائب، وأنا سوف أدخل لكِ في صلب الموضوع التي ترغبي به...

أنتِ تريدين أن تذهبين إلى الحج كي تطمئني... وأنا قد أتممت لكِ كافة الإجراءات وسوف نسافر هذا العام...

*هش وبش وجه سعدة كثيرًا عندما سمعت هذا الخبر... وأخذت تدعي إلي بدر ليل نهار...

*لم تنسى بدر وعدها لسعدة كل هذه الفترة، ولكن كان يرادوها إحساس بأن مصيبة سوف تحدث في فترة ذهابها إلى الحج، لذا كانت تؤجل خوفًا من الذي يدور في خلدها...

ولكن عندما وجدت نفسها سوف تكون في موقف محرج مع حماتها اضطرت أن تذهب معها كي لا تظهر أمامها بصورة أنها تخلف الوعد...

*في يوم قبل سفر بدر كانت تجلس مع أبنها ذا العشر أعوام، وسألته:

-أنت فعلًا تشعر أحيانًا بما سيحدث...

-نعم يا أمي، أحيانًا يساورني إحساس بأن هناك أمر مفرح سيحدث من قبل شخص ما، أو شيء محزن أو مصيبة ستحدث من شخص أو لشخص ما...

-حقًا لا ترى ما يحدث...؟

-لا ارى شيئًا، مجرد إحساس في قلبي ويتردد في عقلي، ولكن لا ارى شيئًا مثلك يا أمي...

-حسنًا، أريدك أن تعدني في خلال فترة سفري أنا وجدتك سعدة أن تمكث في بيت جدك طلعت وأن لا تأتي إلي هنا أبدًا...

-أمي أريدك عندما تعودي من السفر أن لا نعيش مع ذلك الرجل مصطفى... الناس يتكلمون عنه بكل سوء وأن سمعته سيئة جدًّا... والاطفال ينعتوني بأن هذا الرجل الفاسد أبي...

أمي، أريد أن أرحل من هنا.

-أعدك سوف أفعل ذلك ونعيش بمفردنا في المدينة، ولكن بشرط أرجوك أن لا تعود إلى البيت لأي سبب من الأسباب.

-ولمَ...؟!

-عِدني فقط...

-أعدك يا أمي...



*جاء موعد السفر وسافرت بدر مع سعدة، وقلبها ينغصها؛ تتمنى من الله ان يوفي خليل بوعده كي يغير قدره إلى الأفضل، كانت بدر لا تعلم ما سيحدث لخليل، ولكن كانت تعلم ما سيحدث لمصطفى...

*ظل خليل يومين في بيت جده طلعت، ولكنه شعر بملل كبير، فأنه لم يعتاد أبدًا على العيش بدون أمه، ولا أن ينام إلا في حضنها، كان متعلقًا جدًّا بها، لذا كانوا اليومين مثل سنتين بسبب بعد أمه عنه، والذي زاد الأمر سوءًا أنه ترك قصصه كلها في البيت الآخر، ظل يومين آخرين يتمالك نفسه كي لا يخلف وعده مع أمه، ولكن زاد شعوره بالملل لذا قال في قرارة نفسه:

-أشعر أن مصطفى سيفعل أمر مشين اليوم وسوف تحدث كارثة، ولكن هذا الشعور يأتي لي كل يوم، سوف أذهب نهارًا قبل أن يستيقظ مصطفى وأخذ كتبي وأرحل في هدوء... وبذلك لن أكون خلفت وعدي مع أمي، لأنني لم أمكث في هذا البيت، كل ما في الأمر مجرد ثوان أخذ كتبي وأرحل سريعًا.

*وصل خليل البيت وها هو يولج المفتاح في الباب برفق ويفتح الباب ببطيء كي لا يستيقظ مصطفى، ولكن بمجرد أن دخل سمع صوت مصطفى ومعه امرأة، كان يظن خليل بأنه يتهيأ له، ولكن بالفعل تكرر الصوت من جديد وها هو يسمع صوت مصطفى بكلماته البذيئة وصوت امرأة منحلة، شعر خليل باشمئزاز رهيب لما سمعه، فهذا شعور فطري بنبذ الرذيلة... كان خليل حينها ذا عشر سنوات ولكنه شب سريعًا وصار يفع وطويل مقارنة بالصبية الذين في سنه.

شعر خليل بأن الدم يغلي في رأسه وشعر بشعور جامح بالانتقام من ذلك الرجل النجس الذي هان وعذب أمه كثيرًا، بالإضافة إلى السمعة السيئة التي لحقت به بسببه، فكر في أن يخرج وأن يقول للناس، ولكن سرعان ما أعرض عن هذه الفكرة لأن الناس تعلم ذلك ولم يوقفه أحد عند حده بل هو يتمادى أكثر في أفعاله القذرة، لذا وجد في نهاية الردهة عتلة من حديد ولم يستطع أن يتمالك نفسه كثيرًا وشعر أن قدميه تقوده وتجره جرًا إلى غرفة مصطفى، الذي كان عندما دخل خليل رآه معطيًا ظهره له مشغول بما هو أمامه، استغل خليل ذلك الوضع جيدًا وهجم

عليه وضربه بالعتلة على رأسه مرة وإثنين وثلاث إلى أن فتح رأسه وأمتلئ المكان بالدم، وها هي تلك العاهرة قد أفاقت على صوت تهشيم الرأس وأخذت تستر نفسها وهي تحاول أن تكتم صراخها من هول الموقف الذي يحدث أمامها.

*ظل خليل مصدوم لوهلة مما فعل...! ولكنه ترك العتلة مسرعًا وهرب، هرب وهو يبكي مقررًا أن لا يعود إلى بيت جده لأنه يعلم جيدًا بأنه قتل ومن يقتل يذهب إلى السجن لذا قرر أن يهرب...

يجري بأقصى سرعة والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول في قرارة نفسه:

-لم أقتله، ولكن كان هناك شيئًا يجذبني إليه كي أفعل ذلك، لم أكن أنا...

*ركب أول حافلة تقله إلى محطة القطار، لا يدري إلى أين ولكن يريد أن يبتعد أكبر قد ممكن.

*بينما تلك المرأة التي شهدت على تلك الجريمة، همت مسرعة بعدما تلبش جسدها بسبب تلك الجثة التي أمامها، همت مسرعةً ترتدي ملابسها وأخذت العتلة وغلفتها بأكياس بلاستيكية ومن ثم عندما غابت الشمس خرجت من البيت ورمت العتلة في الترعة وركبت أول عربة تقلها خارجًا عائدة من حيث أتت...

*بينما خليل قد ركب القطار وكان معه بعض المال في جيبه دفع ثمن التذكرة ولكنه لا يعلم إلى أين يذهب، ولكنه قال سأذهب

إلى القاهرة هو لا يدري عنها شيئًا ولكنه يعرف اسمها فقط لأن أمه حكت له عنها كثيرًا...

*وصل خليل محطة مصر وها قد بدأ يفكر ماذا يفعل...؟

ظل طوال الليل في المحطة لم يقرر أن يخرج منها لأنه لا يعلم إلي أين سيذهب، قرر أن يمكث بها إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

في صباح اليوم التالي استيقظ وشعر أنه يتضور جوعًا، علم أنه لا يوجد طريقة للعيش له إلا أن يجد وظيفة لكي يأكل كي يعيش، قرر أن يخرج خارج المحطة وطلق قدمية للريح وها هو يجوب شوارع القاهرة الحارة المزدحمة يمر أمام المحلات ويقول لهم:

-بأنه مستعد لتعلم أي شيء مقابل أن يأكل ويمكث في مكان آمن فقط، ولكن أصحاب محلات الميكانيكا أو الدرجات كانوا يزجروه ويبعدوه خارجًا بسبب جمال مظهره وحسن ملبسه، يقولون أن هذا ابن ناس وأصول لن يفلح في عملهم أكيد، ظل يمشي ويمشي حتى تورمت قدماه إلى أن وصل إلى حي راقٍ في القاهرة وأصبح يمر على المقاهي والمطاعم التي به ويذكر القصة التي اختلقها كي يؤثر على أحدهم ويساعده...

إلى أن وصل إلى مقهى كان يقف أمامه رجل ذا لحية خفيفة بيضاء وذا شعر ناعم جدًّا وكان لديه عينين صغيرتين يملأها بؤبؤ أسود مما يدل على شدة عاطفته وحساسيته، عندما رأى خليل

وقد ظهر عليه كل مظاهر التعب برغم من جماله ولبسه، جلس الرجل القرفصاء كي يكون بجوار خليل الذي قرر الجلوس على الرصيف لأن قدماه لم تعد تتحمل الوقوف عليهما... وسأله:

-ماذا بك يا بني...؟

-أنا لقد فقدت أسرتي، لقد تهت منهم، لقد جئنا إلى هنا كي نأخذ جولة في القاهرة.

-إذًا أنت لست من هنا...؟

-لا لست من هنا... أتيت مع أبي وأمي كي نزور معالم القاهرة.

-إذًا... من أين أنت...؟ قد يمكنني مساعدتك.

*تعمد خليل أن يقول محافظة غير محافظته...:

-أنا من الشرقية.

-ومن أين بها...؟ قل لي العنوان كامل وسوف أرسل معك أحد من العمال لدي كي يعيدك إلى بيتك وأهلك...

-لا أعرف العنوان، لأنني لم أكن أعيش هنا كنت مع أسرتي في السعودية ورجعنا في قرية في الشرقية لا أدري ما اسمها لأن هذه أول مرة ازورها بعد مدة طويلة من عمل أبي في الخارج...

-بالفعل يا بني يبدوا عليك أنك ابن أصول من أسلوبك وشكلك وزِيك، ولكن بماذا تريدني أن أساعدك به...؟

-أريد أن أكل فقط، فأنا لم أكل شيء من أمس، وأريد أن أنام...

-حسنًا، هيا أدخل معي إلى داخل المقهى، وسوف أقدم لك بعض الأكل وتنام بالداخل يوجد غرفة ينام بها أحد من العمال انه شاب مغترب...

*دخل خليل المقهى كان راقٍ جدًّا ولكن الغرفة التي سوف ينام بها صغيرة جدًّا وبها سرير واحد فقط، غرفة صغيرة ولكن نظيفة...

*تمتم خليل في قرارة نفسه: "غرفة صغيرة ولكنها أفضل من مكوثي في الشارع".

ولكن سرعان ما قطع شروده الأستاذ إبراهيم(مدير المطعم) لا تفكر كثيرًا يا بني الليلة سوف تنام على الأرض ولكن غدًا سوف أحضر لك سرير ما رأيك؟

*انفرجت اسارير خليل لأنه وجد حنان الأب في الأستاذ إبراهيم، شرع خليل في تناول الطعام بشراهة على عكس طريقته في الأكل ولكن هذه أول مرة يحرم من الطعام لهذه المدة.

بعدما أنتهى خليل من تناول الطعام راح في نوم عميق لقد انفصل تمامًا عن العالم وسقط على الوسادة كالمغشي عليه لا يدري ما يحصل حوله.



*مصطفى لم يمت ها هو يستعيد اتزانه من جديد ويعالج جرح رأسه ويلبس ويخرج من بيته باحثًا عن خليل، ظل يبحث كثيرًا إلى أن وصل إليه في القاهرة وقد عرف مكانه بالتحديد بمعاونة ساحر قال له عنوانه بالتفصيل، ها هو يدخل لخليل ومعه تلك العتلة

وها هو يرفعها ويهشم بها رأس خليل وهو نائم، يضربه بكل قوة وحقد وكأنه يهشم صخرة لا رأس طفل، يضربه بالعتلة على رأسه وهو متشفى مما يفعل ويضحك ويقهقه.

*استيقظت خليل مفزوع من ذلك الكابوس اللعين، لقد شعر حقًا أن مصطفى قد وصل إليه لكي ينتقم منه...

استيقظ حامد ذلك الشاب الذي يسكن معه في نفس الغرفة على صوت صرخة الخليل وهو مفزوع.

كان حامد شاب طويل نحيف ولكنه كان ذا قلب حنون حقًا ومسالم وسرعان ما اعتبر خليل أخاه الصغير، كان يتميز بعينه العسليتين الواسعتين وقرب حاجبيها من عينيه أي ما يوحي أنه يتقرب إلى الناس بطريقة سريعة وأنه ودود للغاية، وكان أنفه نهايته واثب الى الأعلى أي ما يوحي أنه شخص يحب مساعدة كل من حوله بكافة الطرق.

أخذ حامد يهدأ خليل ويشربه الماء ويقرأ عليه بعض الآيات كي يهدأ، وأوضح له أن سبب تلك الفزعة مجرد كابوس، عليه أن يتفل على يساره ثلاث مرات وأن يقول اللهم قني شر هذه الرؤيا و ينام على جنبه الآخر.



*في اليوم التالي عرض عليه الأستاذ إبراهيم العمل في المقهى وسأله:

-ماذا يمكنك أن تفعل يا خليل..؟ قلت لي بالأمس أنك تريد أن تعمل...! ها الآن قل لي ما العمل الذي يمكنك فعله....؟

*رد عليه خليل في حماسة:

-أي شيء، يمكنك أن تعلمني أي شيء وسوف أتقنه جيدًا وسوف أكون عند حسن ظنك.

*أعجب إبراهيم بحماسة خليل وأردف:

-حسنًا، سوف أجعلك تبدأ هنا تدريجيًا، يمكنك أن تبدأ بتنظيف المقهى في البداية وإذا أثبتت جدارتك سوف أغير لك الوظيفة.

*هش وبش وجه خليل هو يقبل أن يعمل أي شيء ويعيش في أي مكان أفضل من أن يزج به في السجن بسبب فعلته تلك، لذا تقبل العيش في ذلك المكان وواظب على عمله الذي يؤمن له فقط المأوي والمأكل والمشرب وكفي.

*ولكن أحيانًا عندما كان يسأله الأستاذ إبراهيم إذا كان يحتاج شيئًا فكان يقول له لا أريد شيئًا سوى أن أبقى هنا وإذا يمكن أن توفر لي كتاب من حين لآخر، هذه هي هوايتي الوحيدة.

*أطمئن خليل بوجود حامد معه، وشعر أن الله أهداه أب وأخ في ذات اليوم، الأستاذ إبراهيم أصبح نعم الأب له لأنه أواه واحتواه وأصبح حامد نعم الأخ لأنه صار سندًا له في حياته وقريب منه في كل لحظة في يومه.

فسبحان الله مسبب الاسباب، إبراهيم كان رجلًا طيبًا ولكنه لم يتزوج فأكرمه الله بخليل ليكون له مثل الابن تمامًا.

وحامد الذي يشعر بالوحدة في غربته، أرسل الله نعم الانيس ألا وهو خليل.

ليس أي شخص قد تعتبره ابن لك أو أخ لك، ولكن خليل كان بالفعل له من اسمه نصيب فكان خليل لمن يعرفه حقًا.

الله يسبب الأسباب وتحدث الأمور بطريقة غير التي في الحسبان ولكن الله يحدث أمر في النهاية هو خير للجميع.

فسبحانه مدبر الأمور الذي يدير أمور عباده.



الفصل التاسع

الصدمة

*تمر الأيام وأصدقاء مصطفى مستغربين جدًّا...! لِمَ تخلف مصطفى عن صحبتهم...؟! لذا ظنوا ظنيين، الظن الأول أنه قد يكون قد هداه الله فتوقف عن مرافقتهم، والظن الثاني أنه قد يكون قد أصابه مكروه ويجب أن يذهبوا لزيارته بعد غياب أسبوع كامل.

ها هم شلة السوء يطرقون الباب ولا أحد يرد عليهم، بعد مدة من الانتظار أقترح أحدهم أن يكسروا الباب وبالفعل هموا بكسر الباب جميعًا، ومن ثم فوجئوا بتلك الرائحة العطنة التي تملئ المكان، أسرعوا بكتم انفاسهم بسبب تلك الرائحة ومن ثم دخلوا الغرفة التي بها مصطفى، صدموا عندما رأوا المنظر أمامهم عبارة عن جثة متعفنة أمامهم.

*كانت تلك النهاية عبرة لهم وكل واحد منهم تخيل نفسه مكانه وسأل نفسه:

ماذا لو كنت أنا الذي حدث به هكذا؟

ماذا سوف أفعل أن كانت نهايتي على معصية؟

ماذا سوف اقول لربي؟

أقول له أعطيتني نعمة الصحة والمال وبدلًا من أن أشكرك وأحمدك عليها استخدمتها في عصيانك.

أعطيتني المال فبدلًا من أن أتصدق وأزكي ببعض منه استخدمه في استهلاك كل ما هو محرم من سجائر ومخدرات وخمر.

أعطيتني الصحة وها أنا ادمرها بهذه السموم الذي أدخلها لجسدي.

أعطيتني الصحة فبدلًا من استغلالها في العمل والطاعة والذهاب إلى بيتك في مواعيد الصلاة لكي أشكرك على نعمك علي.

بل كنت استخدم هذه الصحة في البعد عنك لا للقرب منك.

أنام في أوقات صلاتي وهي صلتي بك، وأسهر في أحب الأوقات إليك وقت قيام الليل والفجر ولم أكن أسهر أقم الليل أعبدك تقربًا إليك، حبًا بك يا الله، بل كنت استغل تلك الصحة بالذهاب إلى أماكن لعصيانك، ولا أقضي ليلي ذاكرًا لك قارئًا لكتابك بل كنت استغل نعمة الكلام في نطق كل ما هو محرم من ألفاظ فاسقة ومغازلة لبعض العاهرات.

*كلام كثير يدور في خلدهم بسبب ذلك المشهد الذي أمامهم، كان موت مصطفى هو نقطة تحولهم إلى الأفضل، كل منهم بعد أن عاتب نفسه في سره أخذ يحمد الله لأنه ليس هو الذي مات، وحمدوا الله على تلك الفرصة التي أخذوها من الله عز وجل كي يتوبوا إلى الله توبة نصوحة تغفر لهم ذنوبهم جميعًا ويبدؤون صفحة جديدة مع الله يفعلون في حياتهم كل ما يحبه و يرضيه.

*ولكن الذي حيرهم لِمَ مصطفى هو الذي مات تلك الموتة الشنيعة؟

لمَ ليس أحد آخر منهم؟

وذلك بسبب أن مصطفى كان أشدهم ظلمًا وفسادًا، كان يعتدي على بدر ويظلمها ويوبخها غير عابئ بوصية النبي(واستوصوا بالنساء خيرًا) (وما يكرمهن إلا الكريم) لم يقتدي بالنبي محمد في التعامل مع اسرته، كان نبينا الحبيب يعاون أسرته في أعمال البيت وذلك لم يكن يقلل من رجولته في شيء(خيركم خيركم لأهله).

بل بالعكس كان مصطفى كان مقصرًا في بيته وحقوق أهله، على عكسهم لم يكونوا يعتدون على زوجاتهم بالضرب والإهانة.

كان يسرق وهم لا يسرقون لانهم ظلوا مستمرين على العمل.

كانوا يضرون أنفسهم ولا يضرون غيرهم.

طبعًا الفكرة ليست في كونه يضرب زوجته، الله لا يحاسبنا هكذا ولكن الفرق في التالي، أن الله اعطى مصطفى الكثير من الفرص كي يتغير ولكنه لم يكف عن ما يفعل والله كتب له أن يصدم في حياته بموت أخوه وأبنه وأن يتعظ بأن الموت لا يفرق بين صغير ولا كبير، ولكن مصطفى لم يفهم الدرس أبدًا، لذا صار عبرة لهم، ولهم الاختيار أن يتعظوا أم لا.

قارنوا أنفسهم بمصطفى وتخيلوا أن الله يعيد نفس الاختبار معهم ثانية ولكنهم فهموا الدرس وقرروا أن لا يكونوا مثل مصطفى وأن يستغلوا الفرصة قبل فوات الأوان.

ومن ثم خرجوا وذاعوا خبر وفاة مصطفي وبلغوا شرطة القرية المتكاسلة، التي اكتفت بتحقيقات بسيطة مثل أن سألوا الجيران:

-هل دخل أحد إلى هذا البيت طول هذه الفترة؟

هل هو خرج وكان معه أحد ما؟...هل سمعتم أصوات في ذلك البيت؟

وغيرها من الأسئلة التي كانت جميعها إجابتها واحدة بالنفي.

لان المرأة التي كانت مع مصطفى كان قد أتى بها ليلًا وأهل القرية ينامون مبكرًا، بينما خليل قد أتى إلى البيت بعد الظهر أي وقت القيلولة في القرى فجميعهم نيام ولم يره أحد، حتى أنه أستغل ذلك الوقت لكي يخرج من بيت جده طلعت مسرعًا ويعود بدون أن يشعر به أحد.

*في نفس الأسبوع كانت أسرة بدر قد بدئوا البحث عن خليل في أرجاء القرية ويسألون كل من يروهم ولكن لم يأتي في بالهم أبدًا أن يذهبوا إلى بيت مصطفى أو أن يسألوه حتى لانهم يعلموا أن خليل لا يحب مصطفى وكذلك مصطفى لم يكرم مثواه قط، وغير ذلك هم لا يحبون أن يحتكوا بذلك الشخص الفاسد، أو أن الله سبحانه وتعالى قد أعمى بصرهم عنه كي تمر الأيام ويكون عبرة ودرس لأصدقائه، والله له حكمة في كل شيء.

*ولكن عندما سمعوا خبر وفاة مصطفى راودتهم الشكوك، اختفاء خليل وموت مصطفى في نفس ذات الفترة، أخذوا يفكرون وتراود ذهنهم الظنون ولكنهم لم يصلوا إلى طرف الخيط لحل اللغز.

ظنوا أن مصطفى قد يكون أستغل عدم وجود بدر لكي ينتقم منها في أبنها الوحيد، ولكنهم كانوا يتسألون: "إذا كان هو السبب وراء اختفاء خليل فمن هو السبب في موته إذا؟

لم يخطر على بال أحد أن خليل هو من قتل وذلك لبراءته ووداعته.

لذا قرروا أن لا يفكروا كثيرًا وأن ينتظروا رأي الشرطة بعدما ذكروا حالة اختفاء خليل.

*ولكن الشرطة لم تصل لحل نهائي لأنه لا يوجد أدلة ولا شهود حتى على وقوع الجريمة.

كانت تلك المرأة التي كانت مع مصطفى ذكية للغاية وكأن وجودها في البيت ذلك اليوم لسبب أن تخفي دليل إدانة خليل، وكذلك قامت بإزالة ملائة السرير التي كانت تنام عليها ليلتها ومن ثم قامت بمسح كافة البصمات، أي انها لم تترك علامة واحدة تدينها أو تدين خليل.

لذا قررت الشرطة أن تغلق القضية، لأنه لا يوجد أي أدلة قطعية على الجريمة وثانيًا لا توجد خلافات مع مصطفى مع أحد في القرية فتدفعه لارتكاب هذه الجريمة، سمعة مصطفى معروفة

بالخلافات مع زوجته وهي مسافرة في هذه الفترة، إذا لا يوجد أشخاص لكي يشكوا بهم.

لذا قرروا أصدقائه دفنه وقالوا: "إكرام الميت دفنه"، وأغلق موضوع مصطفى سريعًا ولكنه كان سبب في هداية اصدقائه، أصبحوا يجتمعون في أوقات الصلاة في بيت الله بعدما كانوا يجتمعون لفعل المعاصي.

فسبحان الله يهدي من يشاء.

وكل موقف في الحياة هو لهدف ما ولتعلم درس معين.

فسبحان ربي العليم الحكيم الخبير.

*بينما كان رأي الشرطة في اختفاء خليل، كان ردهم بسيط جدًّا:

-انهم طوال العام يتلقون أخبار اختفاء الأطفال، وأن في ذلك الشهر اختفى ثلاث أطفال في مثل سن خليل، اتركوا لنا التفاصيل وأن وصلنا لشيء سوف نخبركم بما هو جديد.

*حينها فقدت الأسرة الأمل في عودة خليل لأنهم يعلمون جيدًا أن الأطفال التي يختفون لا يرجعون ثانيةً.

من يذهب لا يعود من جديد.

ولكن كان كل تفكيرهم في بدر ماذا سوف يكون ردة فعلها عندما تعلم أنهم لم يصونوا الأمانة، وليست كأي أمانة بل إنه ابنها أي حياتها، وبذلك لن يكونوا دمروها هي فقط في حياتها الزوجية بل

دمروها في كافة نواحي حياتها بفقدها لابنها الوحيد الذي يعني لها كل شيء.

★★★

*عادت كل من بدر وسعدة من سفرهن ومن ثم عندما وصلتا الى بيتهن طوال الطريق الناس تبارك لهن ويحمدوا الله على سلامتهن ولكن بمجرد وصولهن أمام البيت وهن أساسًا كانوا يشعرن باستغراب لِمَ مصطفى لم يأتي لاستقبالهن والترحيب بهن مثل بقية الجيران...! ولكن عندما بدأت بدر تحاول أن تولج المفتاح في الباب كي تدخل أردفت سميحة أحدى الجارات:

-البقاء لله يا حجة أم مصطفى...

*هنا صعقت بدر، لا تريد أن يكون ما سمعته حقيقي، لأنها تعلم جيدًا ان إذا مصطفى مات يعني هذا أكيد ان النبوءة التي حذرت منها خليل قد حدثت، وبذلك تدري كافة التفاصيل.

★شهقت سعدة وقلبها بدأ ينغص عليها وقالت صارخة:

-من مات يا امرأة...؟

-ابنك مصطفى... لقد جاءوا اصدقائه منذ عدة أسابيع ووجدوه جثة متعفنة في البيت...

اجهشت سعدة بالبكاء ولطمت وجهها وضربت بكفها على صدرها حسرة على فقد أبنها وقالت:

-ماذا حدث لأبني...

*استمرت سميحة في الكلام موضحة دون أي مراعاة لمشاعر الأم التي فقدت اخر ما لديها في الدنيا...

-يقولون أنهم وجدوا مصطفى مغطى بالدم والدم حوله على سريرة في كل مكان ورأسه مجروح جرح كبير، وقد بلغوا الشرطة ولكن لم يصلوا إلى الفاعل لعدم وجود دليل أو شاهد.

*لم يستطع قلب سعدة في أن يتحمل خبر وفاة أبنها الوحيد، بالرغم انه قصر في حقها في الفترة الأخيرة ولكن تظل الأم تحب ابنها مهما قصر في حقها.

شريط حياتها يمر أمامها سريعًا تتذكر زوجها وأبنها أمجد وحفيدها أمجد وأبنها مصطفى كلهم رحلوا وتركوها، فجأة شعرت وهي ترفع رأسها للسماء وهي تبكي شعرت وأن نظرها قد ارتد إليها ورأت زوجها وأمجد وحفيدها يأشرون لها بالقدوم معهم وتعلوا معهم إلى السماء.

نظرت بدر إليها ففهمت بدر ما يجري وما ترى سعدة، لقد اطمأنت بدر أن نهايتها مع من كانوا صالحين في حياتهم أي أن الله تقبل منها توبتها وحجتها وها قد حان الوقت لموتها وتنتهي حياتها في الدنيا وأن تبدأ حياة أخرى مع الغاليين، بالرغم ان مصطفى ليس معهم ولكنها ستكون مع الأغلى منه.

*ها هي سعدة تسقط مغشي عليها معلنةً تركها الدنيا، ها هن النسوة من حولها بعد أن كانوا هنا كي يباركن لها بقدومها من الحج، ها هن بدأن في الصياح والنواح على موتها.

*حزنت بدر على فراقها ولكن بدر كان بالها مشغول على ابنها، هرعت الى أهلها لكي تقول لهم خبر وفاة حماتها سعدة وفي نفس الوقت تطمئن على أبنها وتدعوا الله أن تكون نبوءتها خاطئة وأن تجد أبنها في بيت خالتها منيرة.

ولكن أول ما دخلت البيت كانت مختلطة المشاعر، تبكي على فراق حماتها التي صارت مقربة إليها في السنوات الأخيرة، وفي نفس الوقت عيونها تتحرك يمينًا ويسارًا تبحث عن أبنها تريد أن تلمحه في أي مكان من أرجاء البيت...

فزعوا أهلها عندما رأوها في تلك الحالة وأخذوها من يدها وطلبوا منها أن تجلس وأن ترتاح قليلًا...

ولكن بمجرد أن تمكنت من التقاط أنفاسها، أردفت وهي تجهش بالبكاء:

-أن حماتي سعدة قد ماتت منذ لحظات...

-كيف حدث ذلك نحن كنا في استعداد أن نذهب إليكن الآن، متى حدث ذلك...؟

*لم ترد بدر على كلامهم، وأخذت تسألهم وهي تمسح دموعها وقالت في نظرة كلها حزم وقلق في آن واحد:

-أين خليل...؟

لم يرد عليها أحد... بل أخذوا يطأطئون رؤوسهم أرضًا...

كانت بدر تعرف ما سيحدث، وردة فعلهم تلك أكدت لها ظنونها...

*صرخت بهم متحسرة، ألم يكفيكم ما فعلتموه بي، حتى ابني آخر ما لدي في هذه الحياة قد تركتموه يرحل، ماذا ان لم أقل لكم أنه أمانه عندكم، للدرجة سهل لديكم أن تخونوا الامانة...!

لا أريد أن أعرفكم أبدًا، أنتم لستم أهِلًا أن تكونوا أهل..

الله ابتلاني بكم... ولن أصبر على ذلك الابتلاء بعد الان...

*لم يستطيعوا أهلها ان يتفوهوا بكلمة أو أن يدافعوا عن أنفسهم، ولكن كان في داخلهم كلام أنهم لم يقصدوا أن لا يصونوا خليل وأن يحافظوا على تلك الامانة، أنهم يقولون انه هرب منهم عندما كانوا نيامًا.

ولكن بدر لم تدع لهم فرصة لأن تسمع لهم...

همت خارجة من البيت وهي تبكي لأنها تعلم جيدًا أنها قد حرمت من أبنها إلى الأبد... الله حذرها ولكنها لم تفهم التحذير...

الله أرسل إليها اختبار... أنتِ تحتاجين إلى المال من أجل ابنك... أمامك طريقين... طريق المال الحلال القليل ولكن به مرضاتي... وطريق آخر ألا وهو المال الحرام الكثير المدرار ولكن نهاية الحصول عليه سخطي وغضبي...

*بدر تعلم أن الحلال بين والحرام بين ولكن حاولت أن ترضي شيطانها بأن تكذب على نفسها بأن ما تفعله حلالًا وهي تعلم جيدًا من صميم قلبها أن ذلك حرام ولكن شيطان نفسها قد زين لها الحرام.

*الله لا يعاقب الإنسان بمجرد إقدامه على الشيء المحرم أو الخطأ ولكن الله يعطي الكثير من الفرص لكي يكف عن ذلك الخطأ...

وكأن الله قد أعطاها التحذير أنك إذا استمريتِ في هذا الطريق سوف تكون النهاية مؤلمة...

ولكنها فكرت أنه لن يحدث ذلك، هي لم تفهم أن ذلك التحذير لم يكن به حل أخر ولكنها حاولت أن تكذب على نفسها وتقرر في حل أخر لكي تمنع قضاء ولكن هيهات هيهات لا يوجد قوة تمنع أمر قد كتبه الله لنا...

وكأن الله يقول لها... لقد عصيتني وتجرأتِ على أوامري من أجل ان تؤمني حياة جيدة لأبنك... وها أنا من أعطيتك أي أبنها وها أنا من أسلبه منك...

*ان الناس لا تفهم أن الحكمة في رضى الله وكفى...

أي شيء يتم وليس الله راضٍ عنه نهايته هباء...



*بدر تمشي في الشارع وهي تبكي ولا تدري بالناس الذين حولها إلى أن وصلت البيت ووجدت الناس قد هموا مسرعين بالقيام بكافة الاجراءات اللازمة لتغسيل سعدة، في ذلك الوقت شرعت بدر في فتح حقيبتها وأضافت إليها الباقي من ملابسها والمال التي كانت تخبئه وقررت أن تسافر في الغد بعد أن تنتهي اليوم من موضوع الدفن والعزاء...

و لكنها لا تدري إلى أين ستذهب...؟

ها هي وهي تأخذ ملابسها من الخزانة فيسقط الكارت الخاص بكرم وأحمد، رجال الأعمال اللذان كانا يأتيان إليها لكي تبشرهما بما سيحدث...

*هكذا بدر علمت وجهة سفرها ستسافر الى الاسكندرية في الصباح الباكر، وكانت لديها أمل أن يمكن أن تجد أبنها هنالك حيث ان الاسكندرية قريبة من البحيرة...

*قامت بدر بكافة المراسم دفن وعزاء حماتها، ولكن بالنسبة إلى أهلها الذين كانوا معها في العزاء ولا كأنها تراهم...

لقد قوت بدر، واشتدت، لم تعد مثل ما كانت سابقًا... لقد قواها شيطانها... وبعدت عن ربها ....وأهلها...



الفصل العاشر

بداية جديدة

*في الصباح أخذت بدر حقيبتها، وهمت بركوب سيارة أجرة إلى الاسكندرية، أرادت أن تخرج من القرية وأن ترمي ورائها كل السنين التي عاشتها بها وأن تنسى ما مرت به بها...

*طلبت من سائق سيارة الأجرة أن يقلها إلى أحدى الفنادق في الإسكندرية، نزلت في فندق ثلاث نجوم وحجزت غرفة وبمجرد وصولها غرفتها شرعت بأخذ الهاتف وطلبت الرقم المكتوب على الكارت.

وبالفعل لقد سمعت صوت... ولكن كان صوت أحمد... أخذت تحكي له أنها لا تريد العيش في القرية من الآن وصاعدًا وأنها تحتاج شقة... وإذا كان يستطيع أن يوفر لها شقة للإيجار...

قال لها على الفور: أعتبرِ أن الشقة أصبحت لكي... ولكن قولي عنوانك كي نقابلك أنا وكرم وبالمرة ننقل أمتعتك إلى الشقة الجديدة.

★★★

*في المساء جاء إليها كل من كرم وأحمد، صعدا إليها ومن ثم حمل عنها أحمد حقيبتها ونزلت معهم إلى السيارة، كان كرم ينظر اليها باستغراب، فعلمت ما يدور في خلده... وأردفت:

-أعلم ما يدور في بالك يا أستاذ كرم... أريد فقد أن أرتاح الليلة وسوف أنزل غدًا أشتري بعض الملابس الجديدة التي تناسب المدينة...

أنت تعلم جيدًا أني كنت أعيش في المدينة في يوم من الأيام وأعلم ما هو مناسب للعيش ها هنا... بينما تلك العباءة لكي أتأقلم في القرية لا أكثر و لا أقل...

*حك كرم رأسه وأردف وهو يحك أنفه:

-ولكني لم أقصد شيئًا، أنتِ جميلة في كل حالاتك... وفي هذه تعلمي اني صادق بها...

-وأنت تعلم اني أعلم أكثر منك بما يدور في خلدك...

★★★

*وصلوا إلى الشقة وقد أعجبت بدر كثيرًا بالشقة وسألتهما عن مقدار تكلفة إيجار تلك الشقة الفخمة، ولكن أحمد أردف:

-على أساس يخفى عليكِ أي شيء...!

*ضحكت بدر وأردفت وهي تجلس على الأريكة وتضع ساق على ساق:

-أعلم كل شيء، ولكن أحب أن أسمع منكما... لا أريدكما أن تخافا مني، تعاملا معي وكأني لا أعلم شيئًا...

*جلس كرم على الكرسي المواجهة لبدر وأردف بنبرة جادة:

-لن تدفعي شيئًا مقابل وجودك في تلك الشقة.

-ولكن ما مقابل ذلك...؟

-أنتِ تعلمي جيدًا ما المقابل...!

-أحب أن أسمع...؟

-سوف ندير لكِ عملك ها هنا... سوف نذيع صيتك... نحن نعلم أنك معروفة ها هنا... ولكن سوف نخبر الناس عنك... وعن مكانك الجديد، بالإضافة إلى المزيد والمزيد من الناس من خلالنا...

-وما هي شروطكما...؟

-بالرغم انكِ تعلمين... ولكن سوف أرضيكِ وأقول لك...

لن تدفعي إيجار تلك الشقة وكافة احتياجاتك سوف أوفرها لكِ ولكن بشرط أن يكون لي أنا وأحمد النصف من المال التي سوف تحصلي عليه...

*نظرت له بدر بغرور وهي تبتسم ابتسامة استحقار لمن أمامها:

-إذا كان المال يهمكما، فأنه لا يهمني كثيرًا.

*لم يهتم أحمد باستحقارها لهما وأردف:

-حسنًا، اتفقنا... نستأذنكِ كي ترتاحين...



*في الصباح بعدما تناولت بدر افطارها سمعت الهاتف يرن، هرعت لكي ترد:

-الو، من معي...!

-ألا تعلمين من أنا...؟

-لا بل أعلم جيدًا أنت كرم، لقد عرفت ذلك بالأمس أنك في هذه اللحظة سوف تتصل بي.

-إذًا أنتِ تعلمين لمَ أتصل بكِ؟

-نعم ، سوف أكون على استعداد على الساعة الواحدة...

-هههه، أنتِ تعلمي كل شيء حقًا... حسنًا سوف أكون أسفل العمارة في انتظارك على الموعد.

خرجت بدر مع كرم الذي كان ينظر إليها نظرة كانت تعرف ما ورائها...

أشترت بدر الكثير من الملابس الجديدة، طبعًا أغلبها فساتين، لم يعد هناك داعٍ لملابس طويلة ولا لحجاب، فهذا أصبح غير ملائم لها الآن...

*في المساء جاء إليها أحمد وكرم ومعهم اثنين لكي تتنبأ لهم بدر، ولكن الرجلان استغربا كثيرًا من شكل الشقة الراقي وأن لا يوجد سبح أو بخور أو أي شكل من أشكال ديكور المشعوذين، والذي دهشهما أكثر أنهما وجدا شابة جميلة بملابس أنيقة تجلس في غرفة الصالون...

قد ظنا لوهلة أن كرم وأحمد يسخران منهما أو أن هذا مقلب ما، ولكنهما أقسما أنهما لا يسخران منهما وأن الأمر جد جدًّا.

وأردف أحمد لهما:

-صدقاني أنها تعرف عنكما ما فات من حياتكما وما هو آتٍ لكما وما يدور في خلدكما حالًا...

*ومن ثم اردف كرم لأحدهما:

-هيا أدخل أنت وجرب بنفسك، ولكن المهم أن تسأل عن أمر ما وسوف تجيبك عنه سواء ماضٍ أو حاضر أو مستقبل...

*دخل الرجل إلى بدر الجميلة الذي قد ذهل بجمالها، وأردف في قرارة نفسه:

-كيف لهذه المرأة التي تنير مثل القمر أن تكون عرافة...

فردت عليه بدر بصوتٍ عالٍ على ما دار في خلده:

-لذلك أهلي قاموا بتسميتي بدر، لأني أشع نورًا ووجهي مثل البدر...

-كيف علمتِ ذلك...؟

-ههِه، أيوجد أحد قال لك اني مهندسة...؟ اني عرافة لذا أحذر لما يدور في خلدك لأنه مكشوف أمامي...

*ظن الرجل أن ما حدث كان محض صدفة وأن عيناه كشفته انه معجب بها...

-لا ليست صدفة، هيا ماذا تريد أن تعرف بالضبط في حياتك...

خرج الرجل مندهش لما قالته له بدر، كان يظن في البداية بأنها سوف تتكلم بناءً على بعض المعلومات من أحمد وكرم عنه، ولكن هي أخبرته عن نفسه، أمور لا يعلم عنها أحد سواه، بالإضافة إلى انها نبأته بعدة تنبؤات، وكل تنبؤ بمبلغ أكيد.

*بعد التجربة تلك تحمس الرجل الآخر لكي يقابل بدر العرافة...

ومن ثم صاروا الناس تكثر أكثر وأكثر والمال كثر كثيرًا مع بدر وأحمد وكرم...

مما جعل استثماراتهما أكثر وأكثر وذلك بفضل تنبؤاتها والمال الذي يأتي من ورائها...

تمر السنين وبدر تحاول أن تبحث عن أبنها ولكن دون جدوى، يعدها كرم بأن يجده ولكنها تعلم بأنه كاذب، وأنه يفعل كل ما بوسعه كي يحصل على فائدة منها وكفى.



*في عام ١٩٧٦ في شهر فبراير قال أحمد لصديقه كرم:

-لِمَ لا تتزوج من بدر ونزيد من استثماراتنا في الخارج بدلًا من داخل مصر وكفى...؟

-ولمَ لا تتزوجها أنت...؟

-أتمنى أن أتزوجها ولكنك تعلم أنا متزوج ولدي أولاد بينما أنت حر طليق لا يقيدك شيئًا... انها فرصة لنا... حاول أن تستغلها... وأنت ما زلت شابًا٣٧ عامًا أستغل هذه الفترة بالزواج من امرأة جميلة مثل بدر وهي ٣٢ عامًا أي ليست كبيرة مازالت في ريعان شبابها.

*لذا قرر كرم أن يعرض الزواج من بدر.

كانت بدر تعلم جيدًا أنه سيفعل ذلك، ليس من أجل جمال عيون بدر الجميلة حقًا...

ولكنه يعلم جيدًا أن بدر رفضت كثيرًا أن تسافر معه بدون وجود أي صفة رسمية بينهما...

لذا عرض عليها الزواج لكي يبدأ استثماراته في الخارج.

بدر تعلم أنه يستغلها، ولكنها أصبحت راضية بالسعادة المؤقتة معه، وتعلم أن هناك أمر ما سوف يحدث ولكن سوف تتجنبه في المستقبل..

*تزوجت بدر من كرم وعاشت معه حياة سعيدة بمعنى الكلمة لم تحرم من شيء قط، وها هو يأخذها شخصيًا إلى الأماكن الذي يريد أن يستثمر بها وتقابل رجال الاعمال معه وتنصحه بكافة التفاصيل...

*ها هي السنين تمر ولم تنسى قد أبنها خليل بالرغم من تعايشها في الحياة بكل الطرق...

تتمنى أن تأتي لحظة واحدة تلمح بها خليل... ولكن لن ينفعها التمني..

*في عام ١٩٨٠ في أخر شهر مايو لقد حملت بدر من كرم، وقررت بدر بأن تسمي مولودها خليل لأنها أيست من رجوع أبنها إليها...

*في يوم سألت بدر زوجها كرم عن رجل أعمال في القاهرة إذا كان يعرفه أم لا...!

-أتعلم شيئًا عن رجل أعمال اسمه كامل رفعت... لديه شركات كبرى في القاهرة.

-وما هو مجال أعماله...؟

-تقريبًا في الاستثمار العقاري.

-حسنًا، سوف أسأل عنه...

بعد يومين أخبرها بأنه عرف أخبار عن رجل اعمال اسمه كامل رفعت ولكن لديه مصنع للحديد والصلب تقريبًا...

-أيمكنك أن تريني صورته...؟

رأت بدر الصورة... لم يتغير كثيرًا بعد مرور ١٨عامًا، أي نعم لقد ترك الزمان أثره على وجهه ولكن ملامحه لزالت كما هي.

*قطع كرم شرودها وأردف:

-في ماذا سرحتي؟ أخبريني...؟

-لا، ولكن في استثمار جيد جدًّا، سيعود علينا بربح كبير..

-وما هو...؟

-سوف نشتري ذلك المصنع.

-أترين أن هذا في مصلحتنا...؟!

-أفي مرة نصحتك بشيء وكنت مخطئة...!

★★★

*في شهر مايو ١٩٨٠ قررا بدر وكرم السفر إلى القاهرة لكي يعرفا أكثر عن كامل وممتلكاته.

لم يكن كامل يملك شيئًا سوى الفيلا والمصنع وكفى.

حتى انه لم يتزوج قد...

بل ظل أعذب كل تلك السنين، حتى أمه وأبيه العاجز لقد أرسلهما إلى دار مسنين من عشر سنوات.

يعيش بمفرده في الفيلا مع الخدم ويضيع ماله على ملذاته...

حتى ان شركات أبيه قد خسر الاستثمارات التي بها، لذا قرر افتتاح مصنع للحديد والصلب وأن يديره صديقه الحميم ياسر وغيَّر مجال أبيه...

*لقد عرفت بدر كل التفاصيل عن كامل لذا طلبت من زوجها أن يشتري الفيلا والمصنع كذلك...

وعندما سألها عن السبب أجابته وهي تبتسم ابتسامة تشفٍي:

-ان ذلك لمصلحتنا يا عزيزي...

★★★

*تمكن كرم من تحديد موعد مع كامل ومدير أعماله ياسر لكي يتفقوا سويًا على شروط البيع والشراء...

وبالفعل قرر ياسر وأوضح لكامل أن بيع الفيلا لمصلحته بما انه لا يحتاج إليها كثيرًا، حيث أن كرم عرض مبلغ كبير مقابل الفيلا لا يمكن رفضه أنها فرصة وعليه استغلالها.

بينما فكرة بيع المصنع لم يوافق ياسر عليها لأن الأمر لن يكون مربحًا بالنسبة لهم.

*عاد كرم إلى بدر وسألها: "لمَ لم تأتي معي...؟"

-لقد كنت متعبة قليلًا... وأردت أن أرتاح...

ولكن الحقيقة أن بدر لم ترغب قط أن تظهر أمام كامل فيلغي كل شيء بسبب عناده لها...

*اخبرها كرم بما حدث وقال لها:

-ماذا أفعل الآن وصفقة المصنع لم تفلح...

-المهم الآن أن الفيلا لنا...

-نعم بعد يومين بالتمام سوف تكون لنا...

-أريد أن أذهب معك إلى الفيلا في اليوم الذي سوف يخرج منها كامل.

-ولمَ...؟

-أريد أن أكون في الفيلا في نفس ذات اللحظة التي سوف يخرج فيها كامل... هذا كل ما في الأمر... إن الفيلا قد أعجبتني بشدة وأريد أن أعيش به لفترة إلى أن ننهي أمر المصنع...

*لم تخبره بدر قط أن كل ما تفعله هو انتقام من كامل، وأنها تريد ان تخرجه من الفيلا كما طردوها هم في السابق.

★★★

*مر اليومين وها هي بدر تتزين وترتدي أرقى ما لديها وتتحلى بحليها ومن ثم عندما خرج كامل من الفيلا أزالت نظارات الشمس التي ترتديها كاشفة عن عينيها له، لأن عينيها أكثر ما يميزها وأردفت:

-ها قد جاء اليوم الذي أخرجك من هنا كما أخرجتموني وطردتموني لفقري، ها أنا ذا أخرجك بمالي...

*أندهش كامل منها، وأستغرب كثيرًا وتسأل في قرارة نفسه:

-استحالة تكون هذه بدر، كيف أصبحت هكذا...؟!

*قاطعت بدر شروده وأردفت:

-ومن قال لك أن الحال يدوم لأحد، اليوم غني غدًا تصبح فقير، واليوم فقير وغدًا تصبح غني، أنها الدنيا يا كامل بيك...

ومن ثم ضحكت منه بسخرية وأردفت:

-هيا أسرع أخرج من بيتي...

ومن ثم دلفت داخل البيت ومن ثم سألها زوجها بدهشة:

-أتعرفينه يا بدر...؟!

-انها قصة قديمة... لا داعي لذكرها.

-حسنًا، وماذا بشأن المصنع...؟

-سأقول لك، ولكن دعني أرتاح قليلًا.

*بدأت بدر في التجول في الفيلا التي لم يتغير معالمها كثيرًا، أخذت تتذكر ما مرت به في كل ركن من أركانها، تتذكر طفولتها ومراهقتها وبداية شبابها، وتذكرت لحظاتها مع فؤاد، والدموع بدأت تنهمر من عيونها، ومن ثم أقسمت أن تنتقم من كامل، لأن أسرة فؤاد إذا تقبلوها في البداية لما كان حدث كل ذلك.

★★★

*في اليوم التالي عندما كانت بدر تحتسي الشاي مع زوجها كرم في الحديقة فاتحته في موضوع، وقالت:

-أريدك أن تقوم بشيء من أجلي... وسوف أعطيك في المقابل ما تريد.

*كانت بدر تعرف أن كرم مادي للغاية وأن هدفه الوحيد في الحياة هو المال وكفى.

*لم يرفض كرم فكرة المال بل انه أستغل الامر، وأردف:

-وما هو ذلك الشيء الذي تريديني أن أقوم به لك...؟

-أريدك أن تفجر المصنع الخاص بكامل...

-ولكن ذلك ليس بأمر هين أن أقوم به.

-أعلم ذلك، ولكني أعلم جيدًا انك سوف تتمكن من القيام بذلك...

-وما هي الفائدة التي سوف تعود علي...؟

-سوف أعطيك كل ما تريد.

-اكتبي لي شيك بكافة المبلغ الذي في حسابك.

-خذ ما تشاء لا يهمني المال... ولكن الذي يهمني أن يتم ذلك الأمر عاجلًا.

*انفرجت اسارير كرم بهذه الصفقة، فسوف يحصل على كل المال الذي جمعته خلال الثمان سنوات السابقة.

*وبالفعل تمكن كرم من أن يرشى كافة رجال الأمن الذين كانوا بلا شرف وبلا ضمير وتمكن من الاتفاق معهم بوضع قنبلة في أكثر من مكان في المصنع، أي كي يلحق الضرر الكامل للمصنع كافة، وطمئنهم بأنهم يجب عليهم أن يتركوا المكان لحظة الانفجار، وفي اليوم التالي في لحظة الاستجواب يقولون: "ان من عادتكم أن تخرجوا وقت صلاة الفجر للقيام بالصلاة، لكي يستبعدوا الشبهة عنكم وأن تكون بفعل فاعل آخر يدري عدم وجودكم في ذلك المكان فنفذ فعلته تلك".

سيكون عليكم مجرد لوم لتقصيركم في عملكم لأن ليس من حقكم جميعًا أن تخرجوا وتتركوا المكان حتى وإن كان للصلاة.

أعطى كل منهم مبلغ وقدره من المال جعلهم ينسوا المبادئ والأخلاق والحلال والحرام.

كيف يرون الحق وقد أغمى عيونهم بالمال وإنه لفتنة عظيمة لا يصمد أمامها إلا ذا الإيمان الصادق.



*في شهر يوليو قررا كل من كرم و بدر بتنفيذ الاتفاق، وتم تفجير مصنع كامل تمامًا، وها هو كامل لقد فقد كل ما لديه، حتى المال الذي كان معه من بيع الشقة أو سواء من عمله لقد كان موكل صديقه ياسر عن كل شيء، الذي عندما علم بتفجير المصنع أي ان لا يوجد هناك مصلحة سوف تأتي من كامل ثانيةً لذا سحب المال كله لصالحه بدلًا من أن يقف بجوار صديقه في وقت شدته.

*لقد أخذ كامل جزائه الذي هان عليه كل من حوله من أجل المال، ها هو لا يملك شيئًا الآن حتى الشقة التي بها لقد تصرف بها ياسر وكتبها باسمه وأرسل قرار من المحكمة بأن يجب ان يتركها فورًا.

ها هو كامل الذي جعل أمه تطرد أخوه من البيت بسبب طمعه في أن يكون الوريث الوحيد لأسرته.

ها هو كامل الذي طرد زوجة أخيه وابنها خوفًا منه أن يشاركاه فيما يمتلك، بدلًا من أن يأويهما.

ها هو كامل الذي لم يستطع أن يتحمل أبوه وأمه أن يظلا معه في مكان واحد وأرسلهما إلى دار مسنين.

ها هو الآن يمشي في الشوارع لا يدري إلى أين هو ذاهب...

ومن شدة الصدمة التي مر بها... لقد فقد عقله وأخذ يكلم نفسه وينام في الشارع بعدما كان ينام في أرقى الأماكن ويأكل أحسن الطعام ها هو يأكل من القمامة.

فسبحانه يمهل ولا يهمل.

من يريد أن يظلم فليظلم ولكن لا تأمن لمكر الله.

يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين...

فسبحانه القوي المنتقم....

*أعود إليكم لأحداث الانفجار، مع بداية الفجر كانت المطافئ وسيارات الاسعاف والشرطة قد حضروا إلى المكان...

أخذت الشرطة في أن تحقق مع رجلين الأمن حيث أن اثنين منهما لم يستطيعا أن يتحملا فكرة أن الشرطة قادمة فاتفقا أن يقولا أنهما لم يكملا ورديتهم الليلة وذهبا لكي يرتاحا في البيت لأنهما متعبان.

أوضحا لهم بأن الشرطة سوف تصل اليهما لكي يقوموا بالاستجواب معهما... ولكن لقد تملكهما الرعب من منظر الانفجار ولم يتمالكان انفسهما قط...

*سألوهم الشرطة أين كنتما اثناء الانفجار:

ردوا سويًا في وقت واحد، ذهبنا إلى الصلاة...

-صلاة ماذا...! وأقرب مسجد من هذا المكان يحتاج إلى أكثر من ثلث ساعة مشيًا، وهذا الأمر يتناقض مع عملكم.

-ولكن نحن قد اعتدنا على فعل ذلك، كنا نظن أن المكان هنا أمان وكنا نستغل هذا الوقت لكي نحرك أقدامنا قليلًا بعد جلوسنا طوال الليل لا نفعل شيئًا...

*وجدت الشرطة في المصنع أربع جثث، جثة رجل كبير وثلاث شباب، طلبت الشرطة من رجال الأمن أن يتعرفوا على أسماء أصحاب الجثث:

-الرجل الكبير اسمه الاستاذ ابراهيم فرج وهو يعمل في ادارة المصنع ولكن المدير الأستاذ ياسر قد وفر له غرفة كبيرة للعيش بها هنا وذلك بسبب بُعد شقته عن مكان العمل.

بينما الشابان الاخران هما أحمد ومحمد وهما اخوان مهندسان ولكنهما من الصعيد لذا لهما غرفة أيضًا وذلك لأهميتهم في المصنع.

بينما ذلك الشاب الصغير لا يعمل هنا بل قد جاء قبيل المغرب إلى هنا لكي يزور الاستاذ إبراهيم ويمكث معه للصباح ومن ثم يعود من حيث أتى...

*لقد أخذ رجال الشرطة رجلان الأمن ومن ثم طلبوا الاثنين الاخران للتحقيق، ولكن لم يصلوا إلا لواحد فقط وقد كان الثاني قد فر هاربًا ولم يعرف أحد له أثر.

*بدأت الشرطة في التحقيق معهم، ولكن كان أحدهم لم يتمالك نفسه قط وكان متوتر جدًّا مما جعل الشرطة تشك بهم أكثر وأكثر، وأخذوا يعذبوهم لكي يعترفوا بالحقيقة، وبالفعل لم يتحمل أضعفهم كل ذلك العذاب لذا قرر أن يعترف بفعل تلك الجريمة الشنعاء، وأعترف على أصدقائه بالرغم أن أصدقائه انكروا ذلك، ولكن في النهاية اعترفوا جميعًا بأنهم من فعلوا ذلك...

ولكن عندما سألهم رجل الشرطة من طلب منكم ذلك؟

*قالوا: "انه رجل لا ندري عن اسمه شيئًا ولا نعرف ملامحه حتى لأنه كان يرتدي قناعًا لم نرى وجهه... وأخذنا منه المال وأتفق معنا على كافة التفاصيل على أكثر من يوم كان يقابلنا نهارًا قبل بدء دوامنا..."

*لذا تم حبسهم وأخذوا جزائهم.

*في صباح اليوم الذي حدث به الانفجار تداولت الجرائد الخبر سريعًا منذ الفجر وكان كل شيء جاهز على الطبعة صباحًا، ها هي بدر تقرأ الخبر في الجريدة وهي تشعر بتشفي عندما رأت صورة المصنع بعدما صار مجرد كومة من الاطلال، وها هي تقرأ العنوان (انفجار مصنع الحديد والصلب) ومن ثم شرعت في قراءة الموضوع أربع رجال أمن وراء انفجار مصنع الحديد والصلب، تم القبض على ثلاثة والرابع مازال حرًا طليقًا ولكن جاري البحث عنه، ومن ثم أخذت تقرأ أن هناك أربعة ماتوا...

لقد وجعها قلبها لأنها علمت أن أربعة ماتوا بسببها، ومن ثم أخذت تقرأ الاسماء:-

إبراهيم فرج عبدالحفيظ ٥٨ عامًا.

أحمد غريب السيد ٣٥ عامًا

محمد غريب السيد٣٣ عامًا

.....................١٨ عامًا

كان الرابع صدمة لها...



*نرجع قليلًا إلى الوراء إلى عام ١٩٧٢، لقد أعتاد خليل على العمل مع حامد ومع أستاذ إبراهيم الذي كان مثل أبيه، ومر الوقت ومع مرور السنين لقد تمكن خليل من عمله وترقى أكثر وأكثر إلى أن صار عمره ١٧ عامًا لقد كان أهلًا بأن يتعين في الادارة مع الأستاذ إبراهيم وذلك لذكائه ونباهته، ولكن بعد عام من عمله كمساعد للمدير لقد حصل الاستاذ ابراهيم على وظيفة عمل توفر له راتب أكثر بكثير مما يحصل عليه ها هنا، لذا قرر أن يترك تلك المكانة والوظيفة إلى خليل لأنه يستحقها و انما هو سوف يتعين في ذلك المصنع، ولكن تلك الفكرة لقد نغصت على خليل حياته، لم يستطع خليل أن يتركه الاستاذ إبراهيم بعد تلك السنين.

ولكن الاستاذ ابراهيم اوضح له بأنه سوف يحدد يوم عطلته لكي يأتي لزيارته، أو أن يأتي خليل لزيارته وهكذا.

لم يعتاد خليل على ذلك بسهولة ولكنه حاول أن يتحمل فراق الاستاذ إبراهيم لبضعة أيام ومن ثم يزوره ويعوض بتلك اللحظات التي هو معه كل اللحظات التي تمر من دونه.

*وكأنه يتجرع في تلك الساعات جرعات من الحب والابوة والاهتمام التي يحتاجها كي يمضي بقيه أيام الأسبوع في أفضل حال.

★★★

*بالرغم ان خليل كان شاب وسيم جدًّا وكان واجهة جيدة أحيانا لأنه يجذب الكثير من الفتيات ولكنه لم يكن يشغل باله بأي منهن، لأنه بسبب ما رآه في صغره قد كره جنس النساء كافةً إلا أمه بالطبع، لم يكن يجرأ لأن يعجب بأحدهن لأنه يراود فكره تلك النساء الرخيصات اللاتي كان يغازلهن مصطفى في الذهاب والمجيئ، بل ومن عقدته أكثر تلك المرأة التي بسببها جرى ما جرى وحُرم من أمه بسبب تلك الفعلة التي فعلها...

ولكن في عام ١٩٨٠ في شهر مارس لقد بدأت فتاة جميلة هادئة تأتي إلى ذلك المقهى الراقي مع صديقاتها من حين لأخر، من بينهن كلهن لقد خطفت سلوى قلبه بجمالها الهادئ الغير متكلف لقد سحرته بنظرتها البريئة من عينيها السوداوين وقوامها مثل الغزال وشعرها الكستنائي وضفيرتها الرقيقة، بل وأسرته بضحكتها الجميلة من شفتاها القرمزيتين الممتلئتين، لقد كانت سلوى أيقونة للجمال حتى لون بشرتها القمحية كان مميز عن الباقيات.

كلهن لديهن الجرأة في النظر الى خليل مباشرة بسبب جماله ..

بينما سلوى لم تكن تجرأ أن تصادف عينيها في عينيه، أي نعم كانت تختلس له النظر أحيانًا، ولكنها تتميز بالحياء الذي يمنعها من النظر إليه مباشرةً...

*كان خليل مترددًا بسبب الشعور الذي يكنه اتجاه سلوى وفي نفس الوقت يتراجع بسبب انه لا يمكنه ان يعطي الثقة أبدًا في جنس حواء.

تمر الشهور وهو لا يجرأ علي قول شيء أبدًا وفي شهر يوليو كان ذلك يوم الجمعة أي موعد زيارة الاستاذ ابراهيم له، ولكنه تأخر عن موعد الزيارة كثيرًا فقلق خليل لذا قرر أن يتصل ويطمأن عليه:

-أين أنت...؟ لمَ لم تأتي إليّ كما اتفقنا...؟ ان اليوم هو موعد زيارتك لي...!

-اعذرني يا بني... فأني متعب جدًّا لم أتمكن من القدوم اليك...

-لمَ لم تقل لي...؟ سوف أتي إليك على الفور.

*وصل خليل إلى المصنع قبيل المغرب ومن ثم أذن له رجال الأمن بالدخول.

*قضي خليل ليلة ممتعة مع الاستاذ إبراهيم وأخذ يحكي له الكثير من المواقف كي يهون عليه شعور التعب الذي يمر به.

كان خليل نعم الابن له الذي لم ينجبه، وكان إبراهيم نعم الأب لخليل حقًا.

*ومن ثم فاتح خليل الأستاذ إبراهيم في موضوع إعجابه بسلوى، وأردف:

-يوجد بنت أعجبت بها حقًا، أشعر أنها مختلفة عن بقية البنات، ولكن من ثم أرجع في كلامي وأقول اني سوف أظل مثلك بلا زواج أفضل.

-لا يا بني تزوج وعش حياتك أنت فتى وسيم تزوج وأسعد مع هذه الشابة وأفرح معها بأولادكما.

-لا أدري، ولكني أشعر ان أجلي قد أقترب.

-فأل الله ولا فألك يا خليل، ماذا تقول...؟ ما زلت صغيرًا يا بني... إذا كنت تقول أنت ذلك... فماذا أقول أنا وقد أشتعل رأسي شيبًا.

-أتدري لو حدث لك شيئًا أنا لن أستطيع أن أعيش من دونك لحظة، أتمنى أن يكون يومي قبل يومك يا أبي وكل ما لدي، أو نموت سويًا.

-آه منك يا خليل ومن إحساسك ذا الذي لا يخيب أبدًا، أتمنى أن لا يكون إحساسك صحيح وأن يطيل في عمرك يا بني.

-تعلم جيدًا ان عيد ميلادي الليلة ٧-٧ لا يمكن أن يمر من دون أن أحتفل به معك...

لذا سوف ننتظر منتصف الليل سويًا ونأكل الكعك ونطفئ الشمعة ونتمنى أمنية.

*على الساعة الثانية عشر منتصف الليل غنا سويًا وقاما بإطفاء الشمعة ومن ثم شرعا بقول أمنية:

تمنى خليل بصوت عالٍ:

-أتمنى أن تكون معي يا أبي إبراهيم إلى آخر يوم في حياتي.

*وتمنى إبراهيم وقد أقشعر بدنه بسبب شدة حب خليل له:

-أتمنى أن أراك سعيد في حياتك وأن تحقق كل أهدافك يا بني.

ومن ثم أكلا وشربا وناما نوم عميق بعد تلك الليلة.

على صوت أذان الفجر استيقظ الاستاذ ابراهيم كعادته للصلاة وأيقظ خليل للصلاة معه...

ومن ثم وهم سجود لله عز وجل تم الانفجار في لمحة عين...

لم يتألما، لم يعانا، بل ان الله قبض روحهما وهما قريبان منه وهما سجود إليه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، من كان يفعل الخير للغير دائمًا كيف تكون نهايته...!

تكون نهايته أحسن النهايات ويكتب له حسن الختام.

*رحلا خليل وإبراهيم من الدنيا إلى مكان أفضل بكثير إلى مكان مملوء بأناس تشبهما، أناس ذو قلوب بيضاء صافية تحب الخير وتفعل فقط ما يرضي الله في كل خطوة في حياتهم.

حتى إن رجال الشرطة قد اندهشوا لمشهد جثتهما الساجدة، حتى أن الصحافة قد التقطت صور لهما في وضعهما ذلك...

كانت موتة خليل وإبراهيم ليس كأي موتة، هي أي نعم في الظاهر تبدوا كارثة انفجار مرة واحدة... ولكن جثثهما كما هي لم تتحول إلى أشلاء قد، بل وأن الله كتب تلك الموتة وهما ساجدان إليه أي أكثر موتة يتمناها العبد أن يموت وهو يعبد الله.

وليس ذلك فقط بل بسبب صلاح حال خليل وإبراهيم قد اشاء الله أن يترحم عليهم الملايين من يقرئون أو يسمعون الخبر.

فسبحانه مدبر الأمور.

سبحانه الفعال لما يشاء.

★★★

*نرجع إلى بدر من جديد في صباح يوم ٧-٧ وهي تقرأ الجريدة وعندما وصلت إلى الاسم الرابع...

خليل فؤاد رفعت ١٨ عامًا.

لما تصدق نفسها، لم تصدق عينيها التي رأت الاسم، لم تصدق لسانها التي نطق به، لم تصدق شفاهها التي تفوهت به.

بدأت الدنيا تظلم من حولها، تسمع صوت صفير في أذنها، لا ترى شيئًا ولا تسمع، ها هي قد اختل توازنها، قد خانتها قدماها ومن ثم خرت مغشي عليها لا تدري بشيء ولا تدري ما جرى لها.

*بعد لحظات قد أفاقت من إغمائها، وهي تهمس وتقول:

-خليل... أريد أن أذهب إلى خليل... خذني إليه.

*أردف كرم وسألها:

-أعلمتِ أين هو؟

-انه مات من ضمن الذين كتب نعيهم اليوم في الانفجار... أنا قتلت ابني...

*واجهشت بالبكاء وتصرخ بطريقة هستيريا وتقول:

-خليل.... سامحني يا خليل... أنا السبب في كل شيء... هذا جزائي.

ومن ثم أخذها كرم وهي بحالتها تلك التي لا تهدأ بل تزيد أكثر إلى المشرحة.

وأخرجوا لها أبنها من ثلاجة الموتى...

همت لكي تضمه... وقالت وهي تبكي بحرقة:

-آه، أخيرًا يا بني لقد رأيتك، رأيتك قبل أن أعتذر منك أطلب منك أن تسامحني، أنا السبب فيما جرى لك...

سامحني يا خليل إذا كنت تسمعني، سامحني يا خليلي ارجوووك.

*ومن ثم من كثرة البكاء تلك المرة اغشيّ عليها ولم تفق بعد لحظات، أخذت بعض الوقت واستيقظت ثاني يوم لأن الأطباء قد حقنوها بإبرة مهدئة لكي تقلل من حالتها الهستيريا...

*ولكن الأطباء قد أخبروا كرم بأنها قد فقدت الجنين لأنه مازال في الشهور الأولى لم تكمل ثلاثة شهور وقد أجهضت الجنين...

*عندما استجمعت بدر قواها واستعادت وعيها، قررت أن تخرج من المستشفى ولكن لم تستطع أن تمشي لم يعد لديها طاقة لأن تقف على رجلها بعد فقدها خليل ومن ثم قررت أن ينقلها كرم بكرسي متحرك من مكان لمكان...

ومن ثم اخذت بدر أبنها خليل وقامت بدفنه بجوار أبيه... وودعته إلى الحياة الآخرة.

ومن ثم رجعت إلى بيتها، استمرت اسبوعين تستخدم الكرسي المتحرك للتنقل من مكان لمكان، أقصى قواها تمكنها من أن تفتح عينيها وتستوعب ما حولها، بينما المشي لم تقدر عليه، حتى وعيها هي فاتحة عينيها ولكن عقلها ليس مع ما حولها بل يفكر في خليل ومن رحلوا.

بعد اسبوعين تمكنت من الوقوف على قدمها ولكن لا تتكلم مع أحد ممن حولِها.

*بعد شهر من موت خليل ظل الأمر كما هو عليه، لا تتكلم بدر وتكتفي بالإيماءات في التعامل مع كرم.

*ولكن بعد مرور شهرين لم يعد كرم يتحمل أكثر من ذلك، وقد فقد أعصابه وصرخ في بدر قائلًا:

-لا تريدي أن تعملي من جديد... الناس يريدون أن يعودوا من جديد لكي تتنبئي لهم وأنتِ لا تردين علي بأي شيء.

-لن اتنبأ لأحد...

-حسنًا، سوف نؤجل هذا الأمر لفترة، ولكن قولي لي ماذا أفعل أنا؟

-لا أدري...

-أجننتِ يا بدر... كيف لا تدري...؟ ومن يدري إذا..!

-اقسم لك اني لا أكذب عليك، لم أعد أرى شيء في عيون من حولي.

-كيف ذلك..!

-لقد رحل خليل ولم يأخذ معه بصري بل أخذ معه بصيرتي..

-وكيف هذا...؟ ما هذه الهرطقة...؟

-الله أخذ مني البصيرة كما اعطاها لي... ولكنه جعل خليل سبب في سلبها منها...

أنا استخدمتها في غير مرضاة الله لكي أؤمن لخليل حياة جيدة، وبالرغم من ذلك لقد فقدته، فبدلًا من أن أعرض عن ما أفعل وأرجع إلى الله تائبة عن ما فعلت، وأرجع أتوسل الى الله راجية منه أن يتقبل توبتي و أنه هو الوحيد القادر على أن يرجع لي ابني.

بل أنا لم أفعل ذلك، لقد أغواني شيطان نفسي وجعلني أغتر بقوتي وقدرتي وظننت أن هذه الهبة من نفسي لا من الله.

ذهبت و استعنت بالبشر لكي يعيدوا لي ابني ونسيت ربي الواحد القادر المقتدر على ذلك...

الله أخذ مني ما أعطاه لي، والحمد لله على كل حال.

-ما شاء الله يا شيخة بدر، وماذا سوف استفاد منكِ أنا...؟

-ثمان سنوات وكل مالك مني أنا، نجاحك بفضل تنبؤاتي، وكتبت لك كل مالي ماذا تريد أكثر من ذلك...؟

-لا كل هذا كان، أي ماضي، أي من التو واللحظة أنتِ لا تلزميني وسوف أطلقك، وهيا عودي من حيث أتيتِ.

-لا يوجد شيء يفرق معي بعد فقدي لخليل.

*وبالفعل خرج كرم مسرعًا وأحضر المأذون وتم الطلاق.

حمدت بدر ربها أنها لا يوجد طفل يربطها به.

ومن ثم حملت حقيبتها واستقلت سيارة أجرة إلى بيت أهلها في القرية، طرقت الباب... فتحت لها خالتها منيرة، ضمتها بشدة واجهشت بالبكاء، بعد فراق ثمان سنوات رجعت بدر إلى دارها من جديد.

وجدت أمها فوزية وأبوها عطا الله وزوج خالتها طلعت وأيضًا كان زين وزينه موجودان في البيت لزيارة اهلهما، وكل منهما بأولادهم...

أخذت بدر تضم الاطفال وتلمس في كل منهم ريح خليل... تتخيل أن كل منهم أبنها خليل...

*لقد ارتاحت بدر عندما رأت أسرتها مجتمعة وهذا أمر نادر الحدوث، لأن أخوها زين مسافر طوال السنة وإذا جاء زين لا تكن زينة موجودة.

ولكن هذه الصدفة قد أشاء القدر أن يجتمع الشمل مرة واحدة وهذا حسن من نفسيتها قليلًا.

*لقد علمت أسرتها بفقدها أبنها وموته في الانفجار ولكنها لم تذكر لهم ما مرت به خلال تلك السنوات.

*لقد كانت بدر تقضي أغلب يومها في الأرض الزراعية التي حول بيتها وتتمتع بالنظر لقدرة الله في خلقه وفي الكون، ولكن بعد سبعة شهور من وفاة خليل استجمعت قواها وقامت ببناء مكان لتحفيظ القرآن، وبالفعل بدأت في تحفيظ القرآن بدون أي مقابل ولو بأقل القليل...

فعلت ذلك راجية من الله أن يتقبل توبتها، وأن يغفر لها كل ما سبق من ذنوبها.

★الان أصبحوا أطفال القرية أبنائها، وهذا أكثر شعور هي تحتاجه، الأمومة.



الفصل الحادي عشر

الحقيقة

*في عام ١٩٦١ في شهر أكتوبر تدخل منيرة على بدر وجدتها تقف أمام المرآة وكانت تصرخ وتشعر بالهلع.

ضمت منيرة بدر وأخذت تهدأ من روعها وسألتها:

-ماذا بكِ يا بدر؟ ماذا حدث يا بنيتي...؟

-لا شيء لا شيء... لقد تخيل إلي أمر أفزعني لا أكثر ولا أقل.

-ألم أقل لكِ ممنوع أن ننظر إلى المرآة كثيرًا.

-اعذريني يا أمي... أخر مرة.

*بدأت بدر تلتقط أنفاسها وتتنفس الصعداء وتفكر فيما رأت...

نامت بدر وظلت تحملق في السقف وتردد في قرارة نفسها:

-يا اللهي، كل هذا سوف حدث لي في المستقبل...

يا اللهي، لن يسمع أحد نصائحي ولن يصدق أقرب الناس تنبؤاتي وسوف أفقدهم جميعًا، كل من أحببتهم سوف افقدهم، يا له من حظ عسير..

أريد أن أفكر كي أرد على فؤاد غدًا.

يجب أن أصدق ما رأيت وأن أنفذ ما قاله الله لي...

إذا كنت أنا أفهم تحذيرات الله لي يجب أن أنفذها، بدلاً من أن أحاول أن أقنع غيري بفعلها...

لن أكرر الأخطاء التي رأيتها أكيد... لا أريد أن أتعلق بشيء ومن ثم أفقده...

لا أريد أن أعصي الله بما أعطاني إياه... سوف أنجح في الاختبار هذه المرة.

خسارة واحدة أفضل من عدة خسائر متعددة.

★★★

*في صباح اليوم التالي، قابل فؤاد بدر وفاتحها ثانيةً في الموضوع ولكن في هذه المرة كان رد كالتالي:

-سامحني يا فؤاد، لا يمكنني أن أوافق على هذا الزواج...

-ولمَ لا...؟

-أنت لا تدري ما الذي رأيته في حالة موافقتي عليك.

-ان هذه التنبؤات أو الرؤى أي كان ما ترينه قد يكون صدفة أحيانًا.

-أعلم انك ستقول ذلك، لأنك قلت ذلك فصدقتك أنت وكذبت ما رأيت على أمل أن تنتبه لما حذرتك منه ولكن لم يتمكن أحد في الحياة التي رأيتها أن يأخذ بتحذيراتِ.

-لمَ لا...! ماذا سيحدث إن وافقتِ علي...؟

-حياتي ستكون أشبه بالجحيم مملؤة بالخيبات المتكررة.

-سأحاول أن أجعلك سعيدة وأن تكون حياتك جنة معي...

-بالعكس سوف تدهور حالتك في البداية بسبب رفض أهلك لي وسوف نعيش في مكان عادي لا يليق بقدرك... والأكثر من ذلك انك سوف تموت في اليوم الذي أنجب لك طفلًا... وغير ذلك الكثير صدقني...

-لا أحكي لي... أريد أن أفهم وجهة نظرك بالتفصيل...

*بدأت بدر في سرد ما رأت لفؤاد، لأن فؤاد لا يعني لها حبيب فقط بل انه أقرب صديق لها في آن واحد...

بعدما أكملت بدر الكلام صدم من كلام بدر ورفضها الشديد له الذي كسر قلبه، فقالت له موضحه:

-أتعلم قصة سيدنا موسي والخضر، الخضر كان رجل يقول البعض انه نبي والبعض يقول انه من أولياء الله الصالحين، على أي حال ان الله اعطاه ملكة انه يعلم الأحداث قبل وقوعها وهذا الشيء لم يتحمله موسي، وكان الخضر يردد له (لن تستطيع معي صبرًا) أعلم انه أمر صعب عليكم أنتم، ولكني أنا يجب أن أخذ بشارات الله وتحذيراته لي على محمل الجد وأنا لدي القدرة على تنفيذها، بينما يشق علي وأنه بالأمر الصعب العسير أن اقنعكم على تنفيذه انتم...

-ان كل ما ذكرته لي الآن مجرد بروفيتيا.

استغربت بدر ونظرت له باندهاش وقالت متعجبة:

-بروفيتيا...!

-نعم مجرد بروفيتيا يعني مجرد نبوءة قد تكون صحيحة أو خاطئة.

-صدقني يا فؤاد لا تحاول إقناعي هذه المرة، أن هذا قراري ولن أعدل عنه.

*حزن فؤاد بعد أن كسر فؤاده بالفعل لأن صراحة بدر قد صدمته، ومن ثم قالت له بدر:

-أعلم أن هذا القرار صعب علينا، ولكن لن أقبل بالحل الذي وافقت عليه فيما رأيت، صدقني خسارة بسيطة خير من خسارة كبيرة.

ماذا سنستفاد من العيش سويًا متزوجين لمدة عام وأخسرك وتتركني أنا وابنك في هذه الحياة القاسية المؤلمة، بينما يمكننا العيش طوال حياتنا في هذا البيت سويًا، ونظل الأقرب لبعضنا البعض...

وصدقني أريد أن أخبرك شيئًا سأكون معك ولك في يوم من الأيام ولكن بعد سنوات كثيرة، سأكون لك في سن لا يسمح لي بالإنجاب.

*انفعل فؤاد وصرخ قائلًا:

-وماذا سأفعل أنا كل هذه السنوات من دونك...؟

-سوف تفعل كل شيء، وتكون رجل أعمال ناجح وتتزوج وتنجب ولد وبنت...

*انفعل فؤاد وقام بترك المكان لبدر بعض أنا ضاقت به الدنيا، وأردف:

-سأفعل مثلك، لن افعل شيئًا ولن اقدم على شيء، ولن أنجح ولن أتزوج، لن أحقق لك نبوءتك يا بدر...

*بالفعل ظل فؤاد عامين لا يذهب إلى الجامعة، ولكن بعد العامين تغيرت أشياء كثيرة في حياة فؤاد...

طوال تلك الفترة كان يحاول والده رفعت أن يقنعه بالعمل معه وأن يكون هو المسؤول عن عمله بدلًا من كامل الذي لا يدير عمله على أكمل وجه.

ولكن فؤاد كان يرفض، ولكن بعد فترة قرر أن يخرج من قوقعته...

لأنه لم يستفاد شيئًا من عزلته.

كان يظن أن بذلك التصرف قد يستطيع أن يجبر بدر أن ترجع عن رأيها وتوافق أن تتزوجه... ولكن ظنه لم يكن صحيحًا.

بعد العامين لم يجد بداخله رغبه في أن يكمل دراسته للطب، بل كان بداخله قبول أن يعمل مع والده.

وبالفعل مر عام في العمل مع والده وأثبت جدارته ونبوغه في عمله وتميزه، وبسبب ذلك صار فؤاد هو المسؤول على العمل وسحب أي صالحية من كامل وذلك بعد موافقة أبيه، وأكتفى بأن يحدد له مرتب شهري وله الحق أن يتصرف به كما يشاء.

في عام ١٩٦٥ قرر رفعت بيك ان يزوج فؤاد بصفاء ابنة صديقه المقرب شاكر، طبعًا طوال تلك السنين كانت تحاول والدته ووالده أن يقنعوه أن يتزوج ولكنه كان رافض الفكرة تمامًا بسبب تعلق قلبه ببدر...

ولكن بعد ممارسته للعمل وفهمه فائدة الشراكات علم أن تلك الزيجة سوف تعود بالنفع الكثير على عائلته...

لذا وافق الزواج من صفاء ابنة شاكر بيك، وبالفعل كانت الشابة من الطراز الافرنجي، كانت جميلة جدًّا بعينيها الزرقاوين التي تشبه البحر في صفائها، وشفاها القرمزية التي تزين فاها الصغير وشعرها الذهبي الناعم الذي يشبه الحرير وقوامها الرشيق الممشوق الذي يميل إلى النحافة أكثر وطولها المميز أي كانت تشبه في طولها عارضات الأزياء.

لم يرفض فؤاد صفاء، لأنه لا يوجد سبب أو عيب بها يجعله يرفضها، نعم بالفعل تزوجها ولكنه لم يحبها قد.

أي نعم كان يحترمها ولكنه لم يبادلها الحب أبدًا... كانت زوجة له ولم تكن له حبيبة أو صديقة أبدًا... لم تستطع بجمالها أن تنسيه جمال بدر، جمالها الذي ليس له مثيل، لا تعرف عندما تراها

من أي مكان أتت، هل هي عربية أم فرنجية... انها مميزة عن الباقين... كل ملمح من ملامحها تشعر بأنه جاء من مكان ما من بقاع الارض...

بدر استخلصت جمال العالم في جمالها...

★★★

*بعد زواجه رجع من جديد إلى بدر، وأخيرًا رجع للتحدث معه بعدما انقطع عن الكلام معها كل تلك السنوات، كان يكتفي بالنظر إليها، وعندما تصادف عينيه في عينها يصطنع الغضب ونظرة الكره لها، وهي تعلم جيدًا انه لم ولن يكرهها قط...

سحب فؤاد كرسي بجوار بدر في الحديقة الخلفية وأردف هامسًا:

-أهلا بالعرافة... لقد حدث كل ما قلتيه لي... بالرغم انني لم أرغب في ذلك، ولكني أشعر بأن هناك شيء يدفعني دفعًا لكي أفعل كل ما تنبأتِ به...

-انه القدر يا عزيزي، قلت لك انه من الصعب عليك أن تغير قدرك، وقلت لك اني لن أستطيع أن أفعل ذلك أنا أيضًا مهما حاولت نصحك، في النهاية يحدث ما كتبه الله لنا.

-ولمَ أنتِ تسطيعين ان تغيري قدرك...!

-الأمر يختلف معي يا فؤاد، ان الله له حكمة في كل عبد من عباده...

وتذكر (لن تستطيع معي صبرًا) .

-لم أحب غيرك صدقيني.

-هههه، بدون أي مقدمات هكذا...! حسنًا، أعلم ذلك جيدًا....

-أتدرين يا بدر أنا معك ينطبق علي قول {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} أقسم لك انني أشعر بأنني أصم لا أسمع إلا صوتك وهو أحب الأصوات إليّ، وأشعر اني أبكم لا أحب ولا أريد أن يخاطب لساني سواكِ، وأشعر أني أصبت بالعمى لا ترى عيني إلا إياكِ.

*خجلت بدر من كلام فؤاد لها ومن ثم غيرت الموضوع مسرعة وأردفت:

-فؤاد لا تنظر إلى عالٍ، إن زوجتك في الشرفة وتراك معي، لا تتوتر أذهب إليها وتحدث بأسلوب رخيم، وإذا سألتك عني، قل لها نحن اخوة وأنت تعلم جيدًا أن رفعت بيك يعتبرنا كذلك... هذه الفكرة سوف تقلل من غيرتها قليلًا...

وبالفعل صارت بدر بالنسبة له أخته أمام صفاء، يتفق أن يقابلها في أوقات تكون زوجته في الخارج وإذا جاءت ورأته يتحدث معها، انها مجرد أخت وأنها تعمل في الفيلا أكيد يوجد بعض الأوامر الذي يطلبها منها...

و بذلك رجعت بدر الأقرب إليه من جديد...

*طبعًا مازالت بدر مقربة جدًّا إلى رفعت بيك ولازالت تتنبئ له، وتحذره من هذا وذاك، فهو لا يستغني عنها أبدًا...

تمر السنين وفؤاد ينجب ولدًا ويسميه خليل كما أحبت بدر أن تسمي أبنها خليل...

ومن ثم أنجب بنت وأسماها قمر وذلك من حبه لبدر، ولكن غيرة زوجته منعته أن يسميها بدر شخصيًا.

*كانوا أولاد فؤاد أولادًا لبدر، لقد تحول عملها في الفيلا إلى مربية فقط للأولاد، وكان فؤاد يطلب منهما أن يقولا لها أمي... وكانا يحبانها حقًا.

كانت صفاء انسانه راقية جدًّا ولا تقلل من شأن من هم أقل منها مكانةً، ولكن في بعض الأحيان كانت تغار قليلًا من بدر، ولكن لم تحتقرها يومًا، وهذا الأمر كان سببًا في أن يحترمها فؤاد ويعتبرها نعم الزوجة له.



*كانت بدر طوال هذه السنين تزور أهلها في القرية لمدة شهر واحد في العام، بينما أمجد الذي كان يرغب بها بشدة وعندما رآها رافضة فكرة الزواج تمامًا، أي لا ترفضه هو شخصيًا هذا الأمر جعله يرتاح كثيرًا، وقرر أن يكون مثل بدر أن لا يتزوج في حياته قط، لأنه لن يجد شابة يحبها مثل بدر...

كل عطلة يأتي إلى بدر ويسألها:

-ألن تتزوجي...؟

-لا أريد ابدًا...

-و أنا أيضًا مثلك...

لم ترغب بدر في أن تجرحه وأن تقول له أنها سوف تتزوج ولكن بعد عمر طويل لأنها تعلم جيدًا أن أمجد سوف يموت وعمره خمسون عامًا أي قبل أن تتزوج هي...

ظل أمجد يجد ويجتهد في دراسته، إلى أن أصبح أستاذ جامعي، كان فخر لأهله وللقرية كلها...

مرت السنين وفي صباح أحدى الأيام (في فترة عطلته التي يقضيها في القرية مع أمه) دخلت أمه العجوز لكي توقظ ابنها التي يؤنس وحدتها...

لكنه لم يستيقظ قط... لقد عاش في سلام ومات بسلام.



*في عام ١٩٩٢ في شهر يناير لقد توفت صفاء زوجة فؤاد بسبب سرطان الدم، تمر الشهور وتهوّن بدر أثر الصدمة على أبناء فؤاد، خليل وقمر:

خليل عمره ٢٦ عامًا وقد تزوج وأنجب طفلًا اسماه رفعت على اسم جده الذي لازال معمرًا في الدنيا...

وقمر عمرها ٢٤ عامًا وتزوجت منذ ستة سنوات ولكنها لم تنجب قط، ولكن بشرتها بدر بأنها ستنجب ولن تحرم من نعمة الذرية.

في شهر اغسطس عام ١٩٩٢ قررا خليل وقمر أن يقترحا امرًا على أبيهما، بأن يتزوج.

وبالفعل عندما رأى فؤاد رغبة ابناءه في أن يتزوج تزوج أكثر امرأة يحبها وهما يحبانها كذلك...

تزوج بدر وقد أشاء الله أن يجمعهما كزوجين، وفي نفس الوقت لم يحرمهما قط من بعضهما البعض طوال تلك السنين.

حمدت بدر الله بأنها أخذت بما تنبأت به، وفي نفس الوقت لم تحرم شيئًا.

لم تحرم من فؤاد الحبيب والصديق.

لم تحرم من الاطفال، لأن خليل وقمر كان اولادًا لها.

لم تحرم من أمجد أعز صديق لها في القرية، بل فرحت به وبما وصل إليه، وكان من صميم قلبها تدعوا له أن يجد أفضل منها في الجنة.

*وعاشت حياة سعيدة مع فؤاد حبيبها وهو كل شيء بالنسبة لها في حياتها بدون أن تمر بكل تلك المعاناة التي رأتها في نبوءتها لذاتها.

تمت بحمد الله

رانيا رمضان

(بنت البروفيسور)

٣٠ أغسطس ٢٠٢٠

المحتويات

*****